

انتشار الاسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء

تأليف
الدكتور / نبيل لوقا بباوى

الكتاب وافق عليه الأزهر الشريف واوصى
بترجمته الى كل لغات العالم فهو كتاب
يهم كل مسلم ومسيحي.



Amr

إهداء

إلى الرئيس محمد حسنى مبارك

وسبعين مليون قبة على جبين الرئيس مبارك من
الشعب المصرى كله مسلمين وأقباط. الذى جعل من
الوحدة الوطنية حقيقة واقعة وأعاد إلينا الزمن الجميل
منذ أيام سعد زغلول.

فقبله كانت الوحدة الوطنية شعاراً فى الخطاب، أما
فى عهده تحولت إلى حقيقة. وأستطيع أن أطلق عليه
مهندس الوحدة الوطنية وخاصة بعد أن أصبح أحد
رموز قادة العالم والذى لا يمكن أن يتخذ قرار فى منطقتة
دون أن يستشار فيه.

إهداء

إلى الوزير / محمود حمدي زقزوق

أستاذي الذي تتلمذت على يديه. فهو أستاذي علماً وخلقاً، فهو يشرف على رسالة الدكتوراه التي أقوم بإعدادها في الشريعة الإسلامية وموضوعها «حقوق وواجبات غير المسلمين في المجتمع الإسلامي». فقد كان نعم القدوة والأستاذية في مختلف محاور المعلومات.

إهداء

إلى فضيلة الإمام الدكتور / محمد سيد طنطاوي

وقداسة البابا شنودة شنودة

حيث إن العلاقة بينهما يتحدث عنها العالم كله فهي أحد نواتج عصر مبارك في الوحدة الوطنية. خاصة أن العلاقة بينهما تمثل صحيح الديانتين الإسلامية والمسيحية. فهي علاقة تقوم على السماحة والمحبة التي تبني الأوطان وتسمو بمشاعر أبناء الوطن الواحد.

إهداء

إلى الدكتور / مصطفى الفقى

أحد رموز الوحدة الوطنية فى مصر بعقلانية شديدة.
لدرجة أن شهادة الدكتوراه التى حصل عليها من لندن
موضوعها «مكرم عبید» وقد تناول الوحدة الوطنية فى
ثورة ١٩١٩.

والزمن الجمیل الخالى من سيناريو جماعات العنف
وتشويه صورة الإسلام بسبب فتاويهم وأفعالهم التى
لا يقرها صحيح الدين الإسلامى.

إهداء

إلى الشيخ / فوزى الزفزاف

رئيس لجنة الأزهر لحوار الأديان

الرجل الذى يمثل النموذج المعتدل للدين الإسلامى فى
حوار الأديان، رغم تعرضه للنقد من المتعصبين الراضين
لحوار الأديان. مع أن صحيح الدين الإسلام قد أقر هذا
الحوار، ويتجلى ذلك واضحاً فى حوار الرسول ﷺ
مع نصارى نجران فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة.

إهداء خاص

الى روح أخى المرحوم عادل لوقا بباوى
نوأم روحى الذى علمنى أن الله محبه والمحبة
تشمل كل الناس لأن كل الناس يعبدون الله
الواحد فقد فارقتى هذا الأخ فى لحظة غدر من
الزمن ولم تجف دموعى حتى الآن وأظنها لن تجف
فقد كان مكنى سرى ومصدر فرحتى فقد فقدت
الابن سامة من بعده.

تقرير الأزهري الشريف

عن كتاب « انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء »
تأليف الدكتور / نبيل لوقا بباوى

مقدمة

تعرض الدين الإسلامى إلى الهجوم عليه من أعدائه - منذ أن بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام الدعوة إليه - محاولين القضاء عليه، لا سيما بعد إنتشاره وإقامة الدولة الإسلامية التى امتدت خارج حدود الجزيرة العربية وعلى كثير من بلاد دولتى الفرس والروم فى عصر الخلفاء الراشدين..

وقد اتخذ هذا الهجوم ألواناً وصوراً مختلفة فى كل العصور السابقة، فأحيانا كان يتم الهجوم عليه بالحرب والآلة، وأحيانا كان يتم الهجوم عليه بالكلمة والمقالة. وقد حاول بعض المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام أن ينالوا من الإسلام بأسلوب مختلف فاتهموه ظلماً وعدواناً باتهامات باطلة كاذبة منها :
أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه أجبر الناس على اعتناقه جبراً وبالقوة.

موضوع الكتاب والهدف منه

لقد شغلت التهمة الموجهة إلى الإسلام وهى : « أنه دين انتشر بحد السيف والقوة وأنه أجبر الناس على اعتناقه » شغلت هذه التهمة عقل وفكر ووقت المؤلف فقرأ عشرات الكتب التى تتعلق بانتشار الإسلام، وعشرات الكتب فى التاريخ الإسلامى، كتبها كتاب مسلمون وكتاب مسيحيون وخاصة من الغرب، بعضهم يعرض الموضوع بموضوعية تاريخية بعيداً عن التعصب الأعمى، وبعضهم يعرض الموضوع بالغمز واللمز الذى يقطر السم فيه من مداد قلمه..

وبعد أن ناقش المؤلف هذه التهمة - مع ماكتب عنها - بموضوعية علمية وتاريخية، وحلها تحليلاً محايداً بفطرته البشرية السليمة التى تسعى وراء معرفة الحقيقة لتسجيلها ونشرها، وترفض الظلم وتناصر الحق والعدل.

انتهى المؤلف عن قناعة بأن الإسلام كدين سماوى لم ينتشر بحد السيف ولم يجبر الناس على الدخول فيه واعتناقه بالقوة، وإنما أعتنقه المسلمون الذين دخلوا فى الإسلام بقبول خال من الإكراه، وأنه ثبت من جميع المصادر التاريخية أن الحكام المسلمين الذين فتحوا البلاد كانوا يخبرون الناس فى تلك البلاد التى يتم فتحها بين البقاء على دينهم مع ضمان حرية إقامة شعائر دينهم الذى هم عليه وبين الدخول فى الإسلام تنفيذاً لقول الله تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ وإذا اختاروا البقاء على

دينهم فإن لهم نفس الحقوق التي للمسلمين وعليهم نفس الواجبات التي على المسلمين تحقيقاً للحكم الإسلامى: «لهم مالنا وعليهم ما علينا».

محتوى الكتاب

الكتاب يحتوى على خمسة أبواب، اختتمها بذكر أسماء المراجع العربية والأجنبية:
الباب الأول: يتعلق بشرح انتشار الإسلام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتكون من أربعة فصول: بدأها بالحديث عن مولد الرسول عليه الصلاة والسلام من حيث المكان والزمان، عارضاً سيرته الشريفة، ومواقفه مع المشركين فى مكة، ومع المهاجرين والأنصار واليهود فى المدينة المنورة، ومواقفه الحربية، ورسائله إلى الملوك والرؤساء، وانتهاء بحجة الوداع، ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الباب الثانى: يتعلق بشرح انتشار الإسلام فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ويتكون من فصلين: بدأهما بطريقة اختياره خليفة للمسلمين، ثم الحديث عن حروب الردة، وعن المواجهات العسكرية، وعن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية فى عهده، ثم الحديث عن وفاته.

الباب الثالث: يتعلق بشرح انتشار الإسلام فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويتكون من ثلاثة فصول: بدأها بطريقة إختياره خليفة للمسلمين، ثم الحديث عن الفتوحات الإسلامية الواسعة فى عهده فى دولتى الفرس والروم، وعن نظام الحكم الذى اتبعه فى قيادته للدولة الإسلامية، ثم عن قتله.

الباب الرابع: يتعلق بشرح انتشار الإسلام فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ويتكون من ثلاثة فصول: بدأها بطريقة اختياره خليفة للمسلمين، ثم الحديث عن الفتوحات الإسلامية المحدودة فى عهده وعن الفتنة التى حدثت داخل الدولة الإسلامية فى عهده وأسبابها ونهايتها التى انتهت بقتله.

الباب الخامس: يتعلق بشرح إنتشار الإسلام فى عهد الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويتكون من ثلاثة فصول: بدأها بطريقة إختياره خليفة للمسلمين، ثم الحديث عن الفتنة التى حدثت بين المسلمين فى عهده، والحروب الداخلية التى دارت بين المسلمين بعضهم مع بعض والتى كانت سبباً فى عدم انتشار الإسلام فى مناطق جديدة خارج حدود الدولة الإسلامية التى كانت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وعن الصراع الدموى الذى دار بين مؤيديه ومعارضيه والذى انتهى بقتله.

وقد تعرض المؤلف فى أبواب الكتاب وفصوله للإشارة إلى الإضطهاد والتعذيب والتنكيل والمذابح التى وقعت على المسيحيين الأرثوذكس فى مصر من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك، لا سيما فى عهد الامبراطور دقلديانوس الذى

تولى الحكم فى عام ٢٨٤م، فكان فى عهده يتم تعذيب المسيحيين الأرثوذكس فى مصر بإلقائهم فى النار أحياء، أو كشط جلدهم بألات خاصة، أو إغراقهم فى زيت مغلى، أو صلبهم ورؤوسهم منكسة إلى أسفل ويتركون أحياء على الصليب حتى يهلكوا ولا يتم إنزال جثثهم من الصليب ولكن تترك للغريان لتأكلها... الخ ما ذكره من ألوان التعذيب وصوره، إضافة إلى المغالاة فى الضرائب التى كانت تفرض عليهم فى كل شئ حتى على دفن الموتى....، كما تعرض المؤلف للإشارة إلى الاضطهاد والتعذيب والقتل الذى وقع على المسيحيين البروتستانت من المسيحيين الكاثوليك...

وكان الهدف والغاية من تعرض المؤلف لذكر هذا الصراع المسيحى هو:

- عقد مقارنة بين هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع على المسيحيين الأرثوذكس من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك.. وبين التسامح الدينى الذى حققته الدولة الإسلامية فى مصر، وحرية العقيدة الدينية لغير المسلمين التى أقرها الإسلام، وتركرم أحرارا فى ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم، وتطبيق شرائع ملتهم فى الأحوال الشخصية، وتحقيق العدالة والمساواة فى الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين.

- إثبات أن تجاوز بعض الولاة المسلمين، أو بعض الأفراد، أو بعض الجماعات من المسلمين فى معاملاتهم لغير المسلمين إنما هو تصرفات فردية شخصية لا تمت لتعاليم الإسلام بصلة، ولا علاقة لها بمبادئ الدين الإسلامى وأحكامه....، كما أن المسيحية كدين سماوى لا تقر التجاوزات التى حدثت من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك ضد المسيحيين الأرثوذكس....

كما تعرض المؤلف لشرح الجزية التى فرضت على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان التى وقعت معهم، وبين أنها ضريبة دفاع عنهم فى مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، لإعفائهم من الاشتراك فى الجيش الإسلامى حتى لا يدخلوا حربا يدافعون فيها عن دين لا يؤمنون به، وهى فى الوقت نفسه نظير التمتع بالخدمات التى تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين والتى ينفق عليها من أموال الزكاة التى يدفعها المسلمون، وأن هذه الجزية لا تمثل إلا قدرا ضئيلا متواضعا لو قورنت بالضرائب الباهظة التى كانت تفرضها الدولة الرومانية على المسيحيين فى مصر ولا تعفى أحدا منها مهما كان، فى حين أن الدولة الإسلامية كانت تعفى أكثر من ٧٠٪ من الأقباط من دفع هذه الجزية، فقد كان يعفى من دفعها : القصر، والنساء، والشيوخ، والعجزة، وأصحاب الأمراض، والرهبان.....

مراجع الكتاب

لقد استند المؤلف في المعلومات التي كتبها عن الإسلام على القرآن الكريم، وعلى السنة النبوية، وعلى المصادر الإسلامية الصحيحة التي هي ثابتة في كتب السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي .

أما المعلومات التي كتبها عن المسيحية، وعن الصراع الذي حدث بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين الأرثوذكس من جهة، وبين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين البروتستانت من جهة أخرى، وعن الاضطهاد والتعذيب والقتل الذي وقع من المسيحيين الكاثوليك على المسيحيين الأرثوذكس ثم على المسيحيين البروتستانت.. فقد أعتمد - على عهده - في تدوين هذه المعلومات على أمهات الكتب المسيحية. وقد ذكر أسماء هذه المراجع الإسلامية والمسيحية العربية منها والأجنبية في آخر الكتاب.

التعليق

أحيى مؤلف الكتاب على جهده - المشكور - الذي بذله في تأليف هذا الكتاب القيم، وإقامته الأدلة والبراهين على كذب التهمة الموجهة إلى الإسلام وهي : «أنه دين انتشر بحد السيف، وأن الناس أجبروا على اعتناقه»، وثبأت أن هذه التهمة افتراء على الإسلام من جانب أعدائه الحاقدين عليه، المتعصبين ضده.

ولكى يقنع المؤلف القارئ بذلك اتبع المؤلف في كتابه أسلوباً التزمه في جميع أبواب الكتاب وفصوله وهو : أنه في نهاية كل بحث من مباحث كل فصل كان يعلق على الأحداث التي ذكرها بإثبات رأيه الشخصي ووجهة نظره فيها، ثم ينتهي من ذلك بالاستدلال على أن الإسلام كدين لم ينتشر بحد السيف، ولم يفرض على الناس ، وإنما اعتنقه من اعتنقه بالاختيار المطلق الخالي من أى إكراه.

وكم كان المؤلف موفقاً في ربطه بين التجاوزات التي حدثت من بعض الولاة المسلمين، أو من بعض الأفراد، أو من بعض الجماعات الإسلامية في معاملاتهم لغير المسلمين، واعتبار أن هذه التجاوزات إنما هي تصرفات فردية شخصية لا تمت لتعاليم الإسلام بصلة، ولا علاقة لها بمبادئ الدين الإسلامى وأحكامه.

مثلها في ذلك مثل التجاوزات التي حدثت من الدولة الرومانية، ومن المسيحيين الكاثوليك ضد المسيحيين الأرثوذكس والمسيحيين البروتستانت، وأن المسيحية كدين لا تقر هذه التجاوزات ولا توافق عليها.

ولذلك انتقد المؤلف المستشرقين الذين يغمضون عيونهم عن التجاوز الذي حدث في جانب المسيحية ولا يتحدثون عنه؟ بينما يجسمون التجاوز الذي حدث في جانب الإسلام ويتحدثون عنه؟ ولماذا الكيل بمكيالين؟ والوزن بميزانين؟.

وقد وجه المؤلف سؤالاً محددًا مباشرًا إلى المستشرقين الذين يهاجمون الإسلام ويشوهون صورته: هل الأفعال التي حدثت من المسيحيين الكاثوليك إلى المسيحيين

البروتستانت تنسب إلى الإنجيل وتعاليم المسيحية؟ أم تنسب إلى أصحابها فقط ولا دخل للإنجيل ولا للمسيحية فيها؟

وكذلك بنفس المعيار كل التجاوزات التي حدثت من الولاة المسلمين أو الأشخاص المسلمين ولا يقرها القرآن الكريم أو السنة لا تنسب إلى الإسلام بل تنسب إلى من ارتكبوها وعليهم وزرها.

وتأكيدا لما أثبتته المؤلف من نفي التهمة الموجهة إلى الإسلام كدين انتشر بحد السيف. وحرصا منه على نشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام وخاصة في دول الغرب. طلب من المسلمين أن يعيدوا النظر في أسلوبهم ومنهجهم عندما يخاطبون غير المسلمين، وأن يسيروا في الطريق السليم الصحيح الذى رسمه لهم دينهم الإسلامى، وسار فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدون من بعده، لا سيما بعد الهجوم الشرس الذى يتعرض له الإسلام حاليا بعد أحداث ١١ سبتمبر... فقال المؤلف:

«لذلك يجب إعادة مخاطبة الغرب وأمريكا والعالم الخارجى بأسلوب الإقناع، بعيدا عن العصبية لتغيير المفاهيم التى روج لها المستشرقون فى الغرب والساسنة والمتقفون والكتاب الذين لهم موقف من الإسلام ويتحلون بروح التعصب، لأن الإقناع بحقائق الأمور فى حقيقة الإسلام هو خير وسيلة لتغيير المفاهيم فى الغرب، وخاصة أن القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم مليئة بالكثير من الوقائع والحقائق التى تؤكد الحقيقة، وقد كان عظيما من الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه فى احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر فى رمضان من عام ٢٠٠١م «١٤٢٢هـ» أن يدعو إلى تجديد الخطاب الدينى حتى يستطيع مخاطبة العالم الداخلى والخارجى للأمة المصرية والأمة العربية والأمة الإسلامية بحقائق الأمور بأسلوب يتفق مع لغة العصر وأليات العصر...».

رأى الفاحص

هذا الكتاب يصح مفهومها خاطئا عن الإسلام، ويزهق فرية باطلة عنه اتهمه بها أعداؤه المتعصبون ضده وهى: «أنه دين انتشر بحد السيف والقوة، وأن الناس أجبروا على الدخول فيه واعتناقه»

وأرى طبعه ونشره وتداوله و ترجمته إلى اللغات الأجنبية

أوافق

فوزى فاضل الزقزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

شيخ الأزهر الشريف
د / محمد سيد طنطاوى

تقديم

أ.د / محمود حمدي زقزوق

وزير الاوقاف

الصراع بين الحق والباطل والخير والشر صراع قديم قدم البشرية ذاتها، وسيظل هذا الصراع قائماً ومستمراً إلى قيام الساعة. وتاريخ البشرية يبين لنا أن الأديان - منذ آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين - قد خاضت معارك كثيرة ضد جحافل الشر وقوى الباطل. ولم يكن لهذه الأديان من هدف سوى نشر الحق وإقرار العدل وتحقيق السلام للبشر جميعاً. ولم يشذ عن هذه القاعدة دين سماوي بأى حال من الأحوال.

ولكن قوى الشر لم تترك الأديان تؤدي رسالتها في هدوء من أجل خير البشرية، بل وقفت في طريقها ووضعت العراقيل أمامها وحاربتها حرياً شعواء، ومن الطبيعي أن تدافع الأديان عن نفسها وترد العدوان الواقع عليها فهذا حق مشروع لا يمارى فيه أحد. ولكن الأديان كانت في كثير من الأحيان تلجأ إلى دفع السيئة بالحسنة على أمل أن ينقلب العدو إلى صديق كما يقول القرآن الكريم: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت ٢٤).

ومن بين الأسلحة الخبيثة التي استخدمها خصوم الأديان إطلاق مقولات باطلة وشائعات كاذبة ضد هذه الأديان والاصرار على ترديدها على الأسماع والأذهان والعمل على انتشارها على نطاق واسع. وسرعان ما تنتشر هذه المقولات والانتهاكات ويتناقلها الناس جيلاً بعد جيل، ولا يسأل أحد بعد ذلك - إلا من عصمه الله - عن مدى صحة هذه المقولات أو تطابقها مع الواقع واتفاقها مع الحقيقة. وقد كان للإسلام النصيب الأكبر من هذه الشائعات التي أطلقها خصومه. ومن بين تلك المقولات الزعم بأن الإسلام قد انتشر بالسيف وبالقهر والإجبار. وغير ذلك من مقولات لا سند لها من العلم ولا أساس لها من الواقع.

والتاريخ يبين لنا أنه مهما كثرت محاولات إخفاء الحقيقة وحجبها عن الناس وإهالة التراب عليها فإنها لا تقبل أن يحكم عليها أحد بالموت. فالله هو الحق. والحقيقة تستمد قوتها وبقاها من الحق جل جلاله. والانتصار الظاهري للباطل في

بعض الأحيان هو انتصار مؤقت، ولابد لليل الباطل أن ينقشع ظلومه فى يوم من الأيام وينبج فجر الحقيقة ليضيء العقول والأذهان بأشعته التى تخترق كل حجب الظلام الذى سرعان ما يتلاشى أمام ضوء الحقيقة الباهر.

وعلى الرغم من أن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول واضحة وصريحة فى تفنيد هذه المزاعم، وأن العديد من العلماء فى الماضى والحاضر قد ردوا على هذه الأباطيل وبينوا ما تشتمل عليه من تزوير للحقائق، على الرغم من ذلك فإن خصوم الإسلام لا يكون ولا يملون من ترديد مزاعمهم ومن بينها بطبيعة الحال مقولة انتشار الإسلام بالسيف.

وإذا نحن تصفحنا آيات القرآن الكريم فسنجد أن القرآن قد أكد مبدأ حرية العقيدة فى صراحة ووضوح لا لبس فيهما: ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (سورة البقرة ٢٥٦)، وجعل قضية الإيمان والكفر مرتبطة بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه العقلى: ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف ٢٩) كما لفت القرآن الكريم نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن مهمته تنحصر فى تبليغ الرسالة فقط: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ (الشورى ٤٨).

ولم يحدث فى تاريخ المسلمين أن أجبر المسلمون يهوديا أو مسيحيا على اعتناق الإسلام. ومن المعروف أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب قد أعطى لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان « على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضر أحد منهم ولا يرغب أحد بسبب دينه»، كما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد سجل فى أول دستور للمدينة المنورة بعد الهجرة أن اليهود أمة مع المسلمين يشكلون جميعا المجتمع الجديد فى المدينة واعترف لهم بحقوقهم فى البقاء على دينهم.

وعلى طريق الباحثين عن الحق أراد الأخ الكريم الدكتور نبيل لوقا بباوى - وهو مسيحى المؤمن بدينه المتمسك بعقيدته - أراد أن يتناول هذه القضية بالبحث، ولم يجد هناك حرجا دينيا يمنعه من ذلك. فالحق لا يعرف التعصب. ومن منطلق وطنيته الصادقة ومشاعره المتجاوبة مع مشاعر إخوانه فى الوطن من المسلمين قام بالدراسة المتأنية والواعية لزعم انتشار الإسلام بالسيف، وانتهى إلى إبطال هذا

الزعم اعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين. وليست هذه أول مرة يتصدى فيها الدكتور نبيل لوقا بباوى لدراسة قضية اسلامية. فهو معنى بدراسة قضايا إسلامية أخرى. وهو فى بحثه عن الحق يتحرى الموضوعية فى البحث والتوثيق لكل ما يقول معتمداً على مصادر الإسلام الأساسية التى تمثل الصورة الصادقة للإسلام.

ونحن إذ نقدر للدكتور نبيل بباوى هذا التوجه الصادق فإننا نحى فيه موضوعيته فى البحث وغيرته على الحق، كما نحى فيه وطنيته الصادقة. وتلك هى روح التسامح والمحبة التى عرفها التاريخ لدى أبناء مصر منذ آلاف السنين، وسيظل المصريون مسلمين ومسيحيين محافظين على هذه الروح فى أخوة صادقة ومحبة نادرة وتآلف منقطع النظير.

والله ولي التوفيق ...

تقديم

د/ مصطفى الفقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس

الشعب

يطالعنا د. نبيل لوقا بباوي بين الحين والآخر بكتاب جديد يضيف إلى المكتبة العربية ، ويجدد روح الوحدة الوطنية ، ولكنه هذه المرة طلع علينا بمفاجأة تدعو إلى الرضا وتصنع جواً من المودة التى دعت إليها الديانات السماوية والأرضية بغير استثناء ، إذ أنه لرائع حقاً أن يقف قبطى مصري- وهو شريك أساسى فى الحضارة العربية الإسلامية - مدافعاً عن الإسلام ضد خصومه مفنداً الافتراءات التى لحقت به فى موضوعية وتجرد يعطيان هذا الكتاب خصوصية وفرادة تتطرق من العناصر التالية :-

أولاً : إن التوقيت الحالى يعطى لكتاب عن " إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء " قيمة خاصة لأن الإسلام يتعرض - خصوصاً منذ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ - لحملة ضارية تكاد تقترب من أن جماعة " طالبان " هى كل الإسلام ، كما أن تنظيم " القاعدة " هو كل العرب وهذا افتراء ظالم يدفع له المسلمون والعرب - ومعهم شركاء الحضارة من مسيحيين ويهود - " فاتورة " غالية لذنوب لم يقترفوه وكان الغرب اكتشف فجأة أن الإسلام هو دين العنف ومصدر الإرهاب ومع ذلك فإن هذا التعميم وذلك التصنيف لم يمنعا أصواتاً غريبة عادلة أن تتحدث بإنصاف عن الإسلام وسماحته ورسالته السامية وتعاليمه النبيلة .

ثانياً : لقد دعوت شخصياً فى مقال نشرته جريدة الحياة " اللندنية " تحت عنوان " المسيحيون العرب ... شركاء الحضارة " ، وكان ذلك فى أعقاب الهجوم الإرهابي المشنوم على مدينتى واشنطن ونيويورك ، حيث دعوت فى ذلك المقال صراحة إلى دور مطلوب من المسيحيين العرب وفى مقدمتهم الأقباط كي يوضحوا صورة الإسلام الحقيقية وتعاليمه الصافية لأن شهادتهم ليست مجروحة كما أنها تأتى ممن

عاشوا الإسلام وجاوروا اتباعه لقرابة خمسة عشر قرناً ، ولست أدعى - بالمناسبة أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود في المنطقة العربية كانت كلها صفاء ورخاء هائلة ولكنني أعتزف بوجود نوبات من الصعود والهبوط في تلك العلاقة وقفا للظروف السياسية وتبعاً للمزاج العام في المنطقة إلا أن هذا لم يمنع أبداً من سيطرة روح التسامح الأصيل والوحدة الوطنية الحقيقية عبر المسيرة التاريخية الطويلة حتى أن المسيحيين العرب " كانوا هم رواد الحركة القومية مثلما كان أقباط " مصر " في مقدمة طلائع الحركة الوطنية .

ثالثاً : إن استعراض فصول الكتاب يعطى انطباعاً إيجابياً يؤكد الجهد الكبير الذي بذله الكاتب في تحقيق تفاصيل غزوات الرسول ﷺ ، واحترامه لمكانة نبي الإسلام والتأكيد على النظرة المنصفة التي تفتقدها كثير من الكتابات المعاصرة في عالم اليوم .

إنني أحيى الكاتب وأرحب بالكتاب وأري أن د. نبيل لوقا بباوي قد قدم لنا عملاً جاداً تأتي قيمته كعلامة مضيئة في ظروف مظلمة ، كما أنها أيضاً تأتي كشهادة حق ممن قال فيهم سبحانه وتعالى " (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْنَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) .

تهنئة للكاتب على هذه الروح الطيبة ، وأمنية للكتاب أن يصل إلى كل يد تطلبه في هذه الظروف بالغة الحساسية شديدة التعقيد .

د. مصطفى الفقى

تقديم

الشيخ فوزي فاضل الزرفاف رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية

إذا وجدت مسلماً يكتب عن الإسلام ، فيصحح المعلومات الخاطئة عنه ، وينصب نفسه محامياً للدفاع ضد التهم الباطلة التي يتهم الإسلام بها ، ويحلل أسباب الهجوم الشرس على دينه من أعدائه الحاقدين عليه .. إذا وجدت ذلك : فهذا شئ طبيعي لا يثير الانتباه، ولا يدعو إلى الدهشة ..

كما أنه إذا وجدت مسيحياً يكتب عن المسيحية ، فينبري للدفاع عنها كدين سماوي سابق على الإسلام ، ويرد على الذين يتهمونها بالتعصب ضد مخالفيها في العقيدة ، وأنها تعمل على التفوق على أصحاب الديانات الأخرى ، وتغيير عقيدتهم الدينية إلى اعتناق المسيحية ... فهذا شئ طبيعي أيضاً لا يثير الانتباه ، ولا يدعو إلى الدهشة ..

أما إذا وجدت مسيحياً مثقفاً ، قارئاً مطلعاً ، منصفاً ، نقي السريرة ، صافي المورد ، تغلبت عليه فطرته البشرية السليمة التي ترفض الظلم الذي يقع على الإسلام كدين سماوي ، وتناصر الحق والعدل ... فهذا هو الذي يثير الإنتباه ، ويدعو في الوقت نفسه إلى التنازل ، ويؤكد على أن الباطل مهما كثر أنصاره ، وقوي أتباعه ، فإن الحق في النهاية لا بد وأن ينتصر ويعلو ، وأن للحق جنوداً يختصمهم رب العباد لنصرة الحق ..

أقول ذلك : بمناسبة الكتاب القيم الذي كتبه الدكتور / نبيل لوقا بباوي بعنوان " انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء " .

فقد جند المؤلف عقله وفكره ووقته وقلمه للرد على الذين يتهمون الإسلام كدين سماوي باتهامات باطلة كاذبة لاعلاقة لها بعقيدة الإسلام ومبادئه وتعاليمه :

فاتهموه ظلماً وعدواناً بأنه انتشر بحد السيف ، وأنه أجبر الناس على الدخول فيه واعتناقه بالقوة .

فناقش المؤلف هذه التهمة الكاذبة بموضوعيه علمية وتاريخية ، وبرهن على بطلانها وكذبها ، وأزال الخلط بين أحكام شريعة الإسلام الواضحة الجلية ، ونصوصها الصريحة التي لا تتركه أحداً على الدخول فيه ، وبين سلوك وفتاوي بعض أتباعه التي تخالف العقيدة السليمة الصحيحة للإسلام ، والتي لا تتفق ونصوص آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .
يقول المؤلف :

(... ومن خلال قراءتي في عشرات الكتب التي تتعلق بانتشار الإسلام ، وهل هو انتشر بحد السيف من عدمه ؟ وعشرات الكتب في التاريخ الإسلامي ، وجدت من واجبي القومي الرد على كل ما يثار من انتشار الإسلام بحد السيف وأنه دين عنف ، لذلك تولدت فكرة هذا الكتاب ، ورغم أنني مسيحي ولست من أتباع الديانة الإسلامية ، وجدت من واجب الأمانة العلمية التعرض لهذا الموضوع وهو : إنتشار الإسلام بحد السيف ، لبيان الحقيقة . هل انتشر الإسلام بحد السيف فعلاً ؟ أم أنها موجات من الافتراء يطلقها أعداء الإسلام ؟

لذلك قرأت أكثر من خمسين كتاباً تعرضت لهذا الموضوع ، كتبها كتاب مسلمون وكتاب مسيحيون وخاصة من الغرب ، بعضهم يعرض الموضوع بموضوعية تاريخية بعيداً عن التعصب الأعمى ، وبعضهم يعرض الموضوع بالغمز واللمز الذي يقطر السم فيه من مداد قلمه ...)

ولكى يدلل المؤلف على إثبات أن الإسلام كدين سماوي لم ينفرد وحدة بالتناقض بين أحكامه وشرائعه ومبادئه التي ترفض الإكراه على الدين ، وتحرم الاعتداء على النفس البشرية ، وعلى دم وعرض الإنسان أياً كان ... ، وتأمراً بتحقيق العدالة والمساواة بين الناس جميعاً ، فكلهم أخوة في النسب ، فإن أباهم واحد وأمههم واحدة ... وبين سلوك وأفعال وفتاوي بعض أتباعه من الولاة والحكام والمسلمين التي لا تمت إلى تعاليم الإسلام بصلة ...

لكى يدلل المؤلف ويبرهن على إثبات ذلك تعرض للمسيحية أيضا كدين سماوي ، وأثبت أنها هي الأخرى تشارك الإسلام فى التناقض بين تعاليمها ومبادئها التى تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين البشر ، وعدم الاعتداء على الغير ... وبين ما فعله بعض أتباعها فى البعض الآخر من قتل وسفك دماء واضطهاد وتعذيب ... مما ترفضه المسيحية ولا تقره مبادئها ...

لقد تعرض المؤلف للإشارة إلى الاضطهاد والتعذيب والتنكيل والمذابح التى وقعت على المسيحيين الأرثوذكس فى مصر من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك ، لاسيما فى عهد الإمبراطور دقلديانوس الذى تولى الحكم فى عام ٢٨٤م، فكان فى عهده يتم تعذيب المسيحيين الأرثوذكس فى مصر بإلقائهم فى النار أحياء ، أو كشط جلدهم بألات خاصة ، أو إغراقهم فى زيت مغلى ، أو إغراقهم فى البحر أحياء ، أو صلبهم ورؤوسهم منكسة إلى اسفل ويتركون أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعاً ولا يتم إنزال جثثهم من الصليب ولكن تترك للغربان لتأكلها ، أو كانوا يوثقون فى فروع الأشجار ويتم تقريب فروع الأشجار بألات خاصة ثم تترك فروع الأشجار لتعود لوضعها الطبيعى فتتمزق الأعضاء الجسدية للمسيحيين قطعاً قطعاً ، ويقدر البعض أن أعداء المسيحيين الذين قتلوا بالتعذيب فى عهد الإمبراطور دقلديانوس بأكثر من مليون مسيحي ، إضافة إلى المغالاة فى الضرائب التى كانت تفرض عليهم فى كل شئ حتى على دفن الموتى ... لذلك قررت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى مصر اعتبار ذلك العهد : عصر الشهداء فى مصر، وأقاموا التقويم القبطى او التاريخ القبطى فى مصر الذى يبدأ بعصر الشهداء.

وكان الهدف والغاية من تعرض المؤلف لذكر هذا الصراع المسيحي المسيحي - إضافة إلى ما سبق الإشارة إليه - الآتى :

أولاً : عقد مقارنة بين هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع على المسيحيين الأرثوذكس من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك ... وبين التسامح الدينى الذى حققته الدولة الإسلامية فى مصر ، وحرية العقيدة الدينية لغير المسلمين التى أقرها

الإسلام ، وتركهم أحراراً فى ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم ، وتطبيق شرائع ملتهم فى الأحوال الشخصية طبقاً للمبدأ الإسلامى (لا إكراه فى الدين) ، وتحقيق العدالة والمساواة فى الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين فى الدولة الإسلامية إعمالاً للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).

وهذا يثبت أن الإسلام كدين لم ينتشر بالسيف والقوة ، لأنه تم تخيير غير المسلمين بين قبول الإسلام أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية (ضريبة الدفاع عنهم وحمايتهم وتمتعهم بالخدمات) ، فمن اختار البقاء على دينه بقى على دينة حراً... وقد كان فى قدرة الدولة الإسلامية ان تجبر المسيحيين على الدخول فى الإسلام بقوتها ، أو أن تقضى عليهم بالقتل إذا لم يدخلوا فى الإسلام قهراً ... ولكن الدولة الإسلامية لم تفعل ذلك تنفيذاً لتعاليم الإسلام ومبادئه ، فأين دعوى انتشار الإسلام بالسيف؟؟؟.

ثانياً: إثبات أن الجزية التى فرضت على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان التى وقعت معهم إنما هى :

١- ضريبة دفاع عنهم فى مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أي اعتداء خارجي، لإعفانهم من الاشتراك فى الجيش الإسلامى ، حتى لا يدخلوا حرباً يدافعوا فيها عن دين لا يؤمنون به ، ومع ذلك إذا اختار - غير المسلم أن ينضم إلى الجيش الإسلامى برضاه فإنه يعفى من دفع الجزية .

٢- نظير التمتع بالخدمات العامة التى تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين ، والتى ينفق عليها من أموال الزكاة التى يدفعها المسلمون بصفتها ركناً من أركان الإسلام .

٣- أن هذه الجزية لا تمثل الا قدراً ضئيلاً متواضعاً لو قورنت بالضرائب الباهظة التى كانت تفرضها الدولة الرومانية على المسيحيين فى مصر ، والتى كانت تفرض على كل شئ حتى على دفن الموتى ، ولا يعفى منها أحداً ... فى حين أن أكثر من ٧٠% من الأقباط الأرثوذكس كانوا يعفون من دفع هذه الجزية ،

فقد كان يعنى من دفعها : القصر، والنساء ، والشيوخ ، والعجزة ، وأصحاب الأمراض ، والرهبان .

ثالثا: إثبات أن تجاوز بعض الولاة المسلمين ، أو بعض الأفراد ، أو بعض الجماعات من المسلمين فى معاملاتهم لغير المسلمين إنما هو تصرفات فردية شخصية لا تمت لتعاليم الإسلام بصلة ، ولا علاقة لها بمبادئ الدين الإسلامى وأحكامه .

فإنصافا للحقيقة ينبغى ألا ينسب هذا التجاوز للدين الإسلامى كدين سماوى، وإنما ينسب إلى من تجاوز كتصرفات لاعلاقة لها بالإسلام .
كما أن المسيحية كدين سماوى لا تفر التجاوزات التى حدثت من الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك ضد المسيحيين الأرثوذكس .

فلماذا يغمض بعض المستشرقين عيونهم عن التجاوز الذى حدث فى جانب المسيحية ولا يتحدثون عنه ؟؟؟ بينما يجسمون التجاوز الذى حدث فى جانب الإسلام ويتحدثون عنه ؟؟؟ ولماذا الكيل بمكيالين ؟ والوزن بميزانين؟
وقد ذكر المؤلف ذلك صراحة حين قال فى مقدمة الكتاب :

وقبل أن أبدأ فى كتابى : ((انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء) حتى نبين الحقيقة فى ذلك الموضوع أقول : إننا اعتمدنا على القرآن والسنة وما ورد عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، لأنهم جميعها هم المصدر الأساسى الذى يحدد الإطار الصحيح لانتشار الإسلام ، وكيفية معاملة غير المسلمين ، أما ما يفعله المستشرقون من الهجوم على الإسلام والحضارة الإسلامية من خلال إيراد أمثلة معينة فى ظروف معينة لموقف بعض أولى الأمر من المسلمين ، أو لآراء بعض المجتهدين والفقهاء ، أو لموقف أهل الرأي من المسلمين فى ظروف خاصة فى بعض العهود التى سيطر فيها ضيق الأفق والجهل والتعصب فإن هذه الاجتهادات اجتهادات بشرية تحتل الصواب والخطأ ، أما ماورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية لايحتمل الصواب والخطأ ، وإذا كانت هناك أفعال لبعض الولاة المسلمين أو بعض الجماعات الإرهابية تخالف

أحكام الكتاب والسنة فهي تتسبب إلى أصحابها ، ولا يمكن أن تتسبب إلى الإسلام كعقيدة ، لأن الإسلام في القرآن الكريم والسنة لا يقر هذه التصرفات ولا يؤيدها ..)
وقد وجه المؤلف سؤالاً محدداً للمستشرقين الذين يهاجمون الإسلام ويشوهون صورته سؤالاً عن الحروب الدموية التي حدثت بين الكاثوليك والبروتستانت ، وما لاقاه البروتستانت من العذاب والقتل والتشريد والحبس في غياهب السجون والإعدام بالجملة لهم ، اثر قيام الراهب مارتن لوثر بإنشاء المذهب البروتستانتي بعد أن فاض به الكيل من صكوك الغفران التي كانت تمنح للبعض من أجل جمع الأموال ، وبعد أن أصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة للكهنة ... الخ فيقول المؤلف :

(وهنا أسأل سؤالاً محدداً للمستشرقين . هل هذه الأفعال التي حدثت من الكاثوليك للبروتستانت تتسبب إلى الإنجيل وتعاليم المسيحية ؟ أم تتسبب إلى أصحابها فقط ولا تدخل للإنجيل فيها ولا للمسيحية ؟ وكذلك بنفس المعيار كل التجاوزات التي حدثت من الولاة المسلمين أو الأشخاص المسلمين ولا يقرها القرآن أو السنة لا تتسبب إلى الإسلام بل تتسبب إلى من ارتكبها وعليهم وزرها ، لأنه لا يصح للمستشرقين بناء أحكامهم عن الإسلام أن يكيلوا بمكيالين أو معيارين) .

ولقد كان المؤلف موقفاً غاية التوفيق حين طلب من المسلمين أن يعيدوا النظر في أسلوبهم ومنهجهم عند مخاطبتهم غير المسلمين ، وأن يسيروا في الطريق السليم الصحيح الذي رسمه لهم دينهم الإسلامي ، وسار فيه الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدون من بعده ، لاسيما بعد الهجوم الشرس الذي يتعرض له الإسلام حالياً بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ م ... فقال المؤلف:

(لذلك يجب إعادة مخاطبة الغرب وأمريكا والعالم الخارجي بأسلوب الإقناع ، بعيداً عن العصبية لتغيير المفاهيم التي روج لها المستشرقون في الغرب والساسة والمثقفون والكتاب الذين لهم موقف من الإسلام ويتحلون بروح التعصب ، لأن الإقناع بحقائق الأمور في حقيقة الإسلام هو خير وسيلة لتغيير المفاهيم في الغرب ، وخاصة أن القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ ، وسيرة

الخفاء الراشدين رضى الله عنهم مليئة بالكثير من الوقائع والحقائق التي تؤكد الحقيقة ، وقد كان عظيما من الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه فى احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر فى رمضان عام ٢٠٠١ م (١٤٢٢ هـ) أن يدعو إلى تجديد الخطاب الدينى حتى يستطيع مخاطبة العالم الداخلى والعالم الخارجى للأمة المصرية والأمة العربية والأمة الإسلامية بحقائق الأمور بأسلوب يتفق مع لغة العصر وآليات العصر ...)

إننى أحيي مؤلف الكتاب الأخ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى ، وأقدم له خالص الشكر و التقدير على جهده الذى بذله فى تأليف هذا الكتاب إنصافا للحقيقة .
ولسى رجاء عنده أمل أن يوليه عنايته ، وأن يحققه وهو : أنه نظرا لأهمية هذا الكتاب وقيمه العلمية والتاريخية فى تصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق ، أن يكمل مشواره فى تحقيق هدفه النبيل - وهو نبيل - فيترجم هذا الكتاب إلى اللغات الأجنبية ، وينشره خارج نطاق الوطن العربى ، لأن غير الناطقين باللغة العربية هم أشد حاجة إليه .

الشيخ/ فوزي فاضل الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف

للحوار بين الأديان السماوية

وكيل الأزهر السابق

مقدمة

يتعرض الإسلام دائماً للهجوم الشديد من قبل أعداء الإسلام وخاصة المستشرقين الذين لا هم لهم إلا تشويه صورة الإسلام أمام الغرب المسيحي ومحاولة تمزيقه وإظهار أن الإسلام هو العدو الأول للحضارة الغربية وأن الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية يأتي من المسلمين وأن الطاقات الإسلامية الضخمة خطر داهم من الممكن أن ينهى الدور القيادي للغرب في العالم. وبعض المستشرقين يردد أن الإسلام انتشر في العالم أجمع هذا الانتشار من أقصى شواطئ المحيط الهادى إلى أقصى شواطئ المحيط الأطلانتيكى أى على أكثر من نصف الكرة الأرضية في مدة قصيرة بالسيف قهراً ومن خلال الصيحة التى أطلقها المستشرقون أعداء الإسلام بدأ الاستعمار الغربى لكل الدول العربية والإسلامية في العمل الجاد في كل الدول التى احتلها على إيقاف تنمية هذه الدول الإسلامية فنظرة واحدة لكل الدول الإسلامية في ظل الاحتلال الغربى نجد أن كل مواردها وجهت للدول الاستعمارية أما الشعوب الإسلامية المحتلة فطلت تعاني من الفقر والجهل من خلال السياسة المتعمدة التى فرضها الاستعمار الغربى على الدول الإسلامية فنظرة واحدة لأقوال المستشرقين في كل البلاد الغربية نجد أن مضمونها واحد هو أن الإسلام هو الخطر القادم على الحضارة الغربية وأنه انتشر بحد السيف في كل البلاد التى انضمت، إليه فما هو المستشرق لورانس براون يقول " إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أما إذا بقوا متفرقين فبأنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير " ، وإذا حللنا أقوال المستشرق لورانس براون نجدها هي السياسة التى يتبعها الغرب وأمريكا مع الدول العربية والإسلامية منذ زمن طويل وهى الوقوف في وجه أى محاولة لاتحاد الدول العربية أو اتحاد الدول الإسلامية حتى لا تظهر قوتها في اتحادها، وقد قال وزير خارجية فرنسا نوتو السابق رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها فإن الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المتهورين الذين اوجعتهم النكبات التى أنزلناها بهم لأن همتهم لم تخمد بعد وقد صرح سالازار دكتاتور البرتغال السابق أن الخطر الحقيقى على حضارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حتى يغيروا نظام العالم . إن المستشرقين أعداء الإسلام هم الذين يشعلون نار الصراع ضد الإسلام في ذهن الحكام والساسة

الغربيين حتى يبنوا سياستهم الخارجية على محاربة الإسلام بصفته الخطر القادم على الحضارة الغربية فهذا هو المستشرق و.ك. سميث الأمريكي والخبير بشؤون باكستان يقول " إذا ذاق المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد ولكن بالديكتاتوريات وحدها يمكن التحول بين الشعوب الإسلامية وبينها " ، فالخوف من الإسلام على الحضارة الغربية أصبح جزءاً أساسياً في تخوفات الثقافات الغربية لدرجة أن رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه سفر آسيا ينصح الحكومة الأهلية أن تتشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للتحول دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته " ، ونظرة فاحصة محللة لما يحدث من أمريكا في الدول العربية والإسلامية والعمل على جعلها متخلفة وغير متحدة في كل الأزمان يعطينا مؤشراً عن خوف الغرب من الإسلام أن يوحد بين الشعوب الإسلامية والعربية ويجعلها أكثر قوى في مواجهة الحضارة الغربية وقد زادت قسوة المستشرقين والكتاب والمتقنين الغربيين على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي حدثت في أمريكا في نيويورك وواشنطن واتهموا الإسلام بأنه هو الذى صنع الإرهاب في العالم واتهموا كذلك الإسلام أنه انتشر بحد السيف وأن من اتبعوه قاموا باتباعه خوفاً وقهراً من حد السيف لدرجة أن الساسة والحكام الغربيين اشتركوا في هذه الحملة الظالمة على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر فهاهو وزير العدل الأمريكى فى حكومة بوش يتجنى على الإسلام بأنه دين العنف وهامى تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة تتضم إلى قافلة التجنى على الإسلام أنه دين العنف وحيث أقوم الآن بإعداد المادة العلمية لرسالة الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية وموضوعها " حقوق وواجبات غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى " ويشرف عليها الدكتور / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ومن خلال قراءاتى فى عشرات الكتب التى تتعلق بانتشار الإسلام وهل هو انتشر بحد السيف من عدمه وعشرات الكتب فى التاريخ الإسلامى وجدت من واجبى القومى الرد على كل ما يثار من انتشار الإسلام بحد السيف وأنه دين عنف لذلك تولدت فكرة هذا الكتاب ورغم أنى مسيحي ولست من أتباع الديانة الإسلامية وجدت من واجب الأمانة العلمية التعرض لهذا الموضوع وهو انتشار الإسلام بحد السيف لبيان الحقيقة هل انتشر الإسلام بحد السيف فعلاً أم أنها موجات من الاقتراء يطلقها أعداء الإسلام لذلك قرأت أكثر من خمسين كتاباً تعرضت لهذا الموضوع كتبها كتاب مسلمون

وكتاب مسيحيون وخاصة من الغرب بعضهم يعرض الموضوع بموضوعية تاريخية بعيداً عن التعصب الأعمى وبعضهم يعرض الموضوع بالغمز واللمز الذي يقطر السم فيه من مداد قلمه .

لذلك يجب إعادة مخاطبة الغرب وامريكا والعالم الخارجي بأسلوب الاقناع بعيداً عن العصبية لتغيير المفاهيم التي روج لها المستشرقون في الغرب والساسة والمتقنون والكتاب الذين لهم موقف من الإسلام ويتحلون بروح التعصب لأن الاقناع بحقائق الأمور في حقيقة الإسلام هو خير وسيلة لتغيير المفاهيم في الغرب وخاصة أن القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين ﷺ مليئة بالكثير من الوقائع والحقائق التي تؤكد الحقيقة وقد كان عظيماً من الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه فى احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر فى رمضان من عام ٢٠٠١ أن يدعو الى تجديد الخطاب الدينى حتى يستطيع مخاطبة العالم الداخلى والعالم الخارجى للأمة المصرية والأمة العربية والأمة الاسلامية بحقائق الأمور بأسلوب يتفق مع لغة العصر وآليات العصر بعيداً عن تكشيرة الوجه والوعد والوعيد بعذاب القبر والثعبان الأقرع لذلك يجب أن تكون عملية تجديد الخطاب الدينى لإيصال الحقائق الإسلامية تجديداً مستمراً ودائماً فالحياة متجددة دائماً والمتغيرات فى العالم لا تنتهى والتقدم العلمى فى عالم الاتصالات جعل العالم كله قرية واحدة بلا حدود لذلك يجب أن يكون الخطاب الدينى لتوصيل الحقائق عن الإسلام مواكبا لما يدور فى العالم من متغيرات لأنه ليس فى مقدور أي مجتمع من المجتمعات أن يعيش بعيداً أو يعزل عن المتغيرات العالمية لذلك لابد من تطوير آليات وأساليب الأداء لتوصيل حقائق الإسلام لمن فى ذهنه لبس أو من يجهل حقائق الإسلام ولمواجهة دائمة وعاجلة لما يوجه للإسلام من نقد وإيراز الجوانب الإنسانية فى الإسلام وضرورة مخاطبة الآخر من داخل مصر وخارجها بأسلوب يبرز التسامح والرقى الحضاري والأخلاقى فى الإسلام وتعلية قيمة التسامح والتعايش بالمساواة مع الآخر يبرز حقيقة روح التسامح فى الإسلام ويبرز الإسلام على حقيقته أما محاولة الجماعات الارهابية فى خلق حصار حول الآخر وعدم قبوله ووضع المشاكل والعراقيل الحياتية أمامه يشوه صورة الإسلام ولاينصفها وخاصة أن ثورة الإتصالات والمعلومات والثورة التكنولوجية قد فاقت كل التوقعات وأصبح ما يحدث فى أي قرية من العالم تتناقله وكالات

الأنباء قبل أن تتحرك سيارات الإطفاء لإطفاء الحريق إذن لماذا يشوه بعض المتعصبين الإسلام بأيديهم وبأفعالهم وفتاويهم وكل تصرفاتهم بعيدة عن حقيقة الإسلام، لذلك يجب أن يكون هناك فهم واع للإسلام يتفق مع حقيقة الإسلام يقدم للمسلمين وغير المسلمين لأنه الإسلام يتعرض الآن لحملة شرسة من جانب الاعلام الدولي ويتركز في الإعلام العدائي على تصرفات وأفعال وفتاوي يقوم بها بعض المسلمين وهذه التصرفات والأفعال والفتاوي لاصلة لها بالإسلام ولكن الاعلام الدولي لاينسب هذه الأفعال والتصرفات لأصحابها بل ينسبها الى الاسلام في توجيه الاتهامات الظالمة للإسلام والمسلمين لذلك يجب تصحيح المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة على أسس موضوعيه بعيداً عن الإنفعال والتشنج والتأكيد على رفض الإسلام لكل أشكال العنف لأنه دين انتشر بالاختيار وليس بالعنف ولتوضيح صورته الإسلامية الحقيقية يجب الاعتماد على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والسبع عن الأحاديث المكذوبة والبعد عن الأخبار الضعيفة التي بني عليها البعض قضايا ومبادئ وفتاوي قد تشوه صورة الإسلام لذلك يجب أن تعمل الدولة في كل الدول العربية والإسلامية باتخاذ موقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لتوضيح حقيقة الإسلام وسماحة الإسلام وموقف الإسلام من كل القضايا المعاصرة لتوضيح الحقائق للعالم الخارجي لأن خدمة الإسلام ليست بالانشغال بكل ما هو قديم فقط بل لا بد من التجديد في الأداء بما لايمس المسلمات، وفي توجيه الحقائق في الإسلام للعالم الغربي لاقتناعه بها، ولا يجب ان نهجم الحضارة الغربية كما يحلو للبعض ان يردد بأوصاف متعددة بأنها مجتمعات كافرة أو ملحدة أو منحلة أخلاقياً لاننا إذا فعلنا ذلك سوف ندفعهم دفعا للرد بما يمس الحضارة الإسلامية بما لايرضاه احد لأن الصورة في الغرب ليست كلها عداء غريباً دقيناً للإسلام هذا التصور لايمكن قبوله لأن هناك أصوات عاقلة تفهم حقيقة الإسلام وهناك أصوات لاتفهم حقيقة الإسلام والمطلوب محاولة توضيح حقيقة الإسلام بصورته الحقيقية كما هو في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والدليل على ذلك ما قاله الدكتور مصطفى الفقى في الندوة التي عقدها قداسة البابا شنودة في الكاتدرائية المرقسية بالعباسية لمساندة القضية الفلسطينية أنه أثناء تواجده في منزل السفير البريطانى فى مصر قال له وزير الدفاع البريطانى الذى كان فى زيارة للسفير البريطانى فى القاهرة وأناى عندما درست تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى اكتشفت ان تقاليد التسامح والتواصل صدرت إلينا من الإسلام وان التعصب والتشدد إنما جاء نتيجة

الخلافاً بين الطوائف المسيحية في أوروبا الغربية " إذن القضية هي أن البعض يفهم الحقيقة والبعض يتجاهلها والبعض يسئ فهمها لذلك يجب توضيح صورة الإسلام للغربيين حتى تكون واضحة تماماً أمامهم وهناك حقيقة يجب أن يؤكد عليها هي أن تحديث الخطاب الديني لا يمكن أن يمس جوهر الدين في الكتاب والسنة ولكن التحديث في آليات وأساليب الوصول إلى الآخر داخل مصر وخارجها بشكل مقنع حتى لا تكون صورة الإسلام لدى العالم الغربي هو طالبان وأسامة بن لادن والظواهري لذلك يجب مخاطبة العالم الغربي بالعقل والحجة وبكل الدلائل العقلية وليس فقط بالدلائل النقلية ، ونقطة جوهرية في حوار المسلمين وغير المسلمين هي أن يكون الحوار في المسائل الاتفاقية لايجاد أرضية مشتركة للفضائل والمبادئ والمثل العامة في الديانات المختلفة لأن كل الديانات السماوية تدعو إلى الكمال في العلاقات الإنسانية بين الناس بعضهم وبعض على اختلاف دياناتهم، ولذلك من الخطر الحوار بين المسلمين وغير المسلمين في جوهر العقائد لأنها مسائل إيمانية لا يجب التطرق إليها على الإطلاق فهي مسائل كلون الجلد من الصعب على الإنسان تغيير لون جلده، وعلى ذلك لا بد من توضيح حقيقة الإسلام في كثير من المسائل التي يرددها بعض الغربيين وخاصة المستشرقين عن الإسلام لتوضيح الحقائق كما هي واردة في الكتاب والسنة وعن السلف الصالح وأول هذه المسائل التي يرددها المستشرقون عن الإسلام هو أن الإسلام دين عنف انتشر بحد السيف والمسألة الثانية التي يرددها بعض المستشرقين أن الإرهاب صناعة إسلامية ولذلك وجدت من واجبي كمصري أن أتصدى لهاتين المسألتين في كتابين الكتاب الأول الذي نحن بصدد الآن وهو كتاب " انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء " والكتاب الثاني هو " الإرهاب صناعة إسلامية مقولة تحتاج إلى وقفة" ، وها نحن بصدد الكتاب الأول الآن وهو انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء وجدت من واجبي كمصري أعيش بعزة وكرامة بين اخواني المسلمين ورغم أنني قبطي ارتونكسي اعترت بمسيحيتي إلا أنني وجدت من واجبي الوطني أن أبين الحقيقة فيما يدعيه بعض المستشرقين الغربيين من أن الإسلام انتشر بحد السيف وليس بالإرادة الحرة لمعتقيه وسوف أتناول الموضوع منذ مولد الرسول ﷺ في مكة في ٢٠ إبريل عام ٥٧٠ م والمواجهات العسكرية التي قابلته والدفاع عن الدعوة الإسلامية في موقعة بدر الكبرى وموقعة أحد وموقعة الخندق والهدنة مع

كفار قريش ثم الانتصار عليهم وموقف المسلمين من اليهود بعد ان نقضوا العهد والرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ للملوك والأمراء يدعوهم للإسلام فى الدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية ومواقع المواجهة العسكرية بعد انتصاره على كفار قريش فى حنين وحصار الطائف وموقعة تبوك وتحليل كل هذه المعارك تحليلاً علمياً وتاريخياً هل هذه المعارك كانت دفاعاً عن الديانة الجديدة أم لفرض الإسلام بحد السيف والقوة والجبر وسوف نتناول انتشار الإسلام فى عهد الرسول ﷺ. وبعدها نتناول الإسلام فى عهد الخليفة ابى بكر الصديق ؓ وحروب الردة التى قابلته والدفاع عن الديانة الجديدة وانتشار الإسلام فى عهده وبداية انتشار الإسلام فى العراق والمواجهات العسكرية التى قابلته فى موقعة ذات السلاسل وموقعة الحيرة وموقعة الأنبار وبداية انتشار الإسلام فى عهده فى الشام وموقعة اليرموك وتحليل هل انتشر الإسلام فى عهده بالسيف والعنف والغضب؟ ثم نتحدث عن انتشار الإسلام فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ؓ وانتشاره فى بلاد الدولة الفارسية أثر موقعة النمارق وموقعة الجسر وفتح المدائن عاصمة الدولة الفارسية وموقعة جولاء وموقعة الاهواز وموقعة نهاوند واستكمال دخول الإسلام فى الشام وفى دمشق وبيت المقدس ومصر وبرقة وطرابلس فى الغرب وتحليل هذه المعارك هل انتشر الإسلام فيها بحد السيف أم بالإرادة الحرة لأصحابها. ثم نتناول انتشار الإسلام فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ وبداية الانشقاق فى الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام فى قبرص وموقعة ذات الصواري وانتشاره فى ارمينية وبدء الفتنة بعد مقتل عثمان ثم نتحدث عن انتشار الإسلام فى عهد علي بن ابى طالب ؓ. والمواقع العسكرية التى واجهها لمنع الفتنة فى موقعة الجمل التى ترعمتها السيدة عائشة زوجة الرسول ﷺ لتثار لمقتل عثمان بن عفان ؓ وموقعة صفين والتحكيم بين معاوية بن أبى سفيان ؓ والخليفة علي بن ابى طالب ؓ. و إنتهاء الدولة الإسلامية الاولى بمقتل علي بن ابى طالب ؓ ونحل كل الوقائع التاريخية التى حدثت لتتوصل فى النهاية للإجابة هل انتشار الإسلام بحد السيف ام لا؟ وسوف نتناول انتشار الإسلام فى عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ؓ فى خمسة أبواب على النحو التالى :

- الباب الأول : انتشار الاسلام فى عهد الرسول ﷺ .
 الباب الثانى: انتشار الاسلام فى عهد أبى بكر الصديق ؓ.
 الباب الثالث : انتشار الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب ؓ.
 الباب الرابع: انتشار الاسلام فى عهد عثمان بن عفان ؓ.
 الباب الخامس : انتشار الاسلام فى عهد علي بن أبى طالب ؓ.
وكلمة أخيرة :

وقبل أن أبدأ فى كتابى . ((انتشار الاسلام بحد السيف بين الحقيقة والإفتراء)) حتى نبين الحقيقة فى ذلك الموضوع أقول إننا اعتمدنا على القرآن والسنة وما ورد عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين ؓ لانهم جميعا هم المصدر الاساسى الذى يحدد الإطار الصحيح لانتشار الاسلام وكيفية معاملة غير المسلمين أما ما يفعله المستشرقون للهجوم على الإسلام والحضارة الإسلامية من خلال إيراد أمثلة معينة فى ظروف معينة لموقف بعض أولى الامر من المسلمين أو لأراء بعض المجتهدين والفقهاء أو لموقف أهل الرأى من المسلمين فى ظروف خاصة فى بعض العهود التى سيطر فيها ضيق الأفق والجهل والتعصب فإن هذه الاجتهادات اجتهادات بشرية تحتل الصواب والخطأ أما ماورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية لا يَحتمل الصواب والخطأ وإذا كانت هناك أفعال لبعض الولاة المسلمين أو بعض الجماعات الارهابية تخالف أحكام الكتاب والسنة فهى تنسب إلى أصحابها ولا يمكن أن تنسب الى الاسلام كعقيدة، لأن الاسلام فى القرآن الكريم والسنة لايقر هذه التصرفات ولايويدها .هنا ملحوظة أخرى هى أن بعض آراء المستشرقين فى الهجوم على الاسلام كان مبعثها التعصب الأعمى وانى أسأل هؤلاء المستشرقين الذين شوخوا صورة الإسلام سؤالا واحداً عن الحروب الدامية التى حدثت بين الكاثوليك والبروتستانت أثر قيام الراهب مارتن لوثر بإنشاء مذهب البروتستانتية بعد ان فاض به الكيل من صكوك الغفران التى كانت تمنح للبعض من أجل جمع الأموال بعد أن أصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة للكهنة مما أضعف الإحساس بالندم الذى يجب أن يثيره مرتكب الخطيئة وجعل الخطيئة تبدو أمراً تافهاً يمكن تسويته ودياً بعد صفقة مع تاجر يتاجر فى صكوك الغفران لذلك قام لوثر بثورته الدينية بعد أن تعلم اصول الديانة المسيحية فى دير اوغسطين بمدينة فنتربرج بألمانيا عاصمة الشمال الألمانى ثم عين أستاذاً للاهوت فى الجامعة

وقد أصدر ليو العاشر البابا الكاثوليكي أمراً بان تحرق علنا كل كتب ومؤلفات مارتن لوثر فى عام ١٥٢٠م بعد بدء انتشار الملة البروتستانتية فقد عذب معتقوها عذابا شديدا ،عذب البعض على المخلة وشدت اطرافهم حتى انتزعت، وأحرق البعض الآخر حتى غدت أجسادهم رماداً وهباء منثورا وشوي لحم البعض فوق أعمدة او مزقوا أربا بكماشات ملتهبة لدرجة الاحمرار وشنق آخرون فوق الاشجار او تم قطع رءوسهم بالسيف وظل الكثيرون منهم فى غياهب السجون ويقول سياسيتان فرانك احد المعاصرين انه ما أن حل عام ١٥٣٠ حتى تم اعدام الفين بروتستنتى فى أنزيشايم احدى مدن الالزاس واعدم ٦٠٠ من سالزبورج والذين لم يتوبوا ويرجعوا عن البروتستنتية فقد شويت اجسادهم على نار بطينة حتى لاقوا حتفهم. هذه دفعة واحدة من عذاب البروتستنت اعقبتها موجات كبيرة من العذاب مكتوبة فى قصة الحضارة تأليف ول ديورانت فى المجلد الثانى عشر وهذا ما كان يقصده وزير الدفاع البريطانى وقاله للدكتور مصطفى الفقى بمنزل السفير البريطانى بالقاهرة. إنما التعصب والتشدد نتيجة الخلاف بين الطوائف المسيحية فى اوربا فى العصور الوسطى.

وبعد أن استعرضت جزءاً بسيطاً من الصراع الدموى والمجازر البشرية بين الكاثوليك والبروتستنت فى العصور الوسطى اقول للمستشرقين الذين شوهوا صورة الاسلام ما قاله السيد المسيح فى إنجيل لوقا إصحاح ٦ آية ٤١ " أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك ". وهنا أسأل سؤالا محدداً للمستشرقين هل هذه الافعال التى حدثت من الكاثوليك للبروتستنت تنسب الى الإنجيل وتعاليم المسيحية ام تنسب الى أصحابها فقط ولا دخل للإنجيل فيها ولا للمسيحية ؟ وكذلك بنفس المعيار كل التجاوزات التى حدثت من الولاة المسلمين أو الاشخاص المسلمين ولا يقرها القرآن أو السنة لانتسب الى الاسلام بل تنسب الى من ارتكبوها وعليهم وزرها لأنه لا يصح للمستشرقين فى بناء احكامهم عن الاسلام ان يكيلوا بمكيالين او معيارين ورغم ذلك فهناك كثير من المستشرقين أمثال توماس ارنولد Arnold وتريتون Tritton وجيب Gibb وميورسكى Mniorsky وبرنارد لويس Lewis كانوا منصفين ونظروا للامور بمعيار واحد ولذلك سوف أتناول موضوع انتشار الاسلام بين الحقيقة والافتراء بنظره موضوعيه وتاريخيه وعلمية لإظهار الحق ولكن هناك كلمة أريد أن أقولها للساسة الغربيين وخاصة الرئيس بوش الذين حاولوا تشوية الاسلام

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ان الأفعال والفتاوي التي يقوم بها بعض المسلمين لايمكن ان تنسب الى الاسلام والمسلمين جميعا طالما ان الاسلام لايقرها في القرآن والسنة انما هذه الأفعال والفتاوي تنسب الى أصحابها فقط وعليهم وزرها. طالما ان القرآن والسنة لايفرضها مثلما يحدث في ايرلندا من مجازر بشرية الآن بين الكاثوليك والبروتستنت لم يقل أحد إن هذه المجازر البشرية تنسب الى الإنجيل أو المسيحيين جميعاً ولكن هذه الافعال تنسب الى أصحابها فقط ولعلاقة للأديان سواء الديانة الاسلامية او الديانة المسيحية بأي أفعال أو فتاوي لايقرها صحيح الدين الاسلامي في القرآن وصحيح الدين المسيحي في الإنجيل لأن الديانات السماوية ديانات محبة وتسامح وليست ديانات مجازر بشرية وسفك دماء

دكتور

نبيل لوقا بباوى

الباب الأول

انتشار الاسلام في عهد الرسول ﷺ

وسوف نتناول هذا الباب وهو انتشار الاسلام في عهد الرسول ﷺ في ثلاثة فصول على النحو التالي

الفصل الاول : مولد الرسول ﷺ من حيث المكان والزمان .

الفصل الثاني : الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود .

الفصل الثالث: حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ .

وسوف نتناول هذه الفصول تفصيلا على النحو التالي :

الفصل الأول

مولد الرسول ﷺ من حيث المكان والزمان

سوف نتناول في هذا الفصل مولد الرسول ﷺ من حيث المكان والزمان حيث ولد الرسول ﷺ في مكة وهي قرية في شبه الجزيرة العربية تعتبر أهم قرى شبه الجزيرة العربية لأن بها الكعبة التي يحج إليها كل قبائل شبه الجزيرة العربية وقد ولد الرسول ﷺ في ٢٠ ابريل عام ٥٧٠ م في مكة ومات ابوه قبل ان يولد فكفله جده عبد المطلب وعندما مات جده كفله عمه أبو طالب وهو في السادسة من عمره .

وسوف نتناول كل الموضوعات عن مولد الرسول ﷺ من حيث المكان والزمان في مبحثين على النحو التالي :

المبحث الأول : مولد الرسول ﷺ من حيث المكان .

المبحث الثاني : مولد الرسول ﷺ من حيث الزمان

المبحث الأول

مولد الرسول ﷺ من حيث المكان

ولد الرسول في مكة التي تقطنها قبيلة قريش في شبه الجزيرة العربية حيث أن المعروف عن سكان الجزيرة العربية أنهم دائمو السفر والترحال إلى البلاد الخصبة المحيطة بالجزيرة لاستيفاء ما ينقصهم من وسائل الحياة في بلادهم وتوجد بلاد العرب في الجزء الجنوبي الغربي من آسيا وهي شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج الفارسي ويطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب وأهم المناطق العربية هي منطقة الحجاز التي تقع شمال منطقة اليمن وشرق منطقة تهامة ومنطقة الحجاز تتكون من عدة أودية تتخلل سلسلة جبال تسمى جبال الممتدة من الشام إلى نجران من اليمن ومنطقة الحجاز بها أهم قريتان مكة ويثرب وسميت منطقة الحجاز لأنها محجوزة بين منطقة نجد ومنطقة تهامة وكان للعرب قبل الإسلام دين واحد وعقيدة مشتركة مركزها مكة وقريّة مكة في دار ضيق طويل على مقربة من بئر زمزم وتبعد عن جدة حوالي ٤٥ ميلاً وكان يسيطر على مكة في القرن الخامس الميلادي أهل قريش ومكة بها الكعبة وتم بناؤها قديماً عندما كان إبراهيم يزور ولده إسماعيل من حين إلى حين في مكة وأن الله أمره ببناء الكعبة أي البيت الحرام فقد كان إبراهيم يبني وإسماعيل ابنه يرفع الحجارة حتى أتماه وقد بنيت الكعبة في مكة وهي بيت صغير مربع يحيط به فضاء غير مسقوف ، وكانت قبائل العرب تحج إليها ولكل قبيلة منها صنماً في داخل الكعبة وفيها الحجر الأسود الذي يقال أنه سقط من السماء ويوجد تمثال هبل صنم أهل قريش وهو من العتيق وكان أكثر احتراماً وتقديساً من الأصنام الأخرى وكان يقيم حول الكعبة أهل قريش وكان لمكة مركز خاص لدى أهل الجزيرة التي يرد إليه القبائل من كافة أرجاء بلاد العرب حيث يجتمعون للحج والتجارة وفي عام ٥٧٠م في عهد عبد المطلب بن هاشم كبير قريش وسيدهم حاول أبرهة الأشرم ملك الحبشة هدم البيت الحرام بمكة وقدم بجيش كبير وعسكر بقرب مكة في مكان يطلق عليه المغمس وحينما حاول مهاجمة مكة بجيوشه أرسل الله عليهم طيراً من البحر يحمل كل طائر أحجاراً صغيرة لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وهكذا انتهزم

إبرهه وجيشه وخرجوا هاربيين ليعودوا إلى اليمن مرة أخرى . وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة الفيل قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " (الفيل: ١-٥) ، وكان هناك اتفاق بين العرب أن الأشهر الحرام لا يدور فيها قتال بين العرب والأشهر الحرام أربعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكانت مكة بها سوق كبير يسمى سوق عكاظ يقام في أول يوم من ذي القعدة يتسوقون فيه وعكاظ كانت تقع بين نخلة والطائف وكانت المسافة بين عكاظ والطائف عشرة أميال وكان العرب يجتمعون في عكاظ للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذي القعدة إلى الحج ، ولما كانت أرض مكة صخرية لا ماء فيها ولا زرع امتاز أهلها على غيرها من بلاد العرب بالنشاط التجاري ونظراً لمركز مكة الجغرافي أصبحت مكة منذ القرن السادس الميلادي مركزاً للتجارة بين اليمن والشام والحبشة وكانت قوافل التجارة لأهل قريش معروفة عند العرب لأنهم سكان مكة وحماة الكعبة التي يقدها العرب وجابت قوافلهم الأرض الواسعة للتجارة فقد وصلت قوافلهم التجارية إلى غزة وبين القدس ودمشق وعبروا البحر الأحمر إلى الحبشة وكان ميناء جدة الذي يبعد أربعين ميلاً عن مكة هو الميناء للتوجه للحبشة . فقد كانت مكة تقع في منتصف المسافة بين اليمن جنوباً والشام شمالاً وبلغ من اهتمام أهل قريش بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وكان أهل مكة على علم بالأحوال السياسية للأمم المجاورة لهم كالفرس والروم من كثرة أسفارهم في قوافل تجارية وكان أهل قريش يتكلمون اللغة العربية . ولم يكن العلم منتشرًا بمكة بأهل قريش وكان الشعر العربي منتشرًا بين قبائل الجزيرة العربية وكان أهل قريش يدينون بدين واحد هو الدين الوثني وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وكان هبل أعظمها شأنًا وكان من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى فصنعت له قريش يداً من ذهب وكان أول من أقامه هو خزيمة بن مدركة بن إلياس فكان يقال لذلك التمثال هبل خزيمة .

ولم يكن هبل وحده معبود العرب فقد انتشرت الأصنام في أنحاء الجزيرة العربية وكانت هذه الأصنام موجودة حول الكعبة التي يحج إليها العرب وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ووضعت أصنام القبائل الشهيرة حول الكعبة للحج إليها حتى إذا أتى العرب إلى مكة وزاروا الحرم وجدوا معبوداتهم وكان من أقدم

هذه الأصنام صنم يسمى مناه وهى إلهه القضاء وكان يعبدها قبائل الأوس والخزرج ومن أهم هذه الأصنام اللات ويعبدها أهل الطائف وكذلك صنم العزى وكذلك صنم سواع ويعبده أهل بتيق وغيرها من الأصنام وكان إلى جانب الوثنية في بلاد العرب ديانات أخرى منها الصابئة ويعبد أهلها النجوم والكواكب وكانت منتشرة في بلاد اليمن ونجران وأعلى العراق وكذلك ديانة الزرادشتية نسبة إلى زرادشت نبي الفرس القدماء وهى ديانة رمزية تدعى أن العالم فيه قوتين هما الخير والشر ويرمز إلى إله الخير بالنور وإله الشر بالظلمة وكانت هذه الديانة سائدة في بلاد فارس وفى شرق بلاد العرب وخاصة في جهة البحرين وكان العرب يقدمون القرابين لألهتهم ويسرون في مواكب حول معابدهم وكذلك انتشرت اليهودية في جزيرة العرب خاصة في منطقة اليمن وخيبر وتيماء ويثرب وكان أهلها من قبائل بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وكذلك توجد الديانة المسيحية في قبائل تغلب وغسان وقضاة في الشمال وفى بلاد اليمن في الجنوب وقد دخلت المسيحية في هذه المنطقة في القرن الرابع الميلادى بفضل جهود أباطرة الدولة الرومانية الشرقية وقد انتشرت المسيحية في الجنوب في الحبشة وفى الشمال عن طريق سورية وشبه جزيرة سيناء وكان أهم البلاد داخل الجزيرة التى انتشرت بها المسيحية هي نجران وهى هضبة يشتغل أهلها بالزراعة ويجيد أهلها صناعة المنسوجات والحرير وكان من أهم عادات أهل الجزيرة العربية عموماً وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر، كما أنه كانت توجد ديانة الحنيفية (التوحيد) على دين ابراهيم وقد ثبت وجودها فى اليمن وفى نجران .

المبحث الثاني

مولد الرسول ﷺ من حيث الزمان

ولد الرسول ﷺ في ٢٠ إبريل ٧٥٠م وهي السنة المعروفة بعام الفيل من أبيوسن فقيرين وكان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب وقد أوكل لأولاد هاشم سقاية الحج الذين يزورون البيت الحرام وقد مات أبوه قبل أن يولد الرسول ﷺ فكفله جده عبد المطلب وعندما مات كفله عمه أبو طالب وهو في السادسة من عمره وحينما بلغ الثانية عشرة من عمره كان يتوجه مع عمه بالتجارة إلى الشام أكثر من مرة أو إلى بصرى وهناك تعرف على راهب اسمه بحيره الذي لمح في الرسول ﷺ علامات النبوة بعد أن سأله عن أمور في نومه وبقظته .

وقد أصبحت بعد ذلك التجارة عمله فتوجه إلى بلاد اليمن والشام وكان شعاره الصدق والأمانة وهو في الخامسة والعشرين سافر الرسول ﷺ إلى الشام في قافلة ميسرة المشرف على تجارة السيدة خديجة فربحت التجارة وهنا تعرف على السيدة خديجة بنت خويلد وهي سيدة موسرة فتولى أمر تجارتها إلى الشام فربحت تجارتها أضعاف ما كانت تربح من قبل فضاغت له الأجر وارتضت به زوجاً لها وهو في الخامسة والعشرين وهي أرملة في الأربعين ونفع صداقه عمه أبو طالب ونظراً لصدق الرسول ﷺ وأمانته لقبه أهل مكة بالصادق الأمين وكان يكره عبادة الأوثان ولا يحضر مجالس اللهو والسمر لذلك احب الرسول ﷺ العزلة وألف النسك والعبادة فكان يذهب إلى غار حراء يتأمل عجائب الكون ويفكر في البعث والحساب والجنة والنار وفي ذلك الغار نزل عليه الوحي وهو في الأربعين من عمره وكان يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان في عام ٦١٠م فرأى جبريل الذي ظهر أمامه فقال له " اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " (المق:١-٥) ، وكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن وسرعان ما عاد الرسول ﷺ إلى خديجة وهو يرتجف ، وفي هذه البيئة الوثنية يبعث الله الرسول ﷺ برسالة التوحيد أنه ليس هناك إلا إله واحد ونبذ عبادة الأصنام وكان أول المؤمنين بالدين زوجته خديجة وابن عمه علي ابن أبي طالب وأبو بكر الصديق الذي كان من أخلص أصدقائه ثم دخل الإسلام كثيرون في المرحلة الأولى من الدعوة التي كانت تسمى الدعوة السرية.

واستمر الرسول ﷺ ثلاث سنوات يدعو إلى الإسلام سراً لكل من يثق فيه وبعد ثلاث سنوات بدأ يجهر بالدعوة وبدأت عداوة قريش بعد ذلك تظهر جلياً لأنهم كانوا يخشون القضاء على عبادة الأوثان بظهور الدين الجديد وبدأوا في ضرب المسلمين وتعذيبهم وكان أول الشهداء في الإسلام ولدى عمار بن ياسر من شدة ضرب أبي جهل لهم وكان من أكبر المشركين من أهل قريش الذين يتفنون في أنواع العذاب للمسلمين وكانوا يعذبون الرجال والنساء من المسلمين للقضاء على الدعوة الإسلامية وهي لاتزال في مهدها . وقد وسط المشركون عم الرسول ﷺ أبا طالب في أن يطلب من الرسول ﷺ أن يعدل عن هذه الدعوة فحينما عرض ذلك على الرسول ﷺ قال الرسول " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" ، وزاد تعذيب المسلمين على يد المشركين ولما رأى الرسول ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء من مشركي قريش وانه لايقدر على منع الأذى عنهم ، نصحهم بالهجرة الى الحبشة قائلاً لهم: " إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتهم فيه".

فهاجر إلى الحبشة في أول الأمر إحد عشر رجلاً وأربع نسوة (الهجرة الأولى) وقبل النجاشي ملك الحبشة جوارهم وبسط عليهم حمايته وأمنه .

غير أن حب الوطن اشتد بهؤلاء المهاجرين وقد ترامت إليهم أخبار مكة أن قريش خففت من عدايتها للرسول ﷺ، وأصحابه ، فعادوا الى مكة ولكن ما أن عادوا الى مكة حتى وجدوا قريشاً لاتزال على عنادها وإصرارها على مقاومة الرسول ﷺ، وتعذيب أصحابه فعادوا مرة أخرى الى الحبشة (الهجرة الثانية) وبلغ عدد المهاجرين الى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وامرأة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ﷺ، وقد أكرمهم النجاشي ملك الحبشة وقد سافر وفد من المشركين من مكة للنجاشي بالحبشة للوقفة بينه وبين المسلمين ولكنهم لم يفلحوا وفي السنة العاشرة من نزول الوحي توفي عم الرسول ﷺ أبو طالب الذي كان يحميه من أهل قريش وقد مات على الكفر رغم تصديقه للرسول ﷺ ونصرتة له ثم ماتت زوجة الرسول ﷺ خديجة بعد عمه وقد أم نصيرين له وأصبح بقاؤه في مكة محفوفاً بالمخاطر وقد اشتد أذى قريش للرسول بعد وفاة عمه.

وهنا فكر المشركون في اغتيال الرسول ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة وقرروا أن يؤخذ من كل قبيلة فتى ويضربوه بالسيف ضربة رجل واحد وبذلك

يستغرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنوعه مناف أن يحاربوا العرب جميعاً وتوجه الرسول ﷺ إلى صديقه أبي بكر وأخبره أن الله أمره بالهجرة .

وأمر الرسول ﷺ على بن أبي طالب بأن يبيت في مكانه وتوجه الرسول ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور أسفل مكة ثم هاجر من مكة إلى يثرب وفي يوم الاثنين الموافق ١ يوليو من عام ٦٢١ م وهو اليوم الذي هاجر فيه محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى يثرب ومن ذلك اليوم يبدأ التاريخ الهجري للمسلمين ويرمز الي التاريخ الهجري بحرفي A H أي بعد الهجرة ويبلغ متوسط عدد ايام السنة القمرية ٣٥٤ يوما ، والشهور القمرية الاسلامية هي على النحوالتالى: محرم (٣٠يوما) صفر (٢٩ يوما) ربيع الاول (٣٠يوما) ربيع الثانى (٢٩ يوما) جمادى الاولى (٣٠يوما) جمادى الثانية (٢٩ يوما) رجب (٣٠ يوما) شعبان (٢٩ يوما) رمضان (٢٩ يوما) شوال (٣٠ يوما) ذو القعدة (٢٩ يوما) ذو الحجة (٣٠ يوما) ونظرا لان السنة الهجرية تقل عن السنة الشمسية بمقدار احد عشر يوما فان كل ٣٤ سنة قمرية تساوى ٣٣ سنة شمسية تقريبا ، وهذا يعنى ان هناك فارقا يصل الى حوالى ثلاث سنوات بين القرن القمري والقرن الشمسى من هنا يبدأ التاريخ الهجري .

وصل الرسول ﷺ يثرب وأصبحت يثرب بعد هجرة الرسول ﷺ إليها معقل الإسلام وملجأ جماعة المسلمين وسميت بعد ذلك المدينة المنورة لوجود قبر الرسول بها وقد اتخذ المسلمون السنة التى هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بداية للتاريخ الهجري عندهم .

وأصبح في المدينة ثلاث طوائف من السكان الطائفة الأولى المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والطائفة الثانية الأنصار وهم الذين دخلوا الإسلام من سكان المدينة وهم الأوس والخزرج وسموا بذلك لأنهم نصرروا النبي ﷺ على قريش والطائفة الثالثة اليهود وقد انتهى بهم الأمر الى الخروج تدريجياً من جزيرة العرب وقد نشر الرسول ﷺ الدين في المدينة وعقد صلحا بين الأوس والخزرج حيث كان بينهم عداوة وخصومة ، كما آخى بين الأنصار والمهاجرين ، وفي المدينة ظهرت أول حكومة نظامية للإسلام فقد استطاع الرسول ﷺ أن ينشر دينه في المدينة في فترة قصيرة .

الفصل الثانى

الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود

إثر هجرة الرسول ﷺ الى المدينة كان لابد من ترتيب المدينة ليبدأ الدعوة فقام بالتوفيق بين الانصار بعضهم مع بعض والتآخي بين الانصار والمهاجرين لذلك عقد مهادنة ومسالمة بين المسلمين واليهود الموجودين داخل المدينة وخارجها ليبدأ فى الدفاع عن الدعوة الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية خارج المدينة وعندما نقض اليهود العهد مع الرسول ﷺ وهو عقد الصحيفة كان لابد من اتخاذ موقف حازم معهم وذلك لأن اليهود قاموا بمساعدة كفار قريش فى المواجهات التى تمت بين كفار قريش والقوات الاسلامية سواء فى موقعة بدر أو موقعة احد او الخندق لذلك سوف نتناول هذه الموضوعات فى ثلاثة مباحث على النحو التالى :

- المبحث الأول : عقد التآخي بين المسلمين وعقد الأمان لليهود .
- المبحث الثانى : الدفاع عن الدعوة أثر الهجرة .
- المبحث الثالث : موقف المسلمين من اليهود .

المبحث الأول

عقد التآخي بين المسلمين وعقد الأمان لليهود

وسوف نبحث فى عقد التآخي بين المسلمين وعقد أمان اليهود وهو ما يعرف بعقد الصحيفة فى فرعين على النحو التالى :

الفرع الاول : عقد التآخي بين المسلمين وعقد الأمان لليهود .

الفرع الثانى : رأى المؤلف فى عقد التآخي وعقد الأمان لليهود .

الفرع الأول

عقد التآخي بين المسلمين وعقد الأمان لليهود

هاجر الرسول ﷺ وأتباعه من مكة إلى المدينة ووصلها فى ٢٠ ديسمبر ٦٢١م كان يوجد فى المدينة ثلاث طوائف أولهم الأنصار وانضم إليهم طائفة ثانية المهاجرون من مسلمى قريش وكان يوجد فى المدينة طائفة ثالثة طائفة اليهود وحتى تبدأ الدولة الإسلامية الأولى استطاع الرسول ﷺ أن يصلح بين القبائل

لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيعة قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، وأمن بالله واليوم الآخر ، ان ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شئ ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد ﷺ ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داوموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه واهل بيته ؛ وإن مالى يهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى الاوس مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف؛ الا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته ؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشطبية مثل ما ليهود بنى عوف ؛ وإن البر دون الاثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم احد إلا باذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فينفسه (فتك) وأهل بيته ، والا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم، وإنه لم ينتم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإنه مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعو الصلح يصلحونه ويلبسونه فأنهم يصلحونه ويلبسونه ، وإنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوس ، مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة

الفرع الثاني

رأي المؤلف في عقد التآخي بين المسلمين وعقد الأمان لليهود

ويرى المؤلف تعليقاً على التحالف الذي عقد بين الأنصار والمهاجرين وعقد الأمان لليهود وهو ما يسميه المسلمون عقد الصحيفة الآتي ..

أولاً: بالنسبة للتحالف بين الأنصار والمهاجرين في عقد الصحيفة :

- ١- أن كتاب الرسول ﷺ بالتحالف بين الأنصار والمهاجرين بحيث يجمع بين جميع المسلمين على اختلاف قبائلهم وان يجعل منهم أمة واحدة أمة إسلامية .
- ٢- طلب من المسلمين أن يتعاونوا على الباغي والظالم منهم حتى ولو كان والد إحداهم .
- ٣- وكل طائفة تقدي أسيرها بالمعروف والقسط والعدل بين المؤمنين .

ثانياً : بالنسبة لمهادنة اليهود في عقد الصحيفة وعقد الأمان :

- ١- أن البعض يردد أن الإسلام انتشر بحد السيف ، يقتل أصحاب الديانات المخالفة ويجبرهم على الدخول في الدين الإسلامي قهراً وبالغنف وهذه الوثيقة أو العهد الذي نحن بصددده الآن في السنة الأولى من الهجرة يكنب هذا الإدعاء فقد ذكر الرسول ﷺ في كتابه أن اليهود الموجودين في المدينة وهم أصحاب ديانات مخالفة لهم عهد وذمة الله وأنهم آمنون على حياتهم وعلى دينهم وأموالهم ويمارسون شعائهم الدينية فأين هو الإيجابار على الدخول في الديانة الإسلامية !؟
- ٢- أن المسلمين واليهود متساوون في المصلحة العامة .فتح الطريق لليهود والراغبين في الإسلام وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق .
- ٣- أن الدعوة لليهود إذا رغبوا في الدخول في الإسلام بلا إيجابار إنما يعطى دلالة أن الرسول ﷺ خير اليهود المقيمين بالمدينة بين البقاء على دينهم اليهودية وممارسة شعائهم أو الدخول في الإسلام ولهم حق الاختيار الكامل . وهذا يعطى دلالة أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف وأنه أعطى

لليهود عقد الأمان في نمة الله لأن الرسول ﷺ كان في مقدوره ألا يعطيهم حق الاختيار الحر وكان يستطيع أن يفرض ذلك بحد السيف لأن الأنصار من قبيلة الأوس والخزرج الذين أسلموا والمهاجرين من المسلمين كان عددهم أضعاف اليهود الموجودين في المدينة .

٤- ولكن الإسلام لا يقر ذلك المبدأ وهو اعتناق الإسلام بحد السيف لأنه يسير على مبدأ صريح وواضح وهو ما ورد في سورة البقرة الآية (٢٥٦) " لا إكراه في الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ، وما يرد في القرآن الكريم أوامر إلهية صارمة لا يجوز للرسول أو للمسلمين مخالفتها .

٥- لقد ثبت بالدليل القاطع كما سبق أن سردنا أن الرسول ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية بدأ بدعوة أصحابه في مكة ممن كان يتق فيهم فأسلم أبو بكر الصديق وخديجة وعثمان بن عفان والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وتبعهم غيرهم وكان الرسول يعرض الإسلام في موسم الحج على القبائل لدعوتهم للإسلام في مكة وقد اقتنع جماعة من الأوس والخزرج بدعوته وحينما عادوا إلى يثرب أو المدينة دعوا أهلها للدخول في الإسلام ، ثم ذلك دون أن يستل الرسول ﷺ سيفاً أو يقاتل أحداً بل العكس هو الصحيح لقد تعرض المسلمون للاضطهاد من المشركين في قريش وكان سلاحهم المهانة والضرب المفرط والتكيل بالمسلمين بأبشع ألوان التعذيب ولم يفكروا في خروج السيوف من أغمدتها وقد أمضى الرسول في مكة ثلاث عشرة سنة يدعوهم للدخول في الإسلام بالحجة والموعظة الحسنة في بداية الدولة الإسلامية .

٦- بعد ذلك التحالف بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين وعقد الأمان مع اليهود في مدينة يثرب بدأ الرسول ﷺ يباشر السلطة كزعيم ديني وديناوى في المدينة وقائد لا يعترفون بسلطان غير سلطانه وبدأ الإسلام يظهر كنظام سياسى ونظام دينى وأول شيء فعله الرسول ﷺ في المدينة العمل على إقامة الشعائر الدينية للديانة الجديدة فبنى مسجده الذى دُفن فيه واستبدل اسم يثرب بالمدينة المنورة لأن بها مسجد الرسول الذى دُفن فيه وبدأ بلال في الأذان للصلاة ويجتمع المسلمون للصلاة في الجامع وأمر الرسول بإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم وأمر بصوم شهر رمضان وبدأ المسلمون

يرتبون حياتهم الدنيوية والدينية طبقاً لاحكام وتعاليم الاسلام الذى يؤمنون به أي التسليم والخضوع لأمر الله ورسوله ﷺ .

٧- لذلك أحل الإسلام الوحدة الدينية محل الوحدة القبلية وجميع القبائل والشعائر على ديانة واحدة وأصبحوا جميعاً متساوين لا فرق بين السيد و العبد فالجميع متساوون في نظر تعاليم الإسلام وألف بين المسلمين جميعاً وفى ذلك يقول القرآن الكريم (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣) ، وبعد أن استتب الأمر بالإسلام للرسول داخل المدينة بدأ الرسول نشر الإسلام خارج المدينة بالحجة والإقناع للكفار الذين لا يؤمنون بالله وإلا فالقتال أما أصحاب الديانات الأخرى السماوية كاليهودية والمسيحية فكان يخبرهم بالإقناع فى دخول الإسلام أو القتال أو دفع الجزية (ضريبة الدفاع عنهم) والجزية مبالغ زهيدة يعفى منها أكثر من ٧٠% من الاشخاص أصحاب الديانات الأخرى فيعفى منها الشيوخ والعجائز والنساء والأطفال والرهبان وهى ليست عقوبة لعدم دخول الإسلام بل ضريبة لانتفاع غير المسلمين بالمراق العامة وضريبة دفاع عنهم من أي اعتداء خارجي وهذا الاختيار يعنى أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يردو بعض المستشرقين.

المبحث الثانى

الدفاع عن الدعوة إثر الهجرة

إثر الهجرة الى المدينة المنورة وبعد ان استقرت الأمور للرسول ﷺ وبعد عقد التحالف بين الأنصار الذين آمنوا بالدعوة الاسلامية من المدينة والمهاجرين الاوائل الذين هاجروا مع الرسول ﷺ من مكة الى المدينة وبعد عمل الصلح بين قبائل الأوس والخزرج بعد طول مقاطعة وبعد عمل عقد الامان بين المسلمين واليهود وبدأ الرسول فى نشر الدعوة الاسلامية خارج المدينة ولذلك حدثت عدة مواجهات عسكرية للدفاع عن العقيدة وهى الاسلام كنوع من الدفاع عن النفس او الدفاع عن الدعوة الاسلامية وكانت المواجهات العسكرية بين المسلمين وكفار

قريش قد انتهت بالهدنة ومما هو جدير بالذكر أن كل كتب السيرة النبوية الشريفة التي كتبت لسرد سيرة الرسول ﷺ، وخاصة كتاب السيرة النبوية اعداد بن هشام فى اربعة أجزاء كانت تطلق على الوقائع العسكرية التي حضرها الرسول ﷺ، بالغزوات وكان كتاب السيرة النبوية مثلاً يقولون غزوة بدر أو غزوة أحد أو غزوة الخندق ولكننى أرى أن كلمة غزوة تعنى فى معناها الغزو وهذا لم يحدث من الرسول ﷺ أن قام بالغزو العسكري فى أي موقعة بل كان الرسول ﷺ، فى جميع الوقائع العسكرية سواء بدر أو أحد أو الخندق فقد كان مدافعاً عن الدعوة الإسلامية ومدافعاً عن النفس ومدافعاً عن الدولة الإسلامية ولم يكن فى أي موقعة غازياً على سبيل المثال فى غزوة أحد قام الرسول ﷺ، باعتراض قافلة تجارية لكفار قريش لأخذ حقوق المسلمين لدى كفار قريش بعد أن لقي المسلمون فى مكة جميع أنواع العذاب عندما خرج المهاجرون من مكة الى المدينة استولى كفار قريش على أموالهم وديارهم وخرج المسلمون بملابسهم فقط فبذلك أصبحت هنالك أموال مستحقة للمسلمين لدى كفار قريش وفى غزوة أحد كانت للدفاع عن النفس وعن الدعوة الإسلامية لأن جيوش الكفار بقيادة أبى سفيان توجهت من مكة الى جبل أحد بالقرب من المدينة لمهاجمة المدينة لقتل المسلمين فلم يكن الرسول ﷺ غازياً بل كان مدافعاً عن المدينة وكذلك فى غزوة الخندق توجهت قوات الأحزاب مع كفار قريش الى المدينة لمهاجمتها وقتل المسلمين ولم يكن الرسول ﷺ غازياً بل كانت غزوة الخندق للدفاع عن النفس والدعوة الإسلامية .

لذلك اتخذت فى هذا الكتاب موقفاً محدداً بعدم تسمية هذه الغزوات باسم غزوة بدر أو غزوة أحد أو غزوة الخندق بل سميتها بموقعة بدر وموقعة أحد وموقعة الخندق وهذا أقرب الى الواقع فى تصوري وقد استشرت فى ذلك الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقد اقرنى على رأيي لذلك سوف نتناول هذه المواجهات العسكرية فى أربعة فروع على النحو التالى:

الفرع الاول : موقعة بدر الكبرى.

الفرع الثانى : موقعة أحد.

الفرع الثالث : موقعة الخندق أو الأحزاب.

الفرع الرابع : الهدنة مع قريش .

الفرع الأول

موقعة بدر الكبرى يوم الفرقان

وسوف نتناول موقعة بدر في نقطتين على النحو التالي :

النقطة الأولى : موقعة بدر الكبرى.

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقعة بدر الكبرى .

على النحو التالي :-

النقطة الأولى : موقعة بدر الكبرى

خرج الرسول ٨ رمضان في السنة الثانية للهجرة وذلك في عام ٦٢٣م ومعه كبار الصحابة وأكثر من ثلاثمائة من المسلمين من الأنصار والمهاجرين وكان يرافق الرسول كبار الصحابة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيد بن حارثة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وكان ذلك الجيش هو نواة الدولة العربية الإسلامية الوليدة وخرج جيش المسلمين لاعتراض قافلة تجارة قريش في طريق عودتها من الشام الى مكة وكان يرأس القافلة أبو سفيان أحد زعماء كفار قريش . وكان معظم أهل مكة قد ساهم في هذه القافلة التجارية التي قدرت تجارتها بحوالي خمسين ألف دينار وقد علم أبو سفيان بخروج المسلمين للتعرض لقافلة الكفار فأرسل لطلب النجدة من قريش للذود عن أموالهم فجمعوا جيشاً حوالي ألف رجل وقد استطاع أبو سفيان الهروب من المسلمين حيث غير مسار طريقة بأن عرج في طريق آخر غير الطريق الذي تسلكه القوافل عادة وغير مساره بمحاذاة البحر ووصل بالقافلة سالمة .

وكان موقف الرسول ﷺ صعباً فهو لم يخرج لمنازلة كفار قريش الذين أتوا من مكة ولكن خرج للتعرض للقافلة وبدأت المواجهة بين الجيشين بالمبارزة على عادة الحروب في هذه الأيام وبعد ذلك التقى الجيشان يوم الجمعة ١٧ رمضان السنة الثانية من الهجرة عام ٦٢٣م عند ماء بدر وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لكفار قريش وقد استشهد أربعة عشر من المسلمين في حين قتل من المشركين سبعون وتم أسر سبعين آخرين .

وفر الباقي من المعركة وكان من أبرز الأسرى عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب وابن عمه عقيل بن أبي طالب .

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقعة بدر

أولاً: كان لهذه الموقعة أثر كبير في تاريخ الإسلام فقد كانت أول صدام جدي بين المسلمين وكفار قريش وبلغ من اعتزاز المسلمين بهذه الموقعة أن سميت موقعة الفرقان لأن الله فرق بها بين الحق والباطل .

ثانياً: رغم أن أعداد كفار قريش كانت ثلاثة أضعاف أعداد جيش الرسول ﷺ إلا أن عقيدة الإيمان الكامنة داخل المسلمين أعطتهم قوة فوق قوتهم لأنهم يحاربون من أجل نصره دين الله وفي ذلك نزلت الآية في القرآن الكريم في سورة الأنفال الآية (١٧) ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

ثالثاً: استشار الرسول ﷺ أصحابه قبل القتال لأن معظمهم كانوا من الأنصار الذين لم يكن في شرط بيعتهم ما يلزمهم من المناصرة للرسول ﷺ خارج المدينة فقام سعد بن معاذ زعيم الانصار وأكد وقوف الأنصار إلى جانبه وبذلك تماسكت قوة المسلمين الأنصار والمهاجرين تحت لواء الرسول ﷺ أما كفار قريش كانوا منقسمين في الرأي بعضهم يريد القتال وراء حقد أبي جهل لمتابعة اضطهاد المسلمين الذي بدأ في مكة والبعض لا يريد القتال.

رابعاً: لقد لقي المسلمون في مكة جميع أنواع العذاب وعند ما خرج المهاجرون من مكة استولى كفار قريش على أموالهم وديارهم وخرج المسلمون بملابسهم فبذلك أصبحت هناك أموال مستحقة للمسلمين لدى كفار قريش وكان من الطبيعي أن يتعرض المسلمون لقوافل كفار قريش لأخذ جزء من حقوقهم المستولى عليها في مكة.

خامساً: وفي طريق العودة الى المدينة المنورة أمر الرسول ﷺ بضرب عنق اثنين من الأسري وهما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا من أشد الكفار أذى للمسلمين في مكة وقد أذاقوا المسلمين في مكة جميع أنواع العذاب وخاصة أنه لم يكن قد وضع نظام معين للأسري .

سادساً: بعد عودة الرسول ﷺ الى المدينة استشار أصحابه في أمر الأسري فاقترح أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفداء لأن فيهم الأخوان والعمومة وبنو العم وكان رأي عمر

التشاور الى اعتماد رأي بكر الصديق وهو القبول بالفدية وكانت الفدية فى ذلك الوقت بين ألف وأربعة آلاف درهم لكل أسير حسب عادة العرب .

سابعاً: رغم أن السراى انتهى الى قبول الفدية مقابل الإفراج عن الأسرى إلا أن الرسول ﷺ أمر بإطلاق سراح الفقراء الذين لا يملكون مالا .

ثامناً: أهم نتائج موقعة بدر ارتفاع شأن الدولة الإسلامية الوليدة فى شبه جزيرة العرب وإضعاف هبة قريش حيث أصبح طريق تجارتها مع بلاد الشام مهدداً وهو أهم ركائز مواردهم المالية .

تاسعاً: أدى انتصار المسلمين الى إضعاف شوكة اليهود داخل المدينة المنورة فى حين زاد تضامن المهاجرين والأنصار داخل الدولة الإسلامية الوليدة .

عاشراً: إنتصار واقعة بدر الكبرى أدى الى ظهور تشريع خمس الغنائم لبيت مال المسلمين بقول الله تعالى فى سورة الأنفال الآية (٤١) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ أُمَّتًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٤١)

الحادى عشر: بلغ من تأثر كفار قريش لهزيمتهم أنهم رصدوا جميع أموال تلك القافلة لحرب الرسول ﷺ والقضاء على أصحابه وهى تبلغ حوالى خمسين ألف دينار .

الثانى عشر: موقعة بدر لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف بل كانت للتعرض لقافلة تجارتكم لأخذ المسلمين جزءاً من حقوقهم المغتصبة وأموالهم ومنازلهم التى تركوها قبل الهجرة.

الفرع الثانى

موقعة أحد

وسوف نتناول موقعة أحد فى نقطتين على النحو التالى:-

النقطة الأولى: موقعة أحد

النقطة الثانية: رأي المؤلف فى موقعة أحد

النقطة الأولى : موقعة أحد

بعد حوالي عام من موقعة بدر الكبرى وإحساس كفار قريش أن تجارتهم مهددة مع الشام استطاع أبو سفيان أن بجميع جيشاً من قريش وحلفائها من قبائل كنانة وأهل تهامة الذين استطاع أبو سفيان جمعهم وتكون الجيش من حوالي ثلاثة آلاف مقاتل بينهم سبعمائة درع ومنهم مائتي فرس وثلاثة آلاف بعير وكانت قوات المشركين قد تجمعت قرب جبل أحد شمال المدينة المنورة لغزو المدينة .

وكانت قوات المسلمين بقيادة الرسول ﷺ حوالي ألف من المسلمين ثم انسحب منهم ثلاثمائة يقودهم عبد الله بن أبي سلول زعيم المنافقين الذين اعتنقوا الإسلام من غير اقتناع لذلك سمو بالمنافقين فبقى مع الرسول ﷺ سبعمائة رجل اختار منهم الرسول خمسين رامياً بقيادة عبد الله بن جبير وأمرهم بالتمركز على قمة الجبل لرمى النبال لحماية المسلمين من الخلف وبدأت المعركة بين ثلاثة آلاف رجل من كفار قريش وأتباعهم وسبعمائة مسلم وبدأوا بالمبارزة كعادة الحروب لدى العرب ثم التحم الجيشان وفي البداية انتصر المسلمون وهم قلة وتقهقر المشركون تاركين أرض المعركة ولكن المسلمين المتمركزين على قمة الجبل نرملوا النبال لحماية المسلمين نزلوا من الجبل مخالفين أمر الرسول ﷺ لكي يجمعوا الغنائم التي تركها الكفار واستغل كفار قريش هذا الخطأ وتوجه بعض محاربي قريش يحتلون قمة الجبل بقيادة خالد بن الوليد وانقض بفرسانه على المسلمين من جهة وبقية المشركين قابلوا المسلمين من جهة أخرى ووضعوا المسلمين بين فكي كمشاة وظهرت شائعة مقتل الرسول ﷺ فانسحب بعض المسلمين الى المدينة ولكن الرسول ﷺ أمر رجاله بالتجمع مرة أخرى أعلى جبل أحد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه والتف المسلمون حول الرسول ﷺ يقدونه بأرواحهم ويتساقطون شهداء دفاعاً عنه واحتمى المسلمون بأعلى الجبل هرباً من فك الكماشة وهكذا توقف القتال حينما احتفى المسلمون بأعلى الجبل وانسحب المشركون من المعركة مكتفين بهذا النصر المؤقت بعد أن قتل منهم ثلاثة وعشرون رجلاً فقط وقصد المسلمون أكثر من سبعين شهيداً دفنوا في أرض المعركة .

النقطة الثانية: رأي المؤلف في موقعة أحد :

أولاً: موقعة أحد كانت دفاعاً عن الدعوة الإسلامية لان كفار قريش بقيادة أبي سفيان توجهوا من مكة الى جبل أحد بالقرب من المدينة للقضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها قبل ان تنتشر في شبه الجزيرة العربية وتقضى على مصالح كفار قريش في مكة.

ثانياً: موقعة أحد كانت للدفاع عن النفس حيث أن البادئ جيوش الكفار بقيادة أبي سفيان الذي جمع أربعة أضعاف جيوش المسلمين وأتى بهم من مكة الى جبل أحد بالقرب من المدينة المنورة لغزو المدينة ومهاجمة المسلمين في بيوتهم .

ثالثاً: في بداية المعركة انتصر المسلمون ولكن عدم تنفيذ توصية الرسول ﷺ من الرماة الواقفين على أعلى الجبل لحماية ظهر المسلمين ونزولهم الى ارض المعركة لجمع الغنائم إثر تفهقر كفار قريش هو الذي خلق الثغرة القاتلة وجعل خالد بن الوليد يتمكن من إعتلاء جبل أحد ومحاصرة المسلمين في كمامشة ولو أنهم كانوا سمعوا توصيات الرسول ﷺ لما حدثت هذه النكسة في المعركة .

رابعاً : لقد خرج مع كفار قريش سبع عشرة امرأة تقودهم هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لتحريض الرجال على القتال والثأر لقتلى بدر والانتقام من المسلمين .

خامساً: لم يحضر العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ يوم أحد مع المشركين وتقول بعض الروايات أنه أرسل الى الرسول ﷺ سراً من يعلمه بخروج قريش له لأنه كان يؤمن بالرسالة في داخله.

سادساً: عندما سمع الرسول ﷺ بقدم قريش استشار الصحابة فيما يصنع فأشار قوم بلقائهم في خارج المدينة والبعض كان يري البقاء في المدينة وكان ذلك رأي الرسول ﷺ لحصانتها الطبيعية ومناعتها وسهولة الإحاطة بالعدو وانتفاع المسلمين بمساعدة كبيرة من النساء والأطفال بأن يلقوا الحجارة على المشركين وهم في دورهم آمنين وقد قبل الرسول ﷺ بالرأي الأول لأنه رأى الأغلبية رغم أنه مخالف لسرايه فقرر الخروج لمقابلة المشركين خارج المدينة مؤكدا النظام الديمقراطي في الأخذ برأي الاغلبية ..

سابعا: استبسل المسلمون فى الذود عن حياة الرسول ﷺ ورغم ذلك جرح فى وجنتيه وشج رأسه لأنهم يدافعون عن العقيدة الراسخة فى نفوسهم بالدفاع عن نبيهم لأن هدف كفار قريش ليس هزيمة جيش المسلمين ولكن هدفهم الأساسى هو قتل الرسول ﷺ.

ثامناً : وصلت الكراهية عند أهل قريش للمسلمين لدرجة فاقت كل التصورات حتى أن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وأخذت مضغة من كبده تأكلها حتى أن عجزت عن أكلها لفظتها وقام الكفار بالتمثيل بأجسام المسلمين المصابين بطريقة وحشية منها جذع الأنوف وقطع الأذان وبقر البطون .

تاسعاً: قام الرسول ﷺ بالنهاى عن التمثيل بجثث الكفار رغم ما فعله الكفار بالتمثيل بجثث المسلمين مؤكداً طبعة الطيب الانسانى.

عاشراً : أسفرت موقعة أحد عن هزيمة مؤقتة للمسلمين الذين عادوا للمدينة بعد أن قلدوا سبعين شهيدا وقد استفاد المسلمون من درس الهزيمة وأهم هذه الدروس طاعة أوامر الرسول ﷺ فلو كان الرماة وقفوا فى أماكنهم فوق الجبال لما حدث ما حدث من هزيمة .

الحادي عشر: فى موقعة أحد و بعد استشهاد اكثر من سبعين رجلا من المسلمين نزلت آية القرآن الكبرى فى سورة آل عمران الآية (١٦٩) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩)

الفرع الثالث

موقعة الخندق " الأحزاب "

وسوف نتناول موقعة الخندق فى نقطتين على النحو التالى:

النقطة الاولى : موقعة الخندق أو الأحزاب

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى موقعة الخندق أو الأحزاب

النقطة الأولى : موقعة الخندق :

خان اليهود عهد الامان مع الرسول ﷺ فحرضوا عدة قبائل لمقاتلة المسلمين للانتهاك من ذلك الخطر على مصالحهم الذى يمثله الرسول ﷺ وأتباعه فحرضوا قبائل قريش وغطفان وبنى مرة وسليم وأشجع وخزارة وسعد وأسد للأخذ

بتأثرهم من المسلمين وأكدوا وقوف اليهود الى جوارهم فى القتال فخرجت هذه الأحزاب من القبائل فى قوات كبيرة بلغت عشرة آلاف مقاتل للزحف على المدينة ومهاجمة المسلمين فى ديارهم لذلك سميت موقعة الأحزاب .

وأمام هذه الأعداد الكبيرة من الأحزاب المتحالفة ضد الإسلام اتخذ الرسول قرار التحصن فى داخل المدينة والدفاع عنها اعتماداً على موقعها الطبيعى الحصين فقد كانت المدينة محصنة من جميع الجهات بالجبال والنخيل حيث يحيط بالمدينة الصخور البركانية والجبال من الناحية الشرقية وجبال الوبرة من الغرب وبساتين النخيل يليها جبل سلع من الجنوب ولا توجد جهة خالية إلا الجهة الشمالية لذلك قرر الرسول ﷺ تحصينها حيث يتوقع هجوم الأحزاب من هذه الجهة الشمالية فأشار الرسول ﷺ بحفر الخندق لمنع الخيول من اجتيازه وتم حفر خندق بمعرفة المسلمين وكان الخندق بطول يصل الى خمسة كيلو مترات وعرض ستة أمتار وعمق خمسة أمتار وذلك لمنع دخول الكفار والأحزاب للمدينة أوخيولهم واتخذ المسلمون مواقعهم الدفاعية خلف الخندق وعندما وصلت قوات الأحزاب بقيادة أبى سفيان وعددها عشرة آلاف مقاتل فوجئوا بهذا الخندق الكبير ففرض المشركون حصارهم على المدينة وقد حاول بعض فرسان المشركين عبور الخندق فكانوا يسقطون فيه فاكتفى المشركون بالحصار واشتدت الضائقة على المسلمين بسبب طول فترة الحصار ونقص المواد الغذائية والبرد القارص فى لىالى الشتاء ولجأ الرسول ﷺ الى الحيلة فأرسل نعيم بن مسعود بن عامر للوبيعة بين اليهود من بنى قريظة وكفار قريش وقبيلة غطفان وذلك لزعة الثقة بين اليهود والمشركين ثم ارسل الله عاصفة شديدة رافقتها المطر لتقلع خيام المشركين وتلقى الرعب فى نفوسهم وحينما لم يجد الأحزاب فائدة قرر أبو سفيان فك الحصار والعودة إلى مكة بجيوشه وكان خالد بن الوليد يحمى المشركين بفرسانه فى المؤخرة وقد خسر المسلمون فى هذه الموقعة ستة شهداء أصيبوا بسهام المشركين فى حين خسر المشركون أربعة.

النقطة الثانية: رأي المؤلف فى موقعة الخندق :

أولاً: موقعة الخندق ليس كما يدعى المستشرقون أن جميع المواقع الحربية التى خاضها المسلمون بغرض فرض الإسلام بحد السيف فهذه الموقعة (موقعة الخندق)

دفاع عن النفس فالمسلمون من الأنصار والمهاجرين موجودون في المدينة وقام اليهود بتجميع الأحزاب من القبائل وعلى رأسهم قريش لمهاجمة المسلمين في المدينة وتحركوا من مكة إلى المدينة لقتل الرسول ﷺ واتباعه فقام الرسول ﷺ والمسلمون بالدفاع عن النفس .

ثانياً: ثبت في موقعة الخندق أن اليهود هم المحرضون الأساسيون لها فقد حرضوا قريشاً ثم توجهوا إلى قبيلة غطفان وقبيلة بنى مرة ثم توجهوا إلى قبائل سليم واشجع وفزارة وسعد و أسد وحرصوهم على قتال المسلمين لذلك فقد كان الرسول معه كل الحق حينما طردهم من المدينة لانهم نقضوا العهد الذي أبرمه معهم وانضموا في موقعة أحد إلى أعداء الإسلام وكانوا كالثوكة في ظهر المسلمين أثناء وجودهم في المدينة بإعطاء أسرارهم لكفار قريش واحداث المشاكل داخل المدينة ومحاولة الوقيعة بين الأنصار والمهاجرين .

ثالثاً: كانت قوات العدو الكافرة من الاحزاب التي تم تجميعهم من عدة قبائل عشرة آلاف مقاتل وكانت قوات المسلمين لا تتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل وقد أخذ الرسول ﷺ المشورة بين رجاله فكان البعض يري أن يخرجوا لمقاتلة الكفار خارج المدينة وكان رأي الرسول ﷺ ذاته أن يتحصن في المدينة والدفاع عنها اعتمادا على موقعها الجغرافي وكان رأي سلمان الفارسي أن يحفر خندق من الجهة الشمالية لمنع الكفار من دخول المدينة ومنع خيولهم من اجتياز الخندق وهو ما اخذ به الرسول ﷺ وهذا يؤكد حنكة الرسول الحربية والسياسية .

رابعاً: كانت فكرة الخندق جديدة على حروب العرب في الجزيرة العربية فهي أول مرة في تاريخ الحروب العربية تستخدم فكرة حفر الخنادق لتحجيم دور الفرسان والخيول العربية التي هي حجر الزاوية في الحروب العربية .

خامساً: كان طول الخندق حوالي خمسة كيلو مترات وبعرض ستة أمتار وعمق خمسة أمتار وتم حفره البعض قال في ستة أيام والبعض قال في اقل من شهر وهذا يبين الجهد الخارق الذي بذله المسلمون الأوائل وخاصة انه لا توجد آلات حديثة فكل ما هو موجود الفأس والمقطف وكان الحركة الدافعة للقيام بهذا العمل الكبير هو الإيمان بالعتيدة وبالإسلام دين الله ومحاولة بذل الروح من اجله.

سادساً : حينما وصلت قوات الكفار لحصار المدينة بعد أن شاهدوا الخندق كانت القوات الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ بين عدوين الكفار قبل الخندق في حصارهم للمدينة واليهود من بنى قريظة بقيادة كعب بن الأسد الموجودين داخل المدينة الذين نقضوا العهد مع الرسول لأنهم أحسوا أن الكفار سوف ينتصرون على المسلمين ، فانضموا إليهم وهي لعبتهم دائما في كل العهود " يلعبون على الراحبة " على رأي المثل الشعبي حينما كانت بريطانيا هي القوة العظمى انضموا إليها واليوم الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العظمى انضموا إليها وغدا في المستقبل سوف تظهر قوى عظمى أخرى سوف تجد اليهود قد انضموا إليها فهذه هي صفة لصيقة باليهود فقد انضموا للأحزاب والكفار لأنهم أحسوا أنهم القوى العظمى القادرة في شبه الجزيرة العربية على القضاء على الإسلام والمسلمين ولكن الله خيب آمالهم .

سابعا : فكرة الخندق كان لها الفضل في حماية المسلمين فقد حاول فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد عبور الخندق فلم يفلحوا وقد سقط منهم الكثيرون في الخندق بخيولهم أمثال عكرمة بن أبي جهل وخبيبره بن أبي لهب وضار بن خطاب وعمرو بن عبدون .

ثامنا : اشتدت الضائقة على المسلمين بسبب طول الحصار ونقص المواد الغذائية والبرد القارس في ليالي الشتاء ونقض يهود بنو قريظة العهد مع الرسول ﷺ فدعا الرسول على الأحزاب وهو الدعاء الموجود حتى الآن " لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله "

تاسعا : لفك الحصار لجأ الرسول ﷺ إلى الحيلة كوسيلة لفك الحصار والحيل أحد الوسائل المشروعة في الحروب فأرسل رجل يدعى نعيم بن مسعود بن عامر للوقعة بين قبيلة غطفان ويهود بنى قريظة وكفار قريش واستطاع ذلك الرجل الذي أسلم ولا يعرف الجميع بإسلامه أن يوقع بين الجميع وخاصة أن الحصار طال وبدأ صقيع البرد يهب عليهم وقسوة الشتاء فتم نزع الثقة بين اليهود والمشركين فالحرب كما يقولون خدعة وبفقد الثقة بين كفار قريش ويهود بنى قريظة حدث بينهم الشقاق والخلاف في أهداف هذه الحرب وبث بينهم الوقيعة.

عاشراً: كان من رحمة الله على المسلمين أن قامت عاصفة شديدة رافقتها المطر الغزير لتقتلع خيام المشركين وتقلب قُدورهم وتطفئ نيرانهم وباقتلاع الخيام أصبحت جيوش المشركين فى العراء فانهالت عليهم الأمطار الغزيرة وتبللت أجساد وملابس جيوش الكفار فى هذا الجو الشديد البرودة فاصيب الكثير منه وهنا نزلت آية القرآن الكريم من سورة الأحزاب الآية (٩) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا).

لذلك أمر أبو سفيان بفك الحصار والعودة إلى مكة إذ لم يجد أي وسيلة أن يدخل بجنوده وخيوله إلى المدينة لقتل الرسول ﷺ والمسلمين .

الحادي عشر: كانت هذه الموقعة وهى موقعة الخندق دفاعاً عن الدعوة الإسلامية فلو استطاعوا دخول المدينة لقاموا بقتل الرسول ﷺ والمسلمين وكانت الدعوة تكاد تضعف فى بدايتها فهذه الموقعة دفاعاً عن الدعوة الإسلامية ذاتها التى استمرت فى مسيرتها حتى اليوم .

الثانى عشر : وترتب على هذه الموقعة أن ذاع صيت الرسول ﷺ والمسلمين فى شبه الجزيرة العربية وخيبة قريش والكفار فى تأمين تجارتهم وظهر نصر المسلمين بقيادة الرسول ﷺ يقابله الانكسار لكفار قريش الذين عادوا إلى مكة .

الفرع الرابع

الهدنة مع قريش

سوف نتناول موضوع الهدنة مع قريش فى نقطتين على النحو التالى :

النقطة الأولى : الهدنة مع قريش

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى الهدنة مع قريش .

النقطة الأولى : الهدنة مع قريش :

فى ذى القعدة فى السنة السادسة للهجرة عام ٦٢٧م خرج الرسول ﷺ فى زيارة للبيت الحرام و أداء العمرة ومعه حوالى ألف وأربعمائة من المسلمين ولا

يحملون غير السيوف في أعمادها وبعض الغنم التي تهدي إلى الحرم للذبح وكان قرار قريش منع المسلمين من دخول مكة ومنعهم من أداء العمرة وخرج كفار قريش إلى وادي بلدح حيث عسكروا فيه لمنعهم من أداء العمرة وهذا ما كان يتوقعه الرسول وحيث أن الرسول لم يكن في نيته محاربة كفار قريش فقد سلك الرسول ﷺ بالمسلمين طريقاً وعبراً نحو جنوب مكة حتى وصلوا إلى منطقة الحديبية قريبة من مكة وظن الكفار أن الرسول ﷺ والمسلمين سوف يدخلون مكة بالعنف فوجد كفار مكة أن موقفهم صعب أمام العرب في شبه الجزيرة العربية حيث اقسما بالأبى يؤدي المسلمون العمرة ولكن إذا حارب الكفار المسلمين فسوف يكون ذلك داخل أرضهم في مكة وعسكر المسلمون في الحديبية ولم يرغبوا في دخول مكة عنوة فندب الرسول ﷺ عثمان بن عفان للذهاب إلى قريش لمكانته فيهم للتعرف على السبب في منعهم المسلمين من الطواف ببيت الله الحرام فحجزت قريش عثمان عندها وشاع بين المسلمين أنه قتل لانه لم يعد بعد ثلاثة أيام فدعا الرسول ﷺ إلى مبايعته على قتال قريش فبايعه المسلمون على الموت تحت شجرة في الوادي فسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان وهي التي نزل فيها آية القرآن الكريم في سورة الفتح آية (١٨) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) ولما علمت قريش بأمر البيعة أرسلت إلى الرسول للعدول عن دخول مكة هذا العام وأرسلت وفداً على رأسه سهيل بن عمرو وهو خطيبهم المفوه وقد تم الاتفاق على الهدنة وسميت صلح الحديبية نصها على النحو التالي :

(باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا أسلال ولا أغلال وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فأقمت بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها).

ومن هذا الاتفاق بين المسلمين وكفار قريش على الهدنة وهو صلح
الحديبية يتضح أن أهم بنودها الآتي :

- ١- أن تطلق قريش سراح عثمان بن عفان ويطلق المسلمون من أسروهم من قريش.
- ٢- أن تتوقف الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين .
- ٣- أن يرد الرسول ﷺ من يأتيه من قريش لدخول الإسلام بدون إذن وليه .
- ٤- عدم التزام قريش برد من يأتي اليهم من عند المسلمين .
- ٥- أن من أحب الدخول في عقد قريش وعهدها له ذلك
- ٦- أن من أحب الدخول في عقد الرسول ﷺ من غير قريش له ذلك .
- ٧- أن يرجع الرسول ﷺ هذا العام الى المدينة من غير أداء العمرة على أن يأتي المسلمون في العام القادم لمكة .
- ٨- أن يدخل المسلمون في العام القادم مكة بعد أن يخرج منها أهل قريش ويقيموا بها ثلاثة أيام وليس معهم السلاح الا السيوف في الأغصان .

النقطة الثانية : رأي المؤلف في هدنة الحديبية :

أولا : كتب الهدنة على بن أبي طالب بناء على الصيغة التي اقترحها سهيل بن عمرو العامري من أهل قريش ويلاحظ أن صيغة الهدنة بدأت : " باسمك اللهم " كما أراد سهيل وليس " باسم الله الرحمن الرحيم " كما أراد الرسول ﷺ .

ثانيا : لقد كتب في الهدنة " محمد بن عبد الله " كما أراد سهيل وليس " محمد رسول الله " كما أراد الرسول ﷺ وهذا يعني أن سهيل بن عمرو لا يعترف بدين الإسلام ورسوله.

ثالثا : أن النص الأساسي في الهدنة ذكر " هذا ما صالح " أي انه صلح بين المسلمين وقريش ولكنه في حقيقته هدنة وليس صلحا لأن عدم القتال لمدة محددة وهي عشر سنوات وليس عدم الحرب والقتال دائما.

رابعا : وقع على عقد الهدنة كشهود من المسلمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبي طالب ﷺ ووقع عليها من المشركين سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص وبديل بن ورقاء .

خامساً: كان عهد الحديبية حكمة سياسية من الرسول ﷺ تدل على بعد نظره ترتب عليها أن نظرة قبائل شبه الجزيرة العربية الى المسلمين تغيرت واقتنعوا بأن الرسول ﷺ يجنح إلى السلم دائما وبعدها دخل المسلمون في دين الإسلام عن قناعة.

سادساً: اعترض الصحابة في أول الأمر أن تكون نصوص الهدنة يسمح فيها برد من يريد دخول الإسلام من قريش بدون إذن وليه ولا تلتزم قريش برد من يأتي اليهم من المسلمين ولكنها حنكة سياسية للمهادنة حتى يقوى عزم وصلابة المسلمين وتقوي شوكتهم .

سابعاً: كان في مقدور الرسول ﷺ أن يدخل مكة عنوة وبالقوة وخاصة أن معه ألف وأربعمائة مقاتل وهو على مقربة من مكة وقد عسكر كفار قريشاً بعيداً عن مكة في وادي بلدح لمواجهة المسلمين ومنعهم من دخول مكة وكان مع المسلمين السيوف وهي أداة الحرب في ذلك الوقت، ولكن الرسول ﷺ أرسل إليهم عثمان بن عفان ﷺ للاستئذان في دخول مكة سلماً ولكن قريش أسروه.

ثامناً: لقد تبينت الحنكة السياسية للرسول ﷺ في هدنة الحديبية انه أظهر قريشاً لكل سكان شبه الجزيرة العربية انهم معتدون و أظهرهم بمظهر المعتدى الذي يمنع زيارة البيت الحرام للعرب .

تاسعاً: أراد الرسول ﷺ من هذه الأحداث أن يظهر لعرب الجزيرة تعظيم الحج والعمرة أمام العرب حتى يعرفوا جوهر الإسلام الذي اعتبر الكعبة الشريفة قبلة الصلاة والمسلمين .

عاشرًا: بعد أن أسر أهل قريش عثمان بن عفان كان يمكن للرسول ﷺ أن يدخل مكة عنوة لاطلاق سراحه ولكنه رفض أن يدخل الحرب معهم بقرار منفرد بل انه بعد أن سرت إشاعة مقتل عثمان بن عفان ﷺ بعد أن مضى في مكة ثلاثة أيام أسيراً في قريش طلب الرسول ﷺ من المسلمين مبايعته على القتال وتم مبايعة المسلمين تحت شجرة في الوادي وسميت ببيعة الرضوان وهكذا يؤكد مبدأ تشاور الرسول ﷺ مع أصحابه في المسائل المصيرية .

الحادي عشر : توجه الرسول ومعه ألف وأربعمائة من رجاله لمكة للعمرة وليس للحرب وفرض الإسلام بالقوة وبحد السيف كما يدعى البعض ولكنه أتى مسالماً لأداء العمرة والطواف حول البيت الحرام .

الثاني عشر : كانت هدنة الحديبية نصراً للمسلمين واطهرت سماحة الإسلام وأدركت قريش سماحة الإسلام و أحس أهل قريش أن الإسلام سوف ينتشر ويغزو مكة لذلك أسرع قادة قريش وعلى رأسهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم وعقدوا النية على الدخول في الإسلام ووقف خالد بن الوليد في قريش يقول ((وقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر وان كلامه من كلام رب العالمين يحق على كل ذي لب أن يتبعه)) وفزع عكرمة بن أبي جهل أن يقول ذلك خالد بن الوليد وسط أهل قريش فقال عكرمة بن أبي جهل لخالد " لقد صبأت ياخالد " فقال خالد له " لم أصبأ" ولكني أسلمت " وهذا تم وسط أهل مكة بدون أي ضغط فأين هو حد السيف في انتشار الإسلام بين قادة قريش لقد انتشر الإسلام بين قادة قريش عن اقتناع وبعد ذلك وجدنا خالد بن الوليد وعمرو بن العاص سادة قريش يتوجهان بإرادتهما الحرة من مكة إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ واسلما أمامه وبايعاه وهذا ما حدث بعد صلح الحديبية.

المبحث الثالث

موقف المسلمين من اليهود

رأي اليهود جماعة المسلمين تتكاثر والإسلام ينتشر وأن جميع مصالح اليهود القائمة فرضوها على العرب بقولهم انهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحباؤه أصبحت مهددة باستقرار الأمر للمسلمين لذلك أيقن اليهود أنه لا سبيل للمحافظة على مصالحهم وضمان اطمئنانهم في الجزيرة إلا بالقضاء على الرسول ﷺ واتباعه لذلك بدأوا يكيدون للإسلام والمسلمين بكافة الطرق وينتهزون الفرصة لمحاولة قتل الرسول ﷺ تارة وتآليب العرب على المسلمين تارة أخرى

وتجميع وتأليب الأحزاب عليهم وتجميع القبائل العربية لمحاربة المسلمين ومساعدتهم في ذلك وخيانة العهود التي أبرمت مع المسلمين ونقضها في أخرج الأوقات وهذه عاداتهم دائماً، وكان لزاماً على الرسول ﷺ بعد أن انتهى خطر الأحزاب من قریش ومن اتجه معهم إلى المدينة أن يوجه اهتمامه إلى اليهود ليؤدبهم على نقضهم العهود وتحالفهم مع أعدائه من مشركى مكة وغيرهم، حيث أن الرسول ﷺ فى السنة الأولى من الهجرة وقع عقد أمان مع اليهود فى المدينة بموجبه كان هناك عقد مسالمة بين المسلمين واليهود وأقرهم على دينهم و أموالهم وسوي بين اليهود والمسلمين فى المصلحة العامة وفتح الطريق للراغبين من اليهود فى الدخول فى الإسلام أو البقاء على دينهم بحريتهم دون ضغط أو إكراه وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق ولكن نقض اليهود الدائم للعهود وانحيازهم لأعداء الإسلام من الكفار ومساعدتهم كفار قریش فى الحروب جعل الرسول ﷺ يتخذ موقفاً منهم ليس لانه ضد اليهود، ولكن لان اليهود نقضوا العهد لذلك اتخذ الرسول ﷺ موقفاً من يهود بنى قينقاع ومن يهود بنى النضير ومن يهود بنى قريظة ومن يهود خيبر وسوف نبحث ذلك فى أربعة فروع على النحو التالى :

الفرع الأول : موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع .

الفرع الثانى : موقف المسلمين من يهود بنى النضير

الفرع الثالث : موقف المسلمين من يهود بنى قريظة .

الفرع الرابع : موقف المسلمين من يهود خيبر .

الفرع الأول

موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع

سوف نتناول موضوع موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع فى نقطتين

على النحو التالى :

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع.

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع.

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع :

يهود بنى قينقاع من اليهود الذين كانوا يسكنون داخل المدينة المنورة وهم أكثر اليهود تحدياً للمسلمين وكانوا يتاجرون فى سوق الصاغة وذات يوم قصدت امرأة مسلمة ذلك السوق فسخر منها يهودي من بنى قينقاع وعبث بثيابها لتظهر بعض عورتها فأخذت الغيرة أحد أقاربها من المسلمين فقتل اليهودى فتجمع اليهود على المسلم وقتلوه فانذرهم الرسول ﷺ بالكف عن أذى المسلمين ولما تكررت الحوادث ضد المسلمين - رغم انذار الرسول ﷺ لهم - أمر الرسول ﷺ بمحاصرة بنى قينقاع داخل دورهم فاضطروا للنزول على حكمه بعد حصار استمر خمسة عشر يوماً حيث كان من رأى الصحابة شد وثاقهم وقتلهم جميعاً ولكن الرسول ﷺ رضى بوساطة عبد الله بن أبى سلول فأمر بإجلائهم فغادروا المدينة المنورة وكانوا حوالى ألف رجل ليرحلوا إلى منطقة اذرعات فى شمال الحجاز وعلى حدود بلاد الشام .

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع :

أولاً: أن اليهود نقضوا العهد المبرم مع الرسول ﷺ فى السنة الأولى للهجرة حيث تم تنظيم العلاقة بين سكان المدينة من خلال عقد الصحيفة وهى أول معاهدة فى الإسلام فقد كان سكان المدينة يتكونون من العرب وهم الأوس والخزرج ثم انضم إليهم المسلمون المهاجرون من مكة وكذلك اليهود المقيمون فى المدينة وطائفة أخرى هم المنافقون وهم الذين دخلوا الإسلام من غير إيمان وصدق ، يبطنون الشرك ويظهرون الإسلام ، وقد بدأ الرسول ﷺ فى إزالة الخصومة بين الأوس والخزرج من أهل يثرب ثم بدأ فى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أى اتخاذ المهاجر أخاً له فى الله من الأنصار فتم بذلك الدمج الاجتماعى بين المهاجرين والأنصار بعد أن اندمجوا فى الدين فكانوا نواة المجتمع الإسلامى الأول وتأقلم المهاجرون بسرعة مع حياتهم الجديدة وظهر الأنصار كرم الضيافة لهم وكانت الصحيفة أول وثيقة سياسية وقع عليها الرسول ﷺ للتأخي بين الأنصار والمهاجرين وعاهد فيها يهود المدينة وأعطاهم الأمان على شعائرهم وأموالهم ولهم نفس حقوق المسلمين وكان ذلك بمثابة أول معاهدة مع اليهود تعقد فى الإسلام ولكن اليهود نقضوا عهد الأمان فكان لزاماً على الرسول ﷺ معاقبة اليهود على نقضهم العهد بترحيلهم .

ثانياً: كان أهم بنود الصحيفة وهي عهد مع اليهود قيام حلف عسكري بين المسلمين واليهود لرد الاعتداء على كل معتد على المدينة للدفاع عن المدينة وان يشترك الطرفان في نفقات الحرب شرط أن تكون الحرب مشروعة وان يتشاورا من قبل أن يدخلها أى طرف ولكن اليهود لم يفعلوا أي شئ للدخول في مناصرة المسلمين ضد الأعداء المشركين الذين يحاولون الاعتداء على المدينة ولم يدفعوا أي مقابل للدفاع عن المدينة أو يشتركوا بأي نفقات بل العكس صحيح كانوا يعطون أسرار المسلمين للأعداء وخاصة في موقعة الأحزاب .

ثالثاً: لم تحدد الصحيفة عهد الأمان دفع أي جزية على اليهود في المدينة بل كان الهدف منها عقد سلم دائم مع اليهود ولكن اليهود نقضوا عهد السلم مع المسلمين والرسول واخذوا يثيرون للرسول ﷺ المتاعب لعدم استقرار الدولة الإسلامية الوليدة بإثارة الشكوك والشبهات حول النبي والايقاع بين المسلمين وكان على رأس المشككين من بنى قينقاع شاس بن عدى وشاس بن قيس ورافع بن أبي رافع وأخذ هؤلاء اليهود يطرحون الأسئلة للتشكيك في الإسلام فسألو الرسول ﷺ إذا كان الله قد خلق الخلق فمن خلق الله ذاته فكان جوابه ما ورد في القرآن في سورة الإخلاص " (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ثُمَّ طلب اليهود من الرسول أن يأتيهم بالمعجزات وبكتاب من السماء أن كان حقاً نبياً فنزل قول الله في القرآن في سورة النساء الآية (١٥٣) (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) وحاول اليهود إحراج الرسول ﷺ بالأسئلة المختلفة في مختلف الأزمنة وعن شروط الساعة وما يأكله أهل الجنة وكان الغرض من الأسئلة التشكيك في الرسالة المحمدية ولكن الرسول ﷺ كان يرد بما أنزل الله عليه في القرآن ولكنهم كانوا كالتابور الخامس يطعنون الرسول ﷺ والمسلمين من الخلف للنيل من الرسول ﷺ والمسلمين وهدفهم تشكيك المسلمين في دينهم .

رابعاً: عندما أوحى الله إلى الرسول ﷺ بعد حوالي سنة ونصف من الهجرة أن يجعل القبلة شطر المسجد الحرام بدلاً عن بيت المقدس أتكّر اليهود ذلك وزاد

تشكيكهم فى الديانة الإسلامية ومحاولة إيجاد الفتنة بين المسلمين فاستغل اليهود ذلك وسألوا المسلمين عن الذين ماتوا منهم وهم على صلاتهم شطر بيت المقدس وكان ذلك لمحاولة الفتنة بين المسلمين فنزل قول الله فى سورة البقرة الآية (١٤٣) (وَمَا جَعَلْنَا الْقَبِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) وهكذا دائماً كان اليهود يحاولون التشكيك والفتن بين المسلمين .

خامساً: حاول اليهود إثارة الحقد والكراهية بين الأنصار من الأوس والخزرج فاعزز شاس بين قيس اليهودى إلى أحد فتيه اليهود فجلس مع جماعة الأوس والخزرج لإشعال الفتنة بينهم التى كادت تؤدي إلى الاقتتال بينهم لولا تدخل الرسول فألقوا السلاح وتعاونوا فى الإسلام .

سادساً: كان اليهود دائمى التهجم على الله ويسخرون من القرآن الكريم والرسول ﷺ وقد اضطر أبو بكر الصديق إلى ضرب وجه فحاص اليهودى بسبب تهجمه على الله وسخريته من القرآن فعندما كان يدعو أبو بكر الصديق بالافتتاح إلى الدخول فى الإسلام رد عليه اليهودى (والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر دون وانه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه أغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه لو كان عنا غنيا ما أعطانا) .

سابعاً: لعب اليهود دورا كبيراً فى شن الحرب النفسية على المسلمين لهزيمتهم فى موقعة أحد للنيل من عزيمة المسلمين ودفعهم دفعا للهزيمة فقد أطلقوا شائعة قتل الرسول ﷺ أثناء موقعة أحد وأن المسلمين قد هزموا وان جيش مكة يقترب من دخول المدينة حتى تنهار الجبهة الداخلية للمسلمين ويفر المسلمون من المدينة بعد إشاعة مقتل الرسول ﷺ انهم كانوا بحق جواسيس لكفار قريش داخل المدينة .

ثامناً : وفى موقعة بدر فى السنة الثانية للهجرة فى ٦٢٣ م كان اليهود يحرضون أهل قريش على الرسول ﷺ فكان أبو عتل اليهودي ينشد الشعر طعناً فى المسلمين وتحريضاً لكفار قريش عليهم لذلك كان على الرسول ﷺ أن يؤمن جبهته الداخلية فيرحل اليهود عن المدينة حتى لا يهتز الاستقرار بين الأنصار والمهاجرين وهذا ما

تعلله أي زعامة في الوقت الحاضر أو أي حاكم في أي دولة متقدمة الآن يؤمن جبهته الداخلية من جواسيس أعدائه .

فاسعاً: يقول بعض المستشرقين وعلى رأسهم مرجليوث أن الغرض من إغارة المسلمين على اليهود إنما هو الحصول على الغنائم وهذا غير صحيح لأن الغرض الأساسي من طرد اليهود من المدينة أنهم نقضوا العهد وانهم لم يتعاونوا مع المسلمين في الدفاع عن المدينة وأنهم كانوا مع أعداء المسلمين يناصرونهم وانهم عملوا على تفكيك الجبهة الداخلية وعدم استقرار الدولة الإسلامية الأولى في المدينة فالحقيقة أن جلاء اليهود كان لتأمين الجبهة الداخلية حماية للدولة الإسلامية الوليدة وهو حق مشروع.

عاشراً: كان رأي الصحابة هو قتل جميع اليهود ولكن الرسول ﷺ رضى بوساطة عبد الله بن أبي سلول و أمر بإجلائهم أحياء من المدينة ولم يقتل منهم أحداً رغم أن أعداد المسلمين أضعاف أضعاف اليهود وكان يمكن قتلهم جميعاً بلا رحمة لما فعله اليهود من معاونة المشركين ولكن الرسول ﷺ رفض ووافق على خروجهم أحياء دون أن يمسه أحد .

الفرع الثاني

موقف المسلمين من يهود بنى النضير

وسوف نتناول موضوع موقف المسلمين من يهود بنى النضير في نقطتين على النحو التالي :

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى النضير .

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقف المسلمين من يهود بنى النضير.

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى النضير :

بنو النضير يتحصنون على بعد أميال شمال المدينة ولم يكونوا داخل المدينة مثل بنى قينقاع ولكن بنى النضير نقضوا العهد كذلك مع الرسول ﷺ واخذوا يتعاونون مع مشركي قريش بعد انتصار المسلمين في بدر في السنة الثانية من الهجرة في عام ٦٢٣ م فعندما أتى أبو سفيان للثأر لأهل قريش في بدر توجه ومعه مائتا رجل من أشد رجال قريش وتوجه بهم إلى سلام بن مشكم وهو

سيد بنى النضير واستقبله زعيم اليهود وتعاون معه فى هجوم أبا سفيان على بعض بيوت الأنصار فى المدينة وقتل رجلين من الأنصار وعاد مرة أخرى إلى مكة فتكررت وقائع الغدر من يهود بنى النضير ضد المسلمين لذلك انذر الرسول ﷺ بنى النضير بالجلء عن حصونهم ومزارعهم خلال عشرة أيام ولكن بنى النضير رفضوا إنذار الرسول ﷺ وأخذوا يستعدون للقتال فرموا حصونهم واقاموا متاريسهم وأمدوها بالسلاح وزودها بمؤونة والطعام تكفى أشهراً طويلة ولكن الرسول ﷺ حاصرهم لمدة عشرين يوماً لانهم نقضوا عهد الأمان معه وانضموا إلى أعداء الإسلام من مشركى قريش فأيقن بنو النضير سوء العاقبة وطلبوا من الرسول ﷺ حتن الدماء مقابل الاستسلام والجلء فاجابهم إلى طلبهم شرط أن يخرج كل ثلاثة منهم على بعير يحملون عليه ما شاءوا دون السلاح وقد خرجوا فى ٦٠٠ بعير فنزل بعضهم عند يهود خيبر بزعامة حبي بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع ورحل البعض الآخر إلى يهود أذرعات عند حدود بلاد الشام وقد ورد فى القرآن الكريم ما حدث لبني النضير فى سورة الحشر الآية (٢) **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) وكان جلاؤهم فى ربيع الأول السنة الرابعة للهجرة فى ٦٢٥م.**

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين من يهود بنى

النضير

أولاً: يهود بنى النضير خربوا بيوتهم بأيديهم لأنهم نقضوا عهد الأمان مع المسلمين وهو عقد الصحيفة وانضموا إلى جبهة مشركى مكة يساعدونهم ويناصرونهم .

ثانياً: لقد نقض اليهود العهد مع الرسول ﷺ فقد رفضوا الاشتراك مع الرسول ﷺ فى يوم موقعة أحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت رغم أن العهد بينهم وهو عهد الصحيفة انهم يدافعون عن المدينة وأن موقعة أحد تقع خارج المدينة ولكن الرسول ﷺ اعتبر موقعة أحد غزوة من المشركين موجهة إلى المدينة وهى ما يدخل فى نصوص عقد الأمان بين اليهود والمسلمين .

ثالثاً: بعد هزيمة المسلمين فى موقعة أحد استهانت القبائل بأمر المسلمين فكانت مجزرة بئر المعونة وهى بين أرض بنى عامر وبنى سليم فى نجد فى السنة الثانية من الهجرة فى ٦٢٣ م حيث استشهد فى هذه المجزرة البشرية محمد بن المنذر بن عمر ومعه أربعون من المسلمين على يد عامر بن الطفيل ومن ناصره من بنى سليم ولم ينج من المسلمين سوى اثنين هم كعب بن زيد وعمر بن أمية الضميرى الذى قتل رجلين من بنى عامر أثناء عودتهما واخذاً أسيران لدى قبيلة بنى عامر وكان بنو النضير حلفاء بنى عامر لذلك خرج الرسول ﷺ ومعه عشرة من كبار الصحابة منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبى طالب إلى منطقة قريبة من قباء لدفع الدية للرجلين الأسيرين من المسلمين فحاول يهود بنى النضير اغتيال الرسول ﷺ بأن يلقى عمرو بن حجاج صخرة على الرسول ﷺ من فحالي أعلى جدار والرسول ﷺ يجلس بجواره ولكن الرسول ﷺ فضح مؤامرتهم وعاد إلى المدينة المنورة . أن الغدر صناعة يهودية دائماً رغم كل العهود .

رابعاً: أمر الرسول ﷺ أن يخرج بنو النضير بكل شئ يريدون حمله من أملاكهم على البعير فخرج اليهود يرقصون ابتهاجاً وسروراً وتزينت نساؤهم ويحملون الدفوف والمزامير لانهم يعرفون ماذا فعلوا من نقض العهد بالمسلمين .

خامساً: أمر الرسول ﷺ بالآلا يخرجوا بأسلحتهم حتى لا تستخدم مرة أخرى ضد المسلمين وقد غنم المسلمون من يهود بنى النضير ٥٠ درعاً و ٥٠ خوذة و ٣٤ سيفاً .

سادساً: كان فى مقدور الرسول ﷺ ورجالة قتل جميع اليهود من بنى النضير لأن أعداد المسلمين فى المدينة فى يوم إجلاء يهود بنى النضير اليهود فى ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة أى بعد أربع سنوات من الهجرة كانت أعداد المسلمين أضعاف أضعاف اليهود من بنى النضير ولكن الرسول ﷺ وعدهم بالجلاء دون التعرض لهم وهم أحياء وقد أوفى الرسول ﷺ بوعده رغم أن بعض الصحابة كانوا يريدون غير ذلك .

الفرع الثالث

موقف المسلمين من يهود بنى قريظة

سوف نتناول موضوع موقف المسلمين من يهود بنى قريظة في نقطتين على النحو التالي :

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قريظة

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقف المسلمين من يهود بنى قريظة

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قريظة:

كان اليهود من بنى قريظة فى حصونهم بالقرب من المدينة على حدودها بزعامة كعب بن أسد تأمروا مع قريش والقبائل العربية الأخرى فى موقعة الخندق أو موقعة (الأحزاب) فى شوال من السنة الخامسة من الهجرة فى ٦٢٦ م وقد ساعدوا كفار قريش فى موقعة الخندق .

وحاول الرسول ﷺ إقناع بنى قريظة بالحفاظ على العهد معهم والمسالمة بينهم فأرسل لهم وفدا من سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج للاجتماع مع كعب بن أسد سيد بنى قريظة فى محاولة إقناع بنى قريظة بالحفاظ على العهد ولكن بنى قريظة رفضوا الوفاء بالعهد ففى موقعة الأحزاب بعد حفر الخندق قام اليهود من بنى قريظة بقطع المؤن والإمدادات عن المسلمين الذين أصبحوا محاصرين من الشمال والجنوب وهكذا نقض بنو قريظة العهد مع الرسول ﷺ وكان من الواجب عليهم بموجب عقد الأمان أو الصحيفة الانضمام للمسلمين فى الدفاع عن المدينة كما تنص الصحيفة فتصرفوا عكس ما ينص عليه عقد أمان الصحيفة بل وصلت خيانتهم للمسلمين بالاشتراك مع كفار قريش ومساعدتهم فى محاولة دخول المدينة للقضاء على الرسول ﷺ والمسلمين بعد انتهاء حصار الأحزاب وانتصار المسلمين وكان لابد للرسول ﷺ من أن يتعامل مع هؤلاء الخونة من اليهود ليس كرها فى اليهود ولكن لأن بنى قريظة ساعدوا أعداءه للقضاء عليه واتباعه ومن الممكن أن يتكرر ذلك مستقبلا فى حروب المسلمين والكفار من أهل قريش لذلك توجه الرسول ﷺ بعد انتهاء حصار الأحزاب إلى بنى قريظة ومعه ثلاثة آلاف من المسلمين ومعهم تسعة وثلاثون فارسا وحاصر بنى

قريظة لمدة خمسة وعشرين يوما ولما اشتد الحصار طلب بنو قريظة الجلاء والرحيل كما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ولكن الرسول ﷺ رفض لأن أفعالهم أضرت بالمسلمين فطلبوا التحكيم ووافقهم الرسول فاختروا سعد بن معاذ ليحكم بينهم وسلموا السلاح وكان حكم سعد بن معاذ بعد اخذ الموائيق من الفريقين بنى قريظة من جهة والمسلمين من جهة أخرى وكان حكمه بعد أن استمع إلى الطرفين يقتل الرجال وسبى الجوارى والنساء وتقسيم الأموال وقد رضى الرسول ﷺ بهذا الحكم وأمر بحفر خنادق على مقربة من المدينة وضرب أعناق الرجال وعددهم حوالى سبعمائة رجل منهم كعب بن أسد سيد بنى قريظة .

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى موقف المسلمين من يهود بنى قريظة :

أولا : اليهود من بنى قريظة نقضوا العهد مع الرسول واشتركوا مع المشركين من قريش والقبائل الأخرى فى موقعة الخندق وساعدوهم رغم أنهم بموجب عقد الأمان فى الصحيفة ملزمون بمساعدة المسلمين فى الدفاع عن المدينة ولكنهم تحولوا من مناصرين للمسلمين بموجب عقد الصحيفة فى الدفاع عن المدينة إلى أعداء للمسلمين .

ثانيا : كانت قمة البشاعة من يهود بنى قريظة اليهود فى موقعة الأحزاب أو الخندق التى لا يمكن أن ينساها لهم المسلمون وهى أن المسلمين محاصرون من الشمال والجنوب وإذا بنى قريظة يمنعون عنهم الطعام والمؤن وخاصة انه يوجد أطفال ونساء ولا يستطيعون التحمل طول مدة الحصار الكبيرة التى فرضها كفار مكة على المسلمين فى موقعة الخندق .

ثالثا : فى موقعة الخندق كان المسلمون بين فكي كعاشة بنو قريظة من اليهود على حدود المدينة والمناقون داخل المدينة والمشركين خارجها أمام الخندق وقد اتفقوا جميعا على مجاربة المسلمين .

رابعا : اشتدت الضائقة على المسلمين بسبب طول الحصار ونقص المواد الغذائية ورفض بنو قريظة إعطاء الطعام للمسلمين والبرد القارص فى ليالى الشتاء وتعاون يهود بنى قريظة مع المشركين وكفار قريش مما دعى الرسول ﷺ فى هذه الظروف

العصيبة أن يعين مجموعتين أحدهما بقيادة مسلمة بن اسلم وتتكون من مائتي رجل والثانية بقيادة زيد بن حارثة وتتألف من ثلاثمائة رجل وذلك من أجل حماية الأطفال والنساء داخل المدينة خوفاً من مهاجمة يهود بنى قريظة واستغلال فرصة حصار الخندق لان الغدر طابعهم .

خامساً: كان يمكن للرسول ﷺ قتل جميع يهود بنى قريظة وجميع رجالهم وخاصة أن معه ثلاثة آلاف مقاتل كرد فعل لما فعله يهود بنى قريظة مع المسلمين في موقعة الخندق ولكنه وافقهم أن يختاروا ما شاءوا ليحكم فيهم فاختاروا بحر إرادتهم سعد بن معاذ ليحكم بينهم بعد سماع وجهة نظر اليهود ووجهة نظر المسلمين فيما حدث منهم من تجاوزات ونقض للعهد والمشاركة مع الأعداء وكان حكم الحكم سعد بن معاذ قتل الرجال وسبى الجوارى والنساء وتقسيم الأموال فقام الرسول بتنفيذ الحكم بعد أن رضى يهود بنى قريظة بحكم من اختاروه .

سادساً: رغم أن الإسلام يرفض قتل النساء إلا أن الرسول ﷺ أمر بقتل امرأة واحدة من بنى النضير التي كانت موجودة مع بنى قريظة وهى ثبانة زوجة الحاكم القرظي لأنها ألفت حجراً على خالد بن سعد بن الصامت وهو مسلم فقتلته .

سابعاً: ورغم أن الحكم هو سبى الجوارى والنساء وتقسيم الأموال إلا أن الرسول ﷺ أمر ألا يفرق بين الأم وولدها من السبايا وبين الأخوة حتى يبلغوا واصطفى لنفسه من يهود بنى قريظة ريحانة بنت عمرو وقيل انه تزوجها بعد أن اعتقها .

ثامناً: وفى واقعة القضاء على بنى قريظة نزلت الآية القرآنية فى سورة الأحزاب الآيات (٢٦ ، ٢٧) (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

وكان لابد من القضاء على شوكة اليهود من بنى قينقاع داخل المدينة المنورة ومن بنى قريظة بجوار المدينة لحماية الدولة الإسلامية الناشئة من خيانة اليهود التي لا تنتهى والانضمام إلى أعداء الإسلام لمساعدتهم فى القضاء على المسلمين والرسول ﷺ لانه إذا لم يحدث ذلك فإن اليهود كانوا سوف ينضمون إلى كفار قريش فى الحروب المستقبلية حتى يتحقق هدفهم من القضاء على المسلمين والرسول ﷺ وعلى ذلك فان المسلمين كانوا فى حالة دفاع عن النفس لتأمين

مستقبلهم وكانوا فى حالة دفاع عن الدعوة الإسلامية الحديثة من مكائد اليهود التى لا تنتهى وكان باستطاعة الرسول ﷺ أن يفرض عليهم الإسلام بقوة السلاح ولكنه لم يفعل .

الفرع الرابع

موقف المسلمين من يهود خيبر

سوف نتناول موضوع موقف المسلمين من يهود خيبر فى نقطتين على النحو التالى:

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود خيبر

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين من يهود خيبر .

النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود خيبر

كان اليهود فى خيبر من أقوى اليهود فى شبه الجزيرة العربية وحصونهم كثيرة ومنيعه فوق الصخور والجبال ومعهم سلاح كثير وكانوا يقيمون فى ناحية شمال شبه الجزيرة العربية على بعد ثمانين ميلا شمال المدينة وكانت مقسمة إلى عدة حصون وحيث أن يهود خيبر كان انضم اليهم يهود بنى النضير الذين أجلهم الرسول ﷺ عن أرضهم نتيجة نقضهم العهد وانضمامهم للمشركين من مكة ولما عاد الرسول ﷺ من العمرة فى شهر ذى الحجة السنة السابعة للهجرة فى ٦٢٨ أقام بالمدينة أياما ثم سار إلى خيبر فى السنة السابعة للهجرة ووصل إلى خيبر دون أن يشعر به أهلها ونزل الرسول ﷺ بوادى الرجيع على مقربة من خيبر وأخذ الرسول ﷺ فى مهاجمة الحصون الموجودة داخل خيبر فاستولى على حصن يسمى حصن ناعم ثم حصن يسمى حصن الغموس ولكن المسلمين لم يستطيعوا دخول حصن الصعب بن معاذ فحاصروهم مدة طويلة ولكنهم استطاعوا فى نهاية الحصار التغلب على يهود خيبر ودخلوا الحصن ثم تداعت بقية الحصون الأخرى عندما أمر الرسول ﷺ عن يقطع المياه عنهم ولما أحس اليهود انهم سوف يهلكون طلبوا من الرسول ﷺ أن يحقن دماءهم مقابل أن يزرعوا الأرض ويبقيهم على الأرض يزرعونها ويكون لهم نصف ما تغله الأرض ويؤتيه النخيل فوافق الرسول ﷺ على ذلك .

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقف المسلمين من يهود خيبر

أولاً: كان يهود خيبر يخشون أن يأتي الدور عليهم رغم بعدهم عن المدينة ثمانين ميلاً سعى يهود خيبر إلى بنى عمهم اليهود من تيماء وفدك ووادي القرى وذلك للتأهب للإغارة على المدينة والقضاء على الإسلام والرسول ﷺ في معقله وعندما علم الرسول ﷺ قرر معاجلتهم وتوجه إليهم بقواته لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع عن المدينة لذلك كانت واقعة الهجوم على يهود خيبر هي دفاع عن النفس فقام الرسول ﷺ بمهاجمة يهود خيبر وأعانهم قبل أن يهاجموه .

ثانياً: بعد أن دخل الرسول ﷺ وقواته حصون خيبر كان باستطاعته قتل اليهود وكان باستطاعته فرض الإسلام عليهم بالقوة وبقوة السيف ولكن ذلك لم يحدث فقد أبقاهم على دينهم وإقامة شعائرتهم الدينية مقابل دفع الجزية وهي دفع نصف ما تغله الأرض التي يزرعونها وما يؤتية النخيل فقد أعطى الرسول ﷺ والمسلمون لهم حق الاختيار ولم يفرض الإسلام بقوة السلاح.

ثالثاً: يقول أحد المستشرقين وهو مرجليوث أن المسلمين لم يهاجموا خيبر إلا رغبة في الحصول على أموالهم ولكن ذلك غير صحيح لانهم لو كانوا كذلك ما سمحوا لهم بزراعة أرضهم بل استولوا عليها كما فعلوا مع أرض بنى النضير حينما قسموا الأرض كغنائم على الأنصار والمهاجرين من المسلمين لزراعتها ولكنهم اخذوا نصف ريع الأرض وبقاءهم على شعائرتهم الدينية المخالفة للشريعة الإسلامية كجزية للمساهمة في نفقات الجيوش الإسلامية للدفاع عن أرض خيبر .

رابعاً: لقد هاجم الرسول ﷺ يهود خيبر لانها أصبحت اكثر المناطق عداً للرسول ﷺ بعد أن دخل بها معظم اليهود الذين أجلهم المسلمون عن المدينة المنورة وما يجاورها.

خامساً: انطلق الرسول ﷺ نحو خيبر في السنة السابعة من الهجرة في شهر صفر عام ٦٢٨م ومعه ألف وستمائة مقاتل ومائة فارس في سرية تامة ووصلوا إليها بعد ثلاثة أيام حيث فوجئ مزارعو خيبر بالرسول ﷺ وهم يزرعون أرضهم فدخلوا حصونهم هاربين وبدأ القتال بين الرسول ﷺ ورجاله والحارث بن أبي زينب زعيم يهود خيبر الذي قتل وهو يدافع عن أول الحصون وكانت قوات الرسول ﷺ أضعاف قوات خيبر ولكن بعد انتصاره رفض أن يستمر في القتال لقتل

جميع الرجال فى خيبر لكنه وافق على دفع الجزية مقابل بقائهم على دينهم ويقيمون فى منازلهم ويزرعون أرضهم ولذلك لم تكن هذه الموقعة لتشر الإسلام بحد السيف كما يدعى بعض المستشرقين .

سادسا: حاولت زينب بنت الحارث وهى زوجة سلام بن مشكم اليهودى قتل الرسول ﷺ بان أهنته شاه مسمومة بتحريض من بعض قومها وقد أكل منها الرسول ﷺ ولكنه لم يستسغها وكان بصحبته فى هذه الوليمة البشر بن البراء فأكل منها ومات مسموما وقد اعترفت زينب بفعلتها حتى تقتل الرسول أن كان كاذبا أما إذا كان صادقا فى نبوته فسيخبر بالأمر وقيل أن الرسول ﷺ عفى عنها وقيل فى قول آخر انه أمر بقتلها بان تأكل من نفس لحم الشاه المسمومة .

سابعا: كان من الغنائم التى حصل عليها المسلمون فى خيبر صحائف للتوراة طلبها اليهود فأمر أن ترد لهم لمباشرة عقائدهم الدينية .

ثامنا: بعد انتصار المسلمين فى موقعة خيبر قبل اليهود فى بقية المناطق دفع الجزية فى مقابل البقاء فى أرضهم والحفاظ عليهم والدفاع عنهم وذلك مساهمة فى نفقات الجيوش دون أن يلزمهم أحد بالدخول فى الإسلام رغما عنهم لان الخط الاساسى فى الإسلام لا إكراه فى الدين وكذلك قبل يهود فدك فى شمال خيبر بزعمه يوشع بن نون بدفع نصف ممتلكاتهم دون قتال وكذلك يهود وادي القري حيث دفعوا الجزية مقابل نصف مردود زراعة أرضهم وغيرها من المناطق التى يعيش بها اليهود .

ثاسعا: لقد قام اليهود بعدم الالتزام بالعهد الذى أبرموه مع الرسول ﷺ وخانوا العهد ويبدو أن خيانة العهد والعقد ليست خاصة باليهود فى أيام الرسول ﷺ فقط بل يبدو أنها خاصة ينفرد بها اليهود فى كل زمان ومكان فقد تكون جزء من شخصيتهم فنظرة إلى يهود اليوم تجدهم مازالوا ينقضون العهود وهاهى العقود التى أبرمها اليهود مع عرب فلسطين اليوم يتم نقضها وعدم الالتزام بها فقد تم إيراد العقود والمعاهدات فى أوصلو ومدريد وشرم الشيخ وفى كل مرة لا ينفذون عهودهم ومعاهداتهم وينقضونها فرغم المعاهدات المبرمة فى أوصلو وفى مدريد وفى شرم الشيخ نجدهم لا يلتزمون بهذه المعاهدات ويقومون بدك جنين على من فيها من عرب فلسطين ويحولوا جنين إلى مجزرة بشرية ومقابر جماعية لعرب فلسطين لأن

تعليمات القتل وخاينة العهد موجوده فى التلمود دستور اليهود فعندما يرتبط القتل بأوامر دينية موجودة فى التلمود واليهودى ينفذ أوامر وتعاليم الرب فان اليهودي يجد نفسه محصنا أخلاقيا طالما أن نقض العهود والقتل موجود فى التلمود وفى سفر التثنية التعليمات واضحة ولا تقبل الشك فى جواز القتل ونقض العهود وفى ذلك يقول سفر التثنية ((أتى بك الرب الهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لممتلكها وطرده شعوبا كثير من أمامك وضربتهم فانك لما تعلمهم تحرمهم وتذبحهم فلا تبقى منهم على أحد ولا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم).

وهل يستطيع اليهودي المسلح بكل هذه النصوص فى دستور اليهود التلمود أن يعنى بأي التزامات مع الرسول ﷺ أو مع العرب فى أي زمان وفى أي مكان .

الفصل الثالث

الدعوة للإسلام بالحسنى والانتصار على قريش

وسوف نتناول هذا الفصل وهو الدعوة للإسلام بالحسنى والانتصار على قريش فى ثلاثة مباحث على النحو التالى:

المبحث الاول : الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الاسلام.

المبحث الثانى: الانتصار على كفار قريش .

المبحث الثالث: المواجهات العسكرية بعد انتصار مكة.

وسوف نتناول هذه المباحث تفصيلا على النحو التالى :

المبحث الاول

الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الاسلام

وسوف نتناول موضوع الرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ للملوك والأمراء

فى البلدان المجاورة للدخول فى الاسلام فى فرعين على النحو التالى:

الفرع الأول : الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الإسلام.

الفرع الثانى: رأي المؤلف فى الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الاسلام.

الفرع الأول الرسائل للملوك والأمراء للدخول في الإسلام

ليس من سياسة الاسلام فرض تعاليمه بالقوة أو بالإكراه وبحد السيف لأن الخط الاساسى حسب ما ورد في القرآن الكريم لا إكراه في الدين إما أن تدخل في الديانة الإسلامية بالافتناع لأن مسألة الديانات لاتفرض بحد السيف ، و أثناء وجود الرسول ﷺ في المدينة في بداية الدولة الإسلامية دعا إلى الإسلام بالحسنى والموعظة الحسنة للدول المجاورة فقرر إرسال رسائل إلى الأمراء والملوك للدول المجاورة يقنعهم بالدخول في الإسلام فيبعث بعضاً من رسله في بداية السنة السابعة للهجرة يدعو أمراء وملوك الدول المجاورة يقنعهم بالدخول في الإسلام بهذا يؤكد أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يدعى بعض المستشرقين فقد أرسل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم للإسلام وعبادة الله الواحد ورسوله في السنوات السابعة والثامنة والتاسعة الهجرية في الفترة ما بين ٦٢٨ م إلى ٦٣٠ م على النحو التالي :

أولاً: أرسل الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضميرى إلى نجاشى الحبشة حاكم الحبشة برسالة يطلب منه دخول الإسلام هو و أبناء دولته وكان رده بالاعتذار .

ثانياً: أرسل الرسول ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصري وهى ولاية تابعة للدولة البيزنطية ليرسله إلى هرقل قيصر الروم و أرسل خطاباً آخر مباشرة إلى قيصر الروم و يدعوهُ إلى دخول الإسلام وقد خيره بين الإسلام أو دفع الجزية طبقاً لما ورد في القرآن الكريم (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٢٩) وقد رد هرقل قيصر الروم فى جوابه على الرسول ﷺ قال فيه انه يشهد أن محمداً ﷺ رسول الله وانه دعا الروم إلى أن يؤمنوا بالإسلام ولكنهم رفضوا.

ثالثاً: وأرسل الرسول ﷺ حاطب بن أبى بلتعنة اللخمي إلى المقوقس حاكم ولاية مصر التابعة لدولة الروم تحت قيادة هرقل قيصر الروم يدعوهُ فيه إلى الإسلام ورد عليه المقوقس عظيم القبط فى مصر برسالة أخبر الرسول ﷺ فيها انه فهم ما

ورد في الرسالة وانه أكرم الرسل و أرسل هدية إلى الرسول ﷺ هي جاريتين وبغلة بيضاء وحمار وقد قبلها الرسول والجاريتان هما مارية اصطفاها الرسول ﷺ لنفسه فولدت له ابنه إبراهيم وشرين التي أهديت إلى حسان بن ثابت و أطلق على البغلة اسم "لدل" والحمار "يعفور".

رابعاً: و أرسل الرسول ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسري ملك الفرس يدعوهُ إلى الإسلام هو و أهل دولته ولكن كسري غضب و مزق الرسالة .

خامساً: و أرسل الرسول ﷺ شجاع بن وهب الاسدي رسالة إلى المنذر بن الحارث أمير غسان يدعوهُ إلى الإسلام هو و أهل دولته ولكن أمير غسان رمى الرسالة وقال " من ينتزع ملكي انى سأسير إليه " .

سادساً: و أرسل الرسول ﷺ سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن على الحنفي أمير اليمامة الذى طلب تعيينه حاكماً مقابل دخوله الإسلام .

سابعاً: أرسل الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى صاحب بصري فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني أمير مؤته فى منطقة مؤته و قتل مندوب الرسول ﷺ الذى يحمل الرسالة ولذلك أرسل الرسول ﷺ حملة لتأديب أمير مؤته .

ثامناً: أرسل الرسول ﷺ المهاجر بن أمية المخزومي إلى الحارث الحميري ملك اليمن يدعوهُ إلى الإسلام و قد رد رداً مؤسفاً عكس رد النجاشي ملك الحبشة و هرقل قيصر الروم و المقوقس عظيم القبط الذين ردوا رداً مؤديباً .

تاسعاً: أرسل الرسول عمرو بن العاص السهمي إلى ملك عمان يدعوهُ إلى دخول الإسلام ولكنه رد رداً فاحشاً .

عاشراً: أرسل الرسول ﷺ فى السنة الثامنة للهجرة 629م العلاء بن الحضرمي إلى المنذر سادي العبدى أمير البحرين يدعوهُ إلى الإسلام فأسلم المنذر أمير البحرين و بعض الأشخاص من رعيته بعد أن قرأ رسالة الرسول ﷺ .

الحادى عشر: أرسل الرسول ﷺ برسالة يدعو الأمراء العرب فى الجزيرة العربية للإسلام وإلى معظم قبائل العرب فى كندة و حمير و طى و جزام و سليم و جهينة فأسلم بعضهم ورفض البعض الآخر ولكنهم دخلوا الإسلام بعد ذلك بعد فتح مكة .

الفرع الثاني

رأي المؤلف في الرسائل للملوك والأمراء للدخول في الإسلام .

أولاً: الرسائل التي أرسلها الرسول كانت رسائل قد استهلها الرسول " بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم" وكانت جميع الرسائل ممهورة بخاتم مكتوب عليه "محمد رسول الله".

ثانياً: جميع الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ كانت مكتوبة بتواضع شديد فلم يكتب ملكاً أو عظيماً أو أميراً بل كان يكتب " محمد عبد الله ورسوله".

ثالثاً: جميع الرسائل المرسلة من الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يعطيهم خيار الدخول في الإسلام أو دفع الجزية ولم يرغم أحداً على الدخول في الإسلام وأعطاهم جميعاً الخيار بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية .

رابعاً: رد على الرسول ﷺ بعضهم رداً بطريقة مؤدبة مثل النجاشي ملك الحبشة وقيصر الروم وعظيم القبط في مصر وبعضهم رد رداً غير مؤدب ورفض دخول الإسلام مثل كسري ملك الفرس وأمير غسان وأمير اليمامة وملك اليمن وملك عمان.

خامساً: حينما أرسل الرسول بالرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى دخول الإسلام كان يرغب في دخولهم الإسلام بكامل إرادتهم وعن اقتناع ولم يجبرهم على دخول الإسلام والدليل على ذلك أن من دخل الإسلام مثل المنذر وسادي العبدي أمير البحرين دخله بعد أن قرأ رسالة الرسول ﷺ بلا أي إكراه .

سادساً: الرسول ﷺ في بعض الرسائل التي كان يرسلها للملوك والأمراء كان يعطيهم الخيار الحر بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية والجزية مقابل مالى زهيد جداً يعفى منها الشباب والأطفال والشيوخ والنساء والرهبان وذو العاهات والفقراء والمساكين وفي بعض الرسائل كان يدعوهم للإسلام دون أن يذكرهم بدفع الجزية .

سابعاً: كانت لغة الرسالة التي يرسلها الرسول ﷺ إلى الأمراء والملوك خالية من أي تهديد أو وعيد في حالة عدم الدخول في الإسلام فعلى سبيل المثال الرسالة المرسلة إلى المقوقس حاكم مصر التابع لقيصر الروم كان نصها الآتي .

" بسم الله الرحمن الرحيم " من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فأنى أدعوك بداعية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين فان توليت عليك أثم القبط ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ."

ثامناً : فى جميع الرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى دخول الإسلام كان بالموعظة الحسنة ولم يرسل أى قوات لإجبار أحد بالدخول فى الإسلام بحد السيف لأن الخط الأساسى فى الإسلام لا إكراه فى الدين ولكن حالة واحدة أرسل الرسول حملة تأديبية لتأديب أمير مؤته لان الرسول حينما أرسل الحارث بن عمير الأزدي برسائله إلى أمير بصري يدعو به إلى دخول الإسلام مر على مؤته فاعترضه أمير مؤته شرحبيل بن عمرو الغسانى وقتل من يحمل الرسالة فهذه الحملة من قوات المسلمين لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف ولكنها كانت لمعاقبة أمير مؤته لفعلة اللانسانية فى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة عام ٦٢٩ م. أرسل الرسول ﷺ قواته إلى مؤته وهى قرية صغيرة جنوب بلاد الشام فأرسل حملة تضم ثلاثة آلاف مقاتل وعلى رأسهم زيد بن حارثة .

المبحث الثانى

الانتصار على كفار قريش فى مكة

وسوف نتناول موضوع الانتصار على كفار قريش فى مكة فى فرعين على النحو التالى :

الفرع الاول: الانتصار فى موقعة مكة .

الفرع الثانى : رأى المؤلف فى الانتصار فى موقعة مكة ودخولها .

الفرع الأول الانتصار في موقعة مكة

خرج الرسول ﷺ في ذى القعدة في السنة السابعة للهجرة في عام ٦٢٨ م ومعه ألفان من المسلمين لاداء العمرة كما يقضى اتفاق الحديبية بأن يدخلوا مكة لايحملون سلاحا سوى السيوف في أغمادها وكما يقضى اتفاق الحديبية خرج أهل قريش من مكة ليدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام وطاف المسلمون بالكعبة ثم سعوا بين الصفا والمروة وفي اليوم التالي صعد بلال إلى سقف الكعبة واذن لصلاة الظهر وصلى الرسول ﷺ بالمسلمين وبعد ثلاثة أيام غادر المسلمون مكة نحو المدينة هذه العمرة تسمى عمرة القضاء وهذه العمرة تركت أثرا في نفوس أهل قريش فدخل في الإسلام بعدها اشد المسلمين قسوة أمثال خالد بن الوليد ثم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم كثيرون توجهوا من مكة إلى المدينة ليعلموا إسلامهم بإرادتهم الحرة ودون أدنى إكراه وان هدنة الحديبية كانت بداية لدخول الكثير من الكفار الى الإسلام وكثر حلفاء الرسول ﷺ من القبائل العربية لمناصرته ومناصره الدين الجديد وكانت قبيلة خزاعة تتاصر الرسول ﷺ والمسلمين في حين كانت قبيلة بنى بكر تحالف كفار قريش فقام كفار قريش بتحريض بنى بكر حلفائهم على قتال خزاعة حلفاء الرسول وقد زاد كفار قريش بنى بكر بالسلاح والمال والرجال ليدخلوا خزاعة حلفاء الرسول ﷺ ليلا ويقتلوا منهم الكثيرين ولكن خزاعة احتماوا بالحرم وإذا بنو بكر ينتهكون حرمة الكعبة ويقتلون منية الخزاعي فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حليف الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة مستجداً بالرسول ﷺ و هنا تأكد الرسول من نقض قريش لهدنة الحديبية بالاعتداء على أنصار الرسول ﷺ المحتمين بالكعبة لذلك عرفت قريش الخطأ الكبير الذي ارتكبته بنقضها لهدنة الحديبية باعتداء حلفائها على حلفاء الرسول ﷺ فارسلت أبا سفيان إلى المدينة ليسوى الأمر مع الرسول ﷺ ولكنه فشل وعاد إلى مكة .

وبدأ الرسول ﷺ في إعداد خطة لدخول مكة جزاء نقض كفار قريش صلح الحديبية وفي سرية تامة وفي مطلع رمضان من السنة الثامنة من الهجرة

٦٢٩م خرج الرسول ﷺ من المدينة ومعاه ٣٩٠٠ من المسلمين وفى الطريق انضم إليه مسلمو القبائل من تميم وقيس و أسد وجهينه ومزينة وسليم واسلم وغفار حتى بلغ عدد قوات المسلمين حوالى عشرة آلاف مقاتل ، وقال البعض انهم اثنا عشر ألف مقاتل واخذ العباس بن عبد المطلب يتوسط بين الرسول ﷺ وبين زعماء قريش أبى سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من اجل تسليم مكة دون قتال وقد أدرك زعماء قريش مدى عجزهم عن مواجهة هذه القوات الكبيرة من المسلمين فاتفق أبو سفيان مع الرسول ﷺ على دخول مكة بعد أن أمنها على أهلها ومالها فوافق الرسول ودخل الرسول ﷺ مكة وقواته دون سفك دماء وقسم الرسول ﷺ قواته إلى أربعة أقسام ودخلت مكة من جهاتها الأربعة فى آن واحد فدخل قيس بن سعد بن أبى عبادة وقواته من جهة الغرب ودخل الزبير بن العوام من جهة الشمال الشرقى و أبو عبيدة بن الجراح من للشمال الغربى وخالد بن الوليد من الجنوب وجيل أبو قبيس تقدم بقواته من الشرق ولم يلق المسلمين أي مقاومة سوى من ناحية الجنوب حيث إعترض عكرمة بن أبى جهل وبعض قواته من كفار قريش خالد بن الوليد وقواته ولكن كفار قريش فروا من المعركة بعد أن قتل منهم ثلاثة عشر رجلا بينما قتل من المسلمين ثلاثة رجال ووصل الرسول ﷺ على ناقته القصواء إلى الكعبة الشريفة يحيط به صحابته وطاف بها سبع مرات ، وقف على باب الكعبة وتلى على المسلمين وأهل قريش قول الله تعالى فى سورة الحجرات الآية (١٣). (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

الفرع الثانى

رأى المؤلف فى موقعة مكة ودخولها

أولاً: أن الرسول ﷺ لم يدخل مكة احتراماً لصلح الحديبية الذى مدته عشر سنوات إلا بعد أن نقض كفار قريش الصلح بمناصرة بنى بكر وإمدادهم بالمال والسلاح والرجال للاعتداء على أنصار الرسول ﷺ من قبيلة خزاعة .

ثانياً: أن أهل قريش سمحوا لبني بكر أنصارهم بانتهاك حرمة مكة والكعبة الشريفة التى احتمى بها بنو خزاعة أنصار الرسول ﷺ وقتل كبيرهم منبه الخزاعى.

ثالثا: أن الرسول ﷺ لم يعد قواته لدخول مكة إلا بعد أن استجد به عمر بن سالم الخزاعي بان توجه إليه في المدينة وكان على الرسول و اجب مناصرة أنصاره الذين احتموا بالكعبة وانتهكت حرمة الكعبة .

رابعا: لقد استطاع الرسول ﷺ أن يجمع قواته من الأنصار والمهاجرين والقبائل التي تناصر الإسلام حوالي اثني عشر ألف مقاتل وهذا يبين مدى قوة الإسلام في انتشاره .

خامسا: حينما توسط العباس بن عبد المطلب بين الرسول ﷺ وزعماء قريش وعلى رأسهم أبو سفيان قبل الرسول ﷺ الوساطة و أجاب أبا سفيان إلى طلباته بدخول مكة بلا عنف رغم أن الرسول ﷺ وقواته الكبيرة كان في مقدوره أن يدك أهل مكة جميعهم انتقاما لما فعلوه به ومع المسلمين الأوائل المهاجرين من قسوة وإهانة وضرب ولكن الرسول تسامح ونسى الماضي من أجل نصرته الإسلام فلم يأت الرسول للانتقام أو فرض الإسلام بحد السيف ولكنه أتى لأن قريشا انتهكت هدنة الحديبية ولفرض الإسلام بلا عنف وقد سنحت له الفرصة .

سادسا: قال الرسول ﷺ لاهل قريش بعد أن دخل مكة: (يا معشر قريش ما تظنون أننى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)وبذلك صدر عفو عام عن أهل مكة ومن ذلك الحوار يتبين مدى ثقة أهل مكة في كرم أخلاق الرسول ﷺ حينما قالوا له سوف تفعل بنا خيرا .

سابعا: في النهاية انتصر الحق بدخول المسلمين مكة ودخول كفار قريش الإسلام بإرادتهم بدون سفك دماء بعد أن رأوا كرم الإسلام معهم وقد طاب الرسول بالكعبة الشريفة وهو يردد قول الله في سورة الإسراء آية (٨١) وَقَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا).

ثامنا: بعد دخول كفار قريش في الإسلام أمر الرسول ﷺ بإزالة الصور وتمثال هبل من داخل الكعبة وتطهيرها من الاصنام المنصوبة على جدرانها من الخارج وأرسل خالد بن الوليد لتحطيم العزي وعمرو بن العاص لتحطيم تمثال " سواع " وسعد بن زيد الأشهلي لتحطيم تمثال " مناة " .

تاسعاً: أذن بلال من فوق الكعبة ليصلى الرسول ﷺ بالمسلمين معلنا بداية الدولة الإسلامية في مكة ملتقى المسلمين في جميع أنحاء الدنيا الى اليوم .

عاشراً: أقام الرسول ﷺ خمسة عشر يوماً بمكة ينظم أمورها باتباع نظم الدين الجديد على أسس جديدة بعيداً عن أسس الجاهلية .

الحادي عشر: كان فتح مكة ودخول المسلمين إلى البيت الحرام بلا حرب من اكبر العوامل التي ساعدت على نجاح الدعوة الإسلامية فقد اعتقدت القبائل العربية التي رفضت الدعوة في أول الأمر أن المسلمين تكف بجانبهم عناية إلهيه فسارعوا إلى الاسلام ودخلوا فيه أفواجا .

المبحث الثالث

المواجهات العسكرية بعد انتصار المسلمين

وسوف نتناول موضوع المواجهات العسكرية بعد انتصار الرسول ﷺ على كفار قريش في مكة في ثلاثة فروع على النحو التالي:

الفرع الأول: واقعة حنين وحصار الطائف

الفرع الثاني: واقعة تبوك .

الفرع الثالث : دخول القبائل في الاسلام في عام الوفود .

وسوف نتناول هذه الفروع تفصيلا على النحو التالي.

الفرع الأول

واقعة حنين وحصار الطائف

وسوف نتناول هذا الموضوع وهو موقعة حنين وحصار الطائف في نقطتين

على النحو التالي :

النقطة الأولى : موقعة حنين وحصار الطائف

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقعة حنين وحصار الطائف

النقطة الأولى : موقعة حنين وحصار الطائف :

بعد أن نجح الرسول ﷺ والمسلمون في دخول مكة خشى الكفار في الجزيرة العربية المجاورون لمكة أن يحدث لهم ما حدث لمكة لذلك اجتمع زعماء هوازن وتقيف ونصر وجشم وسعد في الطائف وقرروا مهاجمة المسلمين قبل أن يحل بهم ما حل بقريش فقاد هذه القوات الخاصة بهذه القبائل مالك بن عوف النصرى ونزل بقواته من هذه القبائل في وادى حنين شرق مكة ليصنع كميناً للمسلمين وما أن علم الرسول ﷺ بذلك حتى جهز الرسول جيشاً من المسلمين مكون من اثني عشر ألفاً منهم ألفان ممن أسلموا من قریش بعد فتح مكة وتقابلت جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ وجيوش الكفار بقيادة مالك بن عوف النصرى وانتصرت جيوش الإسلام فاسر المسلمون ستة آلاف وغنموا أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة وأخذت جيوش المسلمين تطارد الكفار حتى هربوا ومنهم قائدهم مالك بن عوف النصرى إلى الطائف وتابعهم الرسول ﷺ والمسلمون فقاموا بحصار الطائف حوالي شهر تقريباً حيث كانت الطائف حصناً منيعاً وكان أهل الطائف الذين لجأت إليهم الفلول الهاربة من معركة حنين من أشد العرب بأساً وقوة وهى قبائل تقيف وكانت حصون الطائف مزودة بالذخيرة والمؤونة تكفيهم لمدة طويلة وقد حاول المسلمون دخولها دون جدوى لان قبائل تقيف كانت تلقى عليهم بالحديد المحمى بالنار وترميهم بالنبال كان المسلمون يغلقون عليهم الحصون واستشهد نتيجة ذلك اثني عشر من المسلمين وهنا أدرك الرسول ﷺ عدم إهدار طاقات المسلمين في هذا الحصار فأمر بقطع كروم وزراعات تقيف جزاء لهم لاحتواء الكفار الذين شنوا حرب حنين على المسلمين وأقاموا الكمين لهم ثم عاد الرسول ﷺ لتوزيع غنائم حنين وكانت الحصنة الكبرى للمؤلفة قلوبهم وهم قادة قریش وأشرفها حيث أعطى الرسول ﷺ مائة من الإبل إلى أبى سفيان بن حرب وابنه معاوية والحارث بن الحارث بن كلده والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويظة بن عبد العزى وأعطى خمسين من الإبل من دونهم ممن أسلموا من أهل قریش وكانت هذه الغنائم الكثيرة التى حصل عليها المسلمون وسيلة تتألف بها قلوب الذين كانوا منذ فترة قليلة من قریش كفاراً واصبحوا مسلمين وقد أزعج ذلك الأنصار وكادت الفتنة تقع بين المسلمين ولكن الرسول بذكائه السياسى تدارك ذلك

فلم تقع بين المسلمين ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة بعد أن عين عتاب بن اسيد نائبا له على مكة ومعاذ بن جبل ليفقه المسلمين ويعلمهم القرآن الكريم .

النقطة الثانية: رأي المؤلف في موقعة حنين وحصار الطائف :

أولا: موقعة حنين حدثت في شوال في السنة الثامنة من الهجرة عام ٦٢٩ م وهي دفاع عن النفس فقد أرادت قبائل هوازن وتقيف ونصر وجشم وسعد التتكيل بالمسلمين حتى لا يحدث لهم ما حدث لأهل قريش بأن يعملوا كمين للمسلمين وقرروا مهاجمة المسلمين في مكة بقيادة مالك بن عوف النصري ولولا ذلك ما قامت جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ بالاشتباك مع جيوش الكفار لذلك فان الرسول ﷺ بقواته كان يدافع عن مكة والمسلمين في مكة من مهاجمة مالك بن عوف النصري وقواته من الكفار .

ثانيا: في بداية المعركة وقعت البلبلة في صفوف المسلمين وفر من أسلم من قريش حديثا وأوشكت الهزيمة أن تحل بقوة المسلمين لولا ثبات الرسول ﷺ في ارض المعركة وتجميع قواته فالكثرة ليست هي طريق النصر ولكن قيادة المعركة هي طريق النصر وفي موقعة حنين نزلت الآية القرآنية في سورة التوبة الآية (٢٥) (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّنْزِيرِينَ) .

ثالثا: قام الرسول ﷺ وقوات المسلمين بمتابعة فلول القوات الهاربة من معركة حنين وعلى رأسهم مالك بن عوف النصري إلى الطائف وحاصروا الطائف لمدة شهر تقريبا ونظرا لأن دخول الطائف بالقوة ليس هدف الرسول ﷺ ولعدم إهدار طاقات المسلمين قرر الرسول بحنكته السياسية فك حصار الطائف لعدم إهدار جهود الجيوش الإسلامية طالما انه ليس هدفه دخول الطائف بالقوة وهو يملك إطالة مدة الحصار أشهرًا طويلة حتى تنفذ المؤن والطعام داخل الطائف .

رابعا: عندما عاد الرسول ﷺ بعد فك الحصار عن الطائف جاءه وفد من أهل هوازن الذين اشتركوا ضده في معركة حنين وقد أسلموا فرد لهم الرسول ﷺ نساءهم وأولادهم وأموالهم رغم أنهم اشتركوا ضد الرسول ﷺ في الحرب .

خامساً: وقد أرسل الرسول ﷺ رسالة الى مالك بن عوف النصري قائد القوات الكافرة التي حاربت الرسول ﷺ مضمونها أن من يسلم يرد له ماله وأهله فهرب مالك من الطائف واسلم وجاء إلى الرسول وأسلم قومه هوازن ولم يفرض الرسول ﷺ الإسلام على بقية القبائل التي حاربتة بالقوة وحد السيف بل تركهم يدخلون في الإسلام عن قناعة واقتناع .

سادساً: حينما قسم الرسول ﷺ الغنائم في موقعة حنين كان النصيب الأكبر لقادة قريش والذين أسلموا من أهل قريش وهي وسيلة لتأليف القلوب بين المسلمين والمهاجرين والأنصار ومسلمي قريش الذين كانوا من عدة أساييع كفاراً ويحاربون الإسلام وكان تقسيم الغنائم في منطقة الجعرانة وهي بين الطائف ومكة وهي اقرب لمكة .

سابعاً: نتيجة تمييز المؤلفة قلوبهم وهم الذين أسلموا من كفار قريش في توزيع الغنائم ازعج ذلك الأنصار وكادت تحدث فتنة بين المسلمين ولكن الرسول ﷺ بخبرته وحكمته السياسية احتوي الموقف لمصلحة الدعوة في إنشاء الدولة الإسلامية الأولى وبعد ذلك عين نائباً عنه في مكة عناب بن أسد لتنظيم أحوال المسلمين على هدى القرآن والسنة النبوية .

ثامناً: لم يكن اهتمام الرسول ﷺ بأحوال المسلمين في مكة قاصراً على تنظيم أحوالهم السياسية والحياتية بل عين لهم معاذ بن جبل ليفقه المسلمين في مكة في الدين الإسلامي ويعلمهم القرآن الكريم للحفاظ على الدولة الإسلامية الأولى بمبادئ القرآن .

تاسعاً: كان يمكن للرسول ﷺ أن يطيل فترة الحصار على الطائف اكثر من شهر حتى ينفد الطعام داخل الطائف وينهار أهلها من قبيلة ثقيف ويدخلها بالجيوش الإسلامية التي تبلغ اثني عشر ألف مقاتل وبذلك تزداد الغنائم التي يحصل عليها من الطائف ولكن القضية ليست قضية حروب وغنائم إنما القضية هي رد العدوان عن المسلمين فقط وقد فعلت القوات المسلمة ذلك في موقعة حنين.

عاشرًا: الفترة بين دخول الرسول ﷺ لمكة منتصراً وبين موقعة حنين وهي خمسة عشر يوماً فقط حتى تجمع الكفار بقيادة مالك بن عوف لمهاجمة المسلمين في مكة

وقد جمع معه في حملته العسكرية المال والأطفال والنساء حتى يجبر قواته على عدم الفرار من أمام القوات المسلمة أثناء الاشتباك معها .

الحادي عشر: فك الرسول ﷺ الحصار عن الطائف بعد أن بدأ المسلمون في حرق الكروم وهي خضرة كبيرة وسط الصحراء في هيئة بساتين وعز على قبيلة تقيف أن تحرق كرومهم وهي عريضة عليهم فأرسلوا رسولا إلى الرسول ﷺ يخبره بأن إذا قام بإحراق الكروم وقطفها فإنها لن تعمر أبدا فليأخذها لنفسه أو ليدعها وهو رحيم إذ بينهم وبينه من القرابة الكثيرة وما إن أتى شهر ذى القعدة وهو من الأشهر الحرم حتى أمر الرسول ﷺ بفك الحصار .

الثاني عشر: أثر توزيع الغنائم سرت إشاعة بين الأنصار وهي فتنة أن الرسول ﷺ أصبح لاحتياج الأنصار بعد أن التقى بأقاربه من أهل قريش وأصبح في غنى عن الأنصار بعد أن لقي قومه فلم يعد يحفل بهم ولا يعنى بشأنهم كما كان من قبل فلما بلغ الرسول ﷺ هذه الفتنة أمر سعد بن عباد أن يجمع له الأنصار وخطب فيهم بان أغدق على حديثي الإسلام من أهل قريش من الغنائم ليعوضهم عما أصابهم من القتل والهزيمة معتمدا على حسن إسلام الأنصار وصدق رغبتهم في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله ثم أكد محبته إياهم وإيثارهم على غيرهم من العرب وبعد هذه الخطبة طابت نفوس الأنصار برضاء الرسول ﷺ عليهم وتم إطفاء الفتنة في بدايتها بحكمة الرسول .

الثالث عشر: عاد الرسول ﷺ إلى المدينة فوصلها في شهر ذى القعدة في السنة الثامنة من الهجرة عام ٦٢٩ م ولو كان الرسول ﷺ يفضل قومه من أهل قريش لمكث بينهم وترك المدينة حيث الأنصار والمهاجرين، ولكن ما حدث حديث أفك وفتنة استطاع الرسول ﷺ القضاء عليها .

الرابع عشر: بعد أن فك الرسول ﷺ حصار الطائف وجد أهل الطائف انهم جزيرة صغيرة وسط قبائل المسلمين في شبه الجزيرة العربية وجميع من حولهم أصبحوا مسلمين وهم الوثنيون فقط. فقد أسلمت شبه جزيرة العرب تقريبا كلها ، فتشاور زعماء أهل الطائف من قبيلة تقيف وصادتها في وضعهم وبعد أن عاد الرسول ﷺ إلى المدينة في شهر ذى القعدة من السنة الثامنة للهجرة بعد فك حصار الطائف حضر إليه عروة بن مسعود و أعلن إسلامه في المدينة وهو من سادة الطائف من

قبيلة تقيف وبعد إسلامه استأذن الرسول ﷺ في العودة الى الطائف ليدعو أهله وحذره الرسول ﷺ من أن يقتلوه ولكن عند عودة عروة بن مسعود إلى الطائف بعد إسلامه دعا قومه للإسلام ولكن بعض أهله اجتمعوا عليه ورموه بالنبل فمات مغتصباً باستشهاده في سبيل الله واجتمع سادة أهل تقيف في الطائف و أرسلوا وفدا مكونا من ستة أشخاص على رأسهم عبيد ياليل بنى عمر وبن عمير وقابل الوفد الرسول ﷺ في شهر رمضان في السنة التاسعة من الهجرة عام ٦٣٠م وعرضوا على الرسول ﷺ أن يسلم أهل الطائف بشرط أن يترك لهم طاغوتهم " اللات " ولكن الرسول ﷺ رفض وقبل دخولهم الإسلام بدون شروط وفي النهاية دخلوا الإسلام على أن يهدموا طاغوتهم " اللات " بأيديهم وقد أرسل معهم إلى الطائف أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه حيث كان الأخير من بنى تقيف أنفسهم وكان الأول له في تقيف قرابة رحم ثم أمر الرسول بان يتولى أمر الطائف عثمان بن أبى العاصى لتعليم أهل الطائف الإسلام وتعليمهم القرآن وحفظه وكتب الرسول ﷺ لهم كتابا وبذلك دخل أهل الطائف الإسلام بكامل إرادتهم وبدون فرض ذلك بالقوة، وبدون فرض ذلك بحد السيف كما يدعى بعض أعداء الإسلام .

الفرع الثانى

موقعة تبوك

سوف نتناول موقعة تبوك فى نقطتين على النحو التالى:

النقطة الأولى : موقعة تبوك

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى موقعة تبوك

النقطة الأولى : موقعة تبوك :

بعد أن دخلت الجزيرة العربية فى الإسلام وبعض القبائل التى تخضع للدولة الرومانية وجد هرقل قيصر الروم انه إذا ترك المسلمين فسوف تدخل قبائل اكثر مما هى تحت ولايته فى الإسلام لذلك قرر هرقل قيصر الروم التحرك لمواجهة المسلمين الذين وجد فيهم خطرا يهدد بزوال ملكه وحشد جيشا كبيرا فى بلاد الشام نزل فى تبوك وقد انضمت إليه بعض قبائل لحم وحزام وعاملة وغسان وقد وصلت هذه المعلومات إلى الرسول فجهز الرسول ﷺ جيشا من المسلمين بلغ

الثلاثين ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس وخرج لملاقاة قيصر الروم خارج المدينة المنورة في مكان يبعد عنها في رجب العام التاسع من الهجرة في ٦٣٠ م . وصل المسلمون إلى تبوك حيث كان الجيوش الرومانية وعندما وصلوا وجدوا جيوش الروم انسحبوا ليختفوا داخل الحصون في بلاد الشام بعد أن علموا بقوة الجيوش الإسلامية فأقام الرسول ﷺ والجيوش الإسلامية عشرين يوماً في تبوك لنشر الإسلام في المناطق المجاورة للشام . وكان الرسول ﷺ يخيبرهم بين ثلاث أما الإسلام أو الدخول في الحرب أو الجزية وهذا الخيار والاختيار متروك لكي يقرروه بمحض ارادتهم فأقبل إليه يوحنا بن روية والى أيلة وقدم الجزية ثلاثمائة دينار كل عام على أن يقوم بشعائره الدينية وعلى أن تقوم الدولة الإسلامية بحمايته وقد أعطاه الرسول عقد الأمان انه في ذمة أمان الله ورسوله والمسلمين . وكذلك فعل أهل جرباء واذرح حيث دفعوا الجزية وكان الرسول ﷺ يخشى غدر أمير دومه الجندل ويدعى اكيد بن عبد الملك الكندي إذا فكر الروم في الهجوم من ناحيته لانه معروف عنه الغدر بالمسلمين فأرسل له خالد بن الوليد في حوالى خمسمائة فارس وقام بأسر اكيد بن عبد الملك الكندي ثم أسلم فعفى الرسول ﷺ عنه واصبح حليفاً له وقد كانت واقعة تبوك آخر الوقائع الحربية التي اشترك فيها الرسول ﷺ وقد حسمت تردد القبائل العربية المجاورة لبلاد الشام بين تأييد الروم أو الدخول في الإسلام فأخذت وفودها تقصد المدينة المنورة تعلن إسلامها تحت راية الرسول ﷺ .

النقطة الثانية : رأي المؤلف في موقعة تبوك :

أولاً: موقعة تبوك كانت دفاعاً عن النفس دفاعاً عن الدولة الإسلامية حيث قرر هرقل قيصر الروم مهاجمة الدولة الإسلامية بعد أن خرجت بعض القبائل التابعة له وانضمت إلى الإسلام و جيش الجيوش في تبوك وانسحب بها إلى جنوب الشام بعد علمه بقوة الرسول ﷺ والمسلمين التي جهزها الرسول للدفاع عن الدولة الإسلامية وتمركز بها في تبوك لمدة عشرين يوماً .

ثانياً : القبائل المجاورة للشام حينما شاهدت قوة المسلمين وانسحاب جيوش قيصر الروم إلى حصون الشام خيبرها الرسول ﷺ بين الإسلام و الجزية فأقبل إلى الرسول ﷺ يوحنا بن روية والى أيلة وعقد معه الرسول ﷺ عقد أمان الله وأمان

الرسول ﷺ والمسلمين هذا نصه " بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد رسول الله ليوحنا بن روية و أهله أيله سفنهم وسيارتهم فى البحر والبر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام و أهل اليمن و أهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر " . وعقد الأمان الذى عقده الرسول مع أهل أيله لحماية أموالهم و أنفسهم وحمايتهم بمعرفة المسلمين جميعا والدفاع عنهم وذلك مقابل الجزية وهى ثلاثمائة دينار وهو مبلغ زهيد للمشاركة فى مصاريف الجيوش الإسلامية التى تدافع عنهم حيث أن أهل أيلة أصبحوا حلفاء للمسلمين و يباشرون شعائرهم الدينية بحرية وليس أهم الاشتراك فى جيوش المسلمين حتى لا يجبرونهم على الاشتراك فى جيوش تقوم بالدعوة الإسلامية وهم لا يؤمنون بها وهذا من سماحة الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى .

ثالثاً: الجزية ومقدارها ثلاثمائة دينار مبلغ زهيد وهى ليست عقوبة لعدم دخول الإسلام كما يدعى بعض المستشرقين بل هى فى حقيقتها ضريبة للمشاركة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى أصبحت ملزمة بالدفاع عنهم بموجب عقد الأمان وهى مثل ضريبة الدفاع الآن فالمسلمون ملزمون بدفع الزكاة وهى ركن من أركان الإسلام أما أهل أيله وهم غير مسلمين ليسوا ملزمين بها ولكن ملتزمون بالجزية لانه ليس من المعقول أن تدافع الجيوش الإسلامية عنهم دون أن يساهموا فى نفقات الجيوش الإسلامية .

رابعاً: بعد ذلك دفع أهل جرباء و أهل انرح الجزية مقابل الدفاع عنهم ومناصرة الرسول ﷺ وان يكونوا تابعين للدولة الإسلامية وعقد معهم الرسول ﷺ عقود أمان الله وأمان الرسول ﷺ والمسلمين جميعا فى مناصرتهم والدفاع عنهم وكان نص عقد الأمان لاهل جرباء و أهل انرح على النحو التالى:

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وانرح انهم آمنوا بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب ومائة أوقية طيبة وان الله عليهم كفيل بالنصح و الإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين " .

ويلاحظ من عقد الأمان الذى أبرمه الرسول مع أهل جرباء وانرح ان الجزية هى مائة دينار فقط لانهم كانوا فقراء عكس أهل أيله فقد كانوا أغنى منهم .

خامساً: كان الرسول ﷺ يخشى غدر أمير دومة الجندل وهي إحدى القبائل المجاورة للشام من ان يغدر بالمسلمين ويسمح لجيوش الروم بمهاجمة جيوش المسلمين من ناحيته فارسل إليه خالد بن الوليد على رأس قوة من خمسمائة فارس و أسره وعندما اسلم عفى عنه الرسول ﷺ وأصبح أمير دومه الجندل وهو اكيد بن عبد الملك الكندي من حلفاء الدولة الإسلامية وحليفا للرسول ﷺ وهذه الواقعة لتأمين ظهر الجيوش الإسلامية حتى لاتفاجئ جيوش قيصر الروم الجيوش الإسلامية من ناحية دومة والجندول .

سادساً: بعد موقعة تبوك عرفت جميع القبائل المجاورة للشام قوة المسلمين وانتشر الدين الإسلامي فدخلوا في الإسلام طواعية وكانت الوفود تقصد المدينة لمقابلة الرسول ﷺ معلنة إسلامها تحت راية الإسلام وكان أول هذه الوفود وفد الطائف حيث جاء وفد في العام التاسع الهجري ٦٣٠م من الطائف مكون من ستة أشخاص بعد حصار الطائف وفك الحصار وبعد موقعة تبوك و أعلنوا إسلام أهل تقيف وهم أهل الطائف و أرسل الرسول ﷺ مع وفد الطائف اثنين من رجاله وهما المغيرة بن شعبه وهو مسلم من أهالي الطائف و أبي سفيان وله أقارب بالطائف وذلك لهدم أصنامهم " اللات " وبإسلام الطائف بعد موقعة تبوك أصبحت الحجاز كلها قد أسلمت بإرادتهم .

سابعاً: لو كان الرسول ﷺ يريد القتل لنشر الإسلام بحد السيف أو يريد الغنائم كما يدعى بعض المستشرقين لكان ترك تبوك وتوجه إلي قوات قيصر الروم المتحصنة داخل الحصون في بلاد الشام وحاصرها من الخارج وقطع عنهم الطعام والمؤن ومن المؤكد أنها كانت سوف تستجيب لمطالبه إذا طال الحصار عليهم ولكنـه لم يفعل لأن غرضه الأساسي الدفاع عن النفس والدفاع عن الدعوة الإسلامية في مهدها حينما علم بتجميع قيصر الروم وبعض القبائل الكافرة الجيوش لمهاجمة البلاد الإسلامية وتجمعهم في تبوك متبعاً المقولة العالمية في تجهيش الجيوش ان خير وسيلة للدفاع هي الهجوم فالهجوم ليس للهجوم ولكن لتفعيل الدفاع .

الفرع الثالث

دخول القبائل الإسلام فى عام الوفود

سوف نتحدث فى دخول القبائل فى الإسلام فى عام الوفود فى نقطتين على

النحو التالى :

النقطة الأولى : دخول القبائل فى الإسلام فى عام الوفود .

النقطة الثانية : رأي المؤلف فى دخول القبائل الإسلام فى عام الوفود .

النقطة الأولى : دخول القبائل الإسلام فى عام الوفود :

فى العام التاسع للهجرة ٦٣٠ م بعد موقعة تبوك ومعرفة قوة المسلمين بدأت القبائل العربية التى لم تسلم تسأل عن ذلك الدين الجديد الذى بدأ ينتشر بسرعة كبيرة فى الجزيرة العربية وبدأت الوفود من القبائل العربية تتوافد على المدينة المنورة تعلن إسلامها ودخلت كثير من القبائل العربية الإسلام طواعية باختيارها دون حرب وسمى هذا العام عام الوفود وذلك لكثرة الوفود التى جاءت إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ لإعلان إسلامها وكانت القبائل العربية ترسل سادتها وزعماءها إلى الرسول ﷺ ليعلموا إسلامهم ومنها وفد قبائل تميم وعبد قيس وحنيفة وأهل نجران وعامر وطى والأشهرين وأهل اليمن ومراد وزبيد وكنده وثعلبة ومحارب وكلاب ورؤاس وعقيل وقشير والبكاء وكنانة واشجع وبأهله وسلمي وخلال بن عامل وبكر بن وائل وتغلب ونجيب وخولان وجعفى والدصف وخشين وسعد والسباع وغدرة وبلى والداريين .

ونظرا لهذه الأفواج الكثيرة من القبائل التى أرسلت وفودها إلى الرسول ﷺ لإعلان إسلامها فى العام التاسع للهجرة سمي هذا العام بعام الوفود وكذلك فى العام العاشر للهجرة ٦٣١ م تتابع الوفود إلى المدينة لإعلان إسلامها ومنها وفود سلمان وغسان والحارث بن كعب وفد حجاج وبحيلة وأهل اليمن .

وفى العام العاشر للهجرة أرسل الرسول ﷺ بعض الصحابة والقادة إلى القبائل التى بقيت على دينها والكفار ليلبغهم الدعوة الإسلامية وقد وصاهم الرسول بقوله " ولا تلتفت إذا نزلت بساحتهم فلا تقاثلهم حتى يقاتلوك " .

فتوجه على بن أبى طالب إلى قبائل مذحج من أهل اليمن ولكنهم قاتلوه فقاتلهم وتغلب عليهم فأجابوه إلى الإسلام وتوجه خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن

كعب فى نجران فى شهر ربيع الثانى من العام العاشر للهجرة ٦٣١م فأجابوه للإسلام دون قتال وعاد خالد بن الوليد معه وفد نجران من بنى الحارث فأعلنوا إسلامهم أمام الرسول فى المدينة المنورة .

و أرسل الرسول ﷺ عمرو بن حزم إلى بنى الحارث بن كعب و أرسل زياد بن ليلى إلى حضرموت و أرسل المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء و أرسل أبى موسى الأشعري إلى زبيد ورفع وعدن والساحل و أرسل الرسول ﷺ عمرو بن حزم ثم أبى سفيان بن حرب إلى نجران و أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن .

النقطة الثانية: رأى المؤلف فى عام الوفود :

أولا: بهذا التبليغ للدعوة الإسلامية منذ فتح مكة وإسلام قريش وبعد أن أخذ العرب من شبه الجزيرة يدخلون فى دين الله ونزل قول الله فى الآية من سورة النصر (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) وكان الرسول ﷺ يخيّر الكفار بين خيارين إما القتال أو دخول الإسلام وكان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم ثلاث خيارات أما القتال أو الإسلام أو دفع الجزية مقابل أنهم ويكون لهم نفس حقوق المسلمين وواجباتهم وحرية إقامة شعائرهم والدفاع عنهم فى مواجهة أى اعتداءات خارجية والجزية ليست عقوبة بل هى ضريبة للدفاع عنهم فى حالة الاعتداء عليهم ومساهمة منهم فى نفقات القوات الإسلامية أى ضريبة دفاع .

ثانيا: فى العام التاسع للهجرة عام ٦٣٠م عهد الرسول إلى أبى بكر الصديق ﷺ بإمارة الحج فخرج من المدينة ومعه ثلاثمائة من الصحابة وارسل معه على بن أبى طالب كسى يخطب فى الناس يوم عرفه وتلا عليهم ما ورد فى سورة التوبة الآية (١ ، ٢) (بِرَأَاةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) ثم تابع الآيات فى سورة التوبة وبعد ان انتهى من سورة التوبة قال فى الخطبة " يا أيها الناس انه لايدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند الرسول ﷺ عهد فهو الى مدته".

ولذلك اعطيت مهلة للكفار أربعة أشهرحتى يعتنقوا الإسلام أو قتالهم أما أهل الكتاب من النصارى واليهود عليهم إعلان خضوعهم للدولة العربية الإسلامية عن طريق دفع الجزية لأنهم أهل ذمة .

ثالثاً: السؤال الذى يطرح نفسه على بعض المستشرقين أين هو انتشار الإسلام بحد السيف فى عام الوفود وها هى الوفود من القبائل على رأسها زعماء القبائل ومساعدتها يأتون طواعية إلى المدينة المنورة ويتحملون عبء السفر رغم وعورة الطرق فى ذلك الوقت واثر دخولهم المدينة يتوجهون لمقابلة الرسول ﷺ بحر إرادتهم يعلنون إسلامهم باسم قبائلهم وأطرح سؤالاً آخر للمستشرقين يحتاج إلى جواب أيهما أفضل للإنسان ان يعيش كافراً بأسلوب الجاهلية أم ان ينضم إلى دين سماوى يهذب السلوك ويعترف بالله واليوم الآخر ؟ ان الخيار بين القبائل العربية لم يكن يحتاج إلى تفكير كثير ذلك ما فعله زعماء القبائل فى عام الوفود وهو التصرف الذى يتفق مع الفطرة السليمة.

الفصل الرابع

حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ

سوف نتحدث فى هذا الفصل وهو حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ فى مبحثين على النحو التالى :

المبحث الأول : حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ .

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ وما بعد الرسول ﷺ.

المبحث الأول

حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ

فى يوم ٢٥ ذى القعدة فى السنة العاشرة للهجرة ٦٣١ م توجه الرسول ﷺ لاداء فريضة الحج واخذ معه نساءه جميعا وكان معه من المسلمين للحج اكثر من مائة ألف من المسلمين جاءوا من كل ناحية فى شبه الجزيرة العربية ليسيروا مع الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة بعد ان ترك الرسول ﷺ أمر المدينة إلى أبى جحانة

سماك بن حرشة الساعدي وبلغ الرسول ﷺ مكة في ذى الحجة ودخل مكة نهرا واسرع إلي الكعبة وقبل الحجر الأسود ثم خرج من المسجد إلي الصفا ثم سعى بين الصفا والمروة وفي ٨ ذى الحجة توجه الرسول ﷺ إلي منى حيث قضى الليل ثم صلى الفجر وقصد جبل عرفات وحوله المسلمون ثم سار بناقته القصواء حتى بطن الوادي وخطب في المسلمين خطبته الأخيرة وقد قال في خطبة الوداع " فاعقلوا أيها الناس قولي فأني قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا أبدا امرأ بيننا كتاب الله وسنة رسوله " ثم تابع الرسول ﷺ مناسك الحج وعاد إلي المدينة في ١٤ ذى الحجة من العام الحادي عشر للهجرة عام ٦٣٢ م وكانت آخر حجة للرسول وفيها كان الرسول ﷺ قدوة ليتعلموا مناسك الحج من بعده .

واثر عودته للمدينة اشتد به مرض الحمى وهو في منزل زوجته السيدة عائشة أم المؤمنين وقد طال مرضه إلي حوالي اثني عشر يوما وافاق يوم الأحد ١١ ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة في عام ٦٣٢ م وصلى مع أبي بكر الصديق في المسجد وعاد إلي منزل عائشة وفي يوم الاثنين ١٢ ربيع أول من العام الحادي عشر للهجرة عام ٦٣٢ م توفي الرسول ﷺ.

المبحث الثاني

رأي المؤلف في حجة الوداع ووفاة الرسول وما بعد الرسول ﷺ

أولاً: في حجة الوداع كان يسير مع الرسول ﷺ لتوجه إلي مكة أعداد لم يشهدا الحج منذ فرضه فقد قيل أنه صحب الرسول ﷺ عدد أكثر من مائة ألف من المسلمين في مكان ضيق لا يمكن انه يستوعب هذه الاعداد الكبيرة وهذا يدل دلالة مؤكدة على ما وصل إليه إنتشار الإسلام في أواخر أيام الرسول ﷺ بالإرادة الحرة لمتبعيه لانه لا يتصور أحد أن يتوجه أكثر من مائة ألف مسلم لاداء مناسك الحج بدون إرادتهم.

ثانياً: عندما ترك الرسول ﷺ المدينة إلي مكة في ٢٥ ذى القعدة من العام العاشر للهجرة في عام ٦٣١ م لاداء فريضة الحج لم يترك المدينة بدون حاكم ينظم شئونها

بل ترك مسألة تنظيم أحوال المسلمين إلي أبي دجانة سماك بن حرشة الساعدي لأن الدولة الإسلامية استكملت أركانها كدولة كبيرة .

ثالثاً: خطبة الوداع التي ألقاها الرسول ﷺ في المسلمين الذين يؤدون مناسك الحج " بدأ حديثه لهم " أن دماءكم و أموالكم عليكم حرام الى أن تلقو ربكم كحرمة يومكم هذا و كحرمة شهركم هذا و إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم و قد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلي من انتمنه عليها " و اخذ يقدم النصائح للمسلمين و انهى خطبته بقوله " اللهم هل بلغت " أجابة المسلمون نعم فقال " اللهم فاشهد " و يبدوانه كان يعلم أن هذه آخر خطبة له في الدنيا في مكة و قد كانت خطبة الوداع تعتبر دستوراً للمسلمين أعده و نادى بالمساواة بين النساء لافرق بين العبد الحبشي و الشريف القرشي حيث قال " لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى".

رابعاً: بعد أن أدى الرسول ﷺ مناسك الحج وخطواتها خطوة بعد خطوة وضع الرسول ﷺ كيفية تعلم مناسك الحج و كان قدوة للمسلمين حتى اليوم يسيروا على نفس الدرب الذي اتبعه الرسول ﷺ في أداء مناسك الحج .

خامساً: رغم أن الرسول ﷺ كان مريضاً بمرض الحمى إلا أنه في اليوم الذي قبل وفاته يوم الأحد ١١ ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة في ٦٣٢م جاءته الصحوة قبل الموت و توجه إلي المسجد لاداء الصلاة مع أبي بكر ﷺ رغم أن مريض الحمى لايتسطيع النهوض من فراشه .

سادساً: عندما أفاق الرسول ﷺ في اليوم السابق لوفاته فتصدق بكل أمواله وهي سبعة دنانير هي كل ما لديه وهذا فيه أبلغ رد على بعض المستشرقين الذين كانوا يرددون أن الغرض الأساسي من غزوات الرسول ﷺ هي الغنائم و السؤال الذي أطرحه على المستشرقين أين هي الغنائم التي حصل عليها الرسول ﷺ و كل ما يملكه قبل وفاته سبعة دنانير تصدق بها و ترك الدنيا و لا يملك شيئاً لا يملك بعيراً و لا شاه و كل ما يملكه هو بغلته البيضاء التي كان يركبها و سلاحه و أرضاً جعلها لابن السبيل صدقة و لم يوص بشئ فقد مات و كل ما تركه سلاحه و بغلته فقط .

سابعاً: يوم وفاة الرسول ﷺ في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرية للهجرة عام ٦٣٢م لم يصدق عمر بن الخطاب وفاة الرسول ﷺ أنه قد مات

وقام يخطب في الناس ويتوعد كل من قال انه مات وامسك بسيفه مهددا بالقتل كل من يردد وفاة الرسول ﷺ.

ثامنا: حينما علم أبو بكر بوفاة الرسول ﷺ دخل بيت عائشة أم المؤمنين وقبل الرسول ﷺ وهو يبكي وخرج الى المسجد وخطب في المسلمين ونعى الرسول وقرأ سورة الزمر الأيتان (٣٠ ، ٣١) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . وجزء من سورة الأنبياء الآية (٣٤) (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) وجزء من سورة الرحمن الأيتان (٢٦ ، ٢٧) (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ نُورٌ الْجَلالِ وَالْاَكْرَامِ) وجزء من سورة آل عمران الآية (١٤٤) (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) . وفي نهاية الخطبة قال أبو بكر الصديق قولته الشهيرة " من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت " .

تاسعا: بعد خطبة أبي بكر الصديق ﷺ بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة خلفا للرسول ﷺ .

عاشرا: دفن الرسول ﷺ حيث كان فراشه مخفر تحته بعد أن قال أبو بكر سمعت أن الرسول ﷺ يقول " ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي وكان ذلك يوم الأربعاء أي مكث ثلاثة أيام يصلون عليه " .

الحادي عشر: بتولى أبي بكر الخلافة بمجرد وفاة الرسول ﷺ هدأت العاصفة التي كادت أن تفرق المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ للحفاظ على الدولة الإسلامية التي تحققت بقيادة الرسول ﷺ وثبات المسلمين الأوائل ومن انضموا إليهم طمعا في الجنة.

الثاني عشر: أن دخول القبائل العربية كلها في شبه الجزيرة العربية في الإسلام اضعف قوة الرابطة القبلية القديمة التي قام المجتمع العربي على أساسها وهي قرابة الدم وظهرت قوة الدولة الإسلامية الجديدة وكانت قوة الرابطة في الدولة الجديدة هي انتماؤهم إلى الديانة الإسلامية الذي أصبح أحد أسباب قوة التماسك في الدولة الجديدة

الثالث عشر: جميع القبائل العربية التي انضمت إلى الإسلام كانت تذعن للرسول ﷺ وتأتزر بأمره في بلاد العرب لأنه رمز لمذهب حياة اجتماعية جديدة أساسها الإسلام .

الرابع عشر: لم يمض على حجة الوداع ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول ﷺ وكانت آخر خطبة له أثناء مرضه حيث كان معصوب الرأس وقال الرسول " ﷺ بلغنى إنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلى ممن بعث الله ما خلد فيكم إلا ائى لاحق برىبى و إنكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم وذكر الآية الكريمة فى سورة العصر الآية (٣) (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) .

و قد أوصى المهاجرين بالأنصار و أوصى الأنصار بالمهاجرين و كأنه كان يشعر بالانشقاق الذى سوف يحدث بعده والردة عن الإسلام .

الخامس عشر: مات الرسول ﷺ وقد كان سياسيا حكيما ذا رأى صائب وفكر ثاقب وقد بدت مهارته السياسية فى التأليف بين أهل المدينة من الأوس والخزرج وظهر ذلك واضحا فى تصرفاته التى كان يخرج بها من اشد المآزق حرجا طوال حياته .

السادس عشر: إن الرسول ذو نفس سمحة تحب الخير وتميل إلى العفو بدليل عفوہ عن وحشى مولى مطعم بن جبير الذى قتل عمه حمزة بن عبد المطلب فى موقعة أحد وعفوه عن رفاعه بن سموال القرظى وعفوه عن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب التى لاكت كبد عمه حمزة وكان ذلك فى واقعة أحد وكان ذلك من أسباب تفكير أبي سفيان فى الإسلام وعن مالك بن عوف زعيم هوازن الذى قتل المسلمين وخذعهم .

السابع عشر: كان الرسول ﷺ معروفاً عنه الشفقة والرحمة ورأفته معروفة للجميع وقد ورد ذلك فى القرآن فى سورة التوبة الآية (١٢٨-١٢٩) (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) والأمثلة فى ذلك عديدة فكان أجود الناس بالخير وقيل أن كعب بن زهير بن أبي سلمى جاء إلى الرسول تائبا بعد أن هجا المسلمين وسأل الرسول ﷺ العفو وانشد قصيدة

وكافأه على ذلك بأن خلع عليه بردته في ذلك اليوم فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بن أبي سفيان بعشرين ألف درهم ولا تزال موجودة في القسطنطينية حتى اليوم ولنتوقف قليلا أمام هذه الواقعة فقد كان كعب بن زهير يهجو الرسول ﷺ والمسلمين فيأتى معتذراً فيقبل اعتذاره ولا يكتفى بذلك بل يعطيه بردته . .

الثامن عشر: أن الرسول ﷺ بعد أن أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط بكتاب يعلنه بدخول الإسلام احسن المقوقس استقبال مندوب الرسول ﷺ وقدم الهدايا للرسول ﷺ منها مارية القبطية التي تزوجها وولدت له ابنه إبراهيم لذلك أوصى الرسول ﷺ بالأقباط في مصر وأوصى بهم خيرا إذ قال " إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وئمة ."

كما لو كان الرسول ﷺ يعرف ما في الغيب فقد تحقق كلامه في عام ٦٤١ م في عهد عمر بن الخطاب وفتح عمرو بن العاص مصر وظلت الوصية الأبدية للرسول ﷺ إناؤه أوصى بأقباط مصر خيرا وهذه وصية واجبة إلي أن يرث الله الأرض وما يجب ان تكون عليه علاقة المسلمين والأقباط فان من يخرج عليها يخرج عن صحيح الدين الإسلامي ويخرج عن تعاليم الرسول الواجبة النفاذ في كل زمان ومكان لذلك فان الإسلام برئ كل البراءة من تصرفات الذين يشوهون العلاقة الخالدة بين المسلمين والأقباط مهما كان تبريرهم لها لان تعاليم الرسول ﷺ دستور إسلامي وعلى ذلك فالعلاقة الطيبة من المحبة والصداقة التي تربط بين قداسة البابا شنودة وفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي هي العلاقة التي تمثل صحيح الدين الإسلامي وصحيح الدين المسيحي من المحبة بين الطرفين ومن تعاليم الرسول ﷺ انه أوصى بالأقباط خيرا أما النماذج غير السوية المتعصبة في علاقة المسلمين والأقباط فإنها علاقات لا تمثل صحيح الديانتين الإسلامية والمسيحية .

التاسع عشر: يقول أحد المستشرقين وهو وليم مور ميور أن فكرة عمومية الرسالة المحمدية أو عالمية الرسالة المحمدية فكرة لم يذكرها الرسول ﷺ نفسه وكان تكفير الرسول قاصرا على إسلام القبائل العربية فقط ويرى المؤلف أن كلام وليم مور فيه خلط في الأوراق لأن التاريخ يرفض هذا المنطق بان عالمية الإسلام قد غرست بدعوة الرسول ﷺ والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ أرسل برسائل عديدة إلى الملوك والأمراء في البلاد خارج الجزيرة العربية يدعوهم للإسلام فأرسل إلي كسري ملك الفرس والى قيصر إمبراطور الروم والى المقوقس عظيم القبط في

مصر والى النجاشى فى الحبشة وغيرهم كثيرون كما ذكرت من قبل بالدعوة الحسنة إلى الإسلام ولكن الإسلام ذاته يؤمن بأنه لا إكراه فى الدين وان اختلاف الديانات أوامر بمشيئة الله وان الله لو أراد لوحد الأديان وعلى ذلك فان اختلاف الأديان السماوية بين مسلم ومسيحى ويهودى هى أوامر بمشيئة الله و إرادته .

العشرون : يقول أحد المستشرقين وهو سير توماس ارنولد أن الرسائل التى أرسلها الرسول للملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية يدعوهم للإسلام أما أرسلت عن حماسة جوفاء ولكن المؤلف يري غير ذلك أن الرسول أرسل هذه الرسائل بناء على تعليمات القرآن الكريم فقد ورد فى سورة الفرقان الآية (١) (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) وما ورد فى القرآن فى سورة سبأ (٢٨) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

الحادى والعشرون : يقول أحد المستشرقين وهو وليم مور أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير الجزيرة العربية فقط ولكن المؤلف يري أن ذلك غير صحيح لان الرسول كان دائم الأسفار للتجارة فقد سافر وهو صبى مع عمه أبى طالب فى تجارته اكثر من مرة لبلاد الشام وهى خاضعة لقيصر الروم ولما بلغ خديجة أمانته وخبرته ألفت بمالها بين يديه ليعمل فى التجارة والأسفار خارج الجزيرة العربية وظل يشتغل بالتجارة حتى نزل عليه الوحي وبعد ذلك يقول وليم مور إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير الجزيرة العربية فقط !

الثانى والعشرون : اختار الله الرسول وهو فى سن الأربعين وانزل عليه الوحي ليكون مبشرا بالإسلام وتوفاه الله تعالى وهو فى سن الثلاثة والستين سنة بعد أن ظل الوحي يواتيه طوال تلك المدة بأحكام الله وما تشرع لعبادة نزل عليه بالآيات فى حل ما يعرض عليه مشكلات و تذليل ما يعترض مهمته من عقبات ووضع الرسول أمور العبادة ومبادئ الأخلاق كما وضع النظريات العامة وشرح للمسلمين نظم المعاملات كالبيع والشراء والطلاق والزواج وحرمة المنكرات كالخمر والزنا والميسر وقدر الحدود والقصاص ونظم لهم معاملاتهم وكان القرآن الكريم هو دستور المسلمين بعد حياة الرسول ﷺ وسنة الرسول كذلك وقد جمع القرآن فيما بعد فى عهد الخلفاء الراشدين فى نسخة واحدة فى ١١٤ سورة حيث لم يكن قبل الإسلام للعرب قوانين معروفة فكانوا دائما يرجعون إلى رؤسائهم قبل الإسلام أما بعد الإسلام جاء الإسلام بدستور سماوي هو القرآن الكريم ينظم المعاملات كما

شرع للمسلمين العبادات فقد شرع الصلاة و الزكاة في مكة أما كيفية إقامة الصلاة ومصاريف الزكاة ومقاديرها فلم تشرع إلا في المدينة كما جاء في سورة البقرة (من ٢ إلى ١٠) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) كما شرع الصوم في السنة الثانية من الهجرة عام ٦٢٣م في المدينة. وقد نزلت الآية في القرآن الكريم في سورة البقرة ٢: (١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (السبقة: ١٨٣) وقد نظم الحج في السنة السادسة من الهجرة الآية القرآنية من سورة آل عمران (٣: ٩٧) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

الثالث والعشرين: ظل الرسول ﷺ يصلي قِبَل بيت المقدس إلى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة في عام ٦٢٣م ولكن الله أمره بالتحول إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس وكانت الكعبة بيت الله الحرام ومعقد فخار العرب واحترام قبائلهم جميعا فجميع القبائل العربية كانت تكن احتراما للكعبة، لذلك تغير وجهه الصلاة إلى الكعبة لقي قبول العرب في الجزيرة العربية وهذا لم يرض يهود الجزيرة العربية الذين كانوا قبلتهم بيت المقدس في الشام وحاول اليهود إثناء الرسول ﷺ بالعدول عن تغير القبلة إلى بيت المقدس مرة أخرى لذلك نزلت الآية في القرآن في سورة البقرة (٢-٤٢) (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . وخاصة وان اليهود هم الذين أشاعوا أن الرسول ﷺ كان يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته ولذلك فان لكل شريعة من الشرائع الدينية قبلتها وقد نزل قول القرآن الكريم في سورة البقرة (٢٥-١٤٥) (وَلَسْنَا أَنْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) .

الرابع والعشرون: من أهم ما جاء به الإسلام - مخالفا بذلك لما كان موجودا بالجاهلية- أن حرم الإسلام سفك الدماء ومنع الانسان أن يأخذ الثأر بنفسه بل جعل ذلك إلى الإمام وحده وحث الإمام على القصاص من القاتل كما جاء في سورة البقرة (٢-١٧٩) (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وحسمه عن العفو وجعل الدية لولى المقتول خطأ.

الخامس والعشرون: " ومن أهم ما جاء به الإسلام انه نهى عن الربا ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل كما ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة (٢-٢٧٥) (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

السادس والعشرون: أهم ما وضعت الإسلام انه وضع المبادئ العامة التي تنظم المعاملات بين الأفراد كالبيع والشراء وعن الأسرة فشرع الزواج والطلاق وفرض النفقة للزوجة على زوجها وللابن على ابيه وللأب على ابنه ووصف علاقة الزواج أنها علاقة مودة ورحمة وجعل للمرأة على زوجها المهر والنفقة وحرّم الزواج بالمحرمات وأباح الإسلام الزواج بأكثر من واحدة إلى أربع ولكنه اشترط العدل بينهم كما جاء في سورة النساء (٣:٤) (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعْدِلُوا) وبين أن العدل بينهم من أصعب الأمور وقد يكون مستحيلا كما ورد في القرآن الكريم في سورة النساء (٤-١٢٩) (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ) وحس الإسلام على التمسك بالفضائل والآداب العالية والتحية للآخرين إذ أمر بالتحية بمثلها أو احسن منها كما ورد في سورة النساء (٤:١٨٦) (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) وكذلك اهتم الإسلام بالحفاظ على العهد فقد ورد في سورة النمل (١٦:٩) (وَأَوْقُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ) وجعل القتل من القوم المعاهدين للمسلمين في درجة المقتول من المسلمين انفسهم وهذا يعطى دلالة واضحة على أن الحفاظ على المواثيق والعهود للآخرين أهم ما جاء به الإسلام سواء العهد كان للمسلمين ذاتهم أو لغير المسلمين.

السابع والعشرون: وأهم ما جاء به الإسلام انه سوي بين المرأة والرجل في جميع الحقوق تقريبا فأباح للمرأة ما لها وان تتزوج بنفسها وان توكل غيرها في زواجها كما أباح للمرأة أن تشتترط في عقد الزواج أن يكون أمرها في يدها تطلق نفسها من الرجل وقت ما تشاء وقد اعترض البعض على قسمة الموارث التي جعلت للمرأة نصف نصيب الرجل ويقولون أن في ذلك اجحافاً بحقوقها ولكن المؤلف يري

غير ذلك لأن المرأة فى جميع أطوار حياتها مكفولة بالرجل وهو مكلف بالإنتفاق عليها فى معظم أدوار حياتها وانه يجب عليه شرعاً أن ينفق عليها وقد أمر الإسلام بإحسان معاملتها ورعايتها وعدم الإقدام على فسخ عقد الزواج حيث جاء فى سورة النساء فى الآية (٩١) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) وجعل الإسلام للمرأة الحق فى المطالبة بالتفرقة بينها وبين زوجها إذا وجدت ضرورة لذلك وأجاز لها أن تتفق مع زوجها على أن يكون من حقها حل رباط الزوجية بشرط أن تعوضه عما يتعرض له من خسارة كما جاء فى سورة البقرة الآية (٢٢٩) (إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيئَا مَعَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) .

الثامن والعشرون: ومن أهم ما جاء به الإسلام انه سوي بين الناس على اختلاف أجناسهم فسوي بين الأبيض والأسود والبيدي والمتحضر والحاكم والمحكوم والوزير والخفير وبين النساء والرجال كما سوي بين اليهودي والمسيحي والمسلم مما داموا فى سلم معهم ونظرة واحدة للمسلمين فى المسجد أو مكة أثناء الحج لايعرف من الوزير ومن الخفير .

التاسع والعشرون: أن الإسلام جمع القبائل العربية تحت لوائه وألف بين قلوبهم وقضى على العصبية القبلية فى الجاهلية فزال الحزازات بينهم فخضعوا جميعا لحكم القرآن الكريم والسنة النبوية بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقين وبذلك قامت اول حكومة مركزية تجمع شبه الجزيرة العربية و أصبحت القبائل العربية تربي فى الإسلام رمز وحدتها وكانوا جميعاً يدافعون عن الإسلام طمعا منهم فى دخول الجنة كما ورد فى سورة آل عمران (١٦٩ : ١٧٠) (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبشرون بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنون) . والإسلام غير أخلاق العرب وساعد على نشر الفضيلة بينهم وبذلك لأول مرة فى تاريخ شبه الجزيرة العربية يجمع ، الدين المشترك تحت زعامة واحدة لشتى القبائل العربية فى نظام سياسى واحد .

الثلاثون: كان الرسول ﷺ يعتبر أباً بكر الصديق وعمر بن الخطاب بمثابة مستشارين له يستشيرهما فى كثير من الأمور فالأول أول من آمن به وصدقته من

الرجال لذلك كان يطلق عليه الصديق وكان صاحبه في الهجرة و عمر بن الخطاب أول من جهر بالإسلام علنا بلا خوف من قبيلته قريش .

الحادي والثلاثون : يقول بعض المستشرقين إن الرسول ﷺ تزوج من إحدى عشرة زوجة في وقت واحد رغم أن الإسلام حدد عدد الزوجات بأربع ويرى المؤلف أن ذلك غير صحيح لأن الرسول ﷺ جمع بين الزوجات الإحدى عشر قبل نزول هذه الآية التي تحدد الزواج بأربعة زوجات فقد نزلت في نهاية السنة الثامنة من الهجرة في عام ٦٢٩م وهذه الآية في سورة النساء الآية (٣) (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وعلى ذلك فالآية نزلت بعد أن تزوج الرسول من نساته جميعا وقد نظم الإسلام الزواج بالأربعة ولكنه وضع شرطا يكاد يجعل الجمع بين الأربعة مستحيلا وهو العدل بينهم فقد كان الرسول ﷺ مثالا رائعا في زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد فقد تزوجها حوالي ربع قرن من الزمان دون أن يشاركها زوجة أخرى طيلة مدة حياتها حتى توفيت خديجة في عام ٦١٩ م قبل الهجرة إلي المدينة وكانت عند زواجها مشرفة على الأربعين من عمرها وكانت تكبره سنا بحوالي خمسة عشر عاما وأكثر قليلا وقد ولدت له القاسم وعبد الله والظاهر وزينب ورقية و أم كلثوم وفاطمة وذلك يدل دلالة قاطعة على أن الرسول ﷺ لم يكن مزواجا كما يدعى المستشرقون والا ما قضى مع خديجة بنت خويلد حوالي ربع قرن ولكن الحقيقة أن جميع زوجات الرسول ﷺ بعد وفاة خديجة كانت لاغراض سياسية أو دينية أو إنسانية وقد تزوج الرسول ﷺ مثلا زينب بنت خزيمة بعد أن استشهد زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في موقعة بدر في العام الثاني من الهجرة وكانت قد تخطت سن الشباب فلم تمكث معه إلا قليلا وتوفيت فكان زواجها لأسباب إنسانية بحتة فكانت بعد السيدة خديجة الوحيدة من أزواج الرسول ﷺ التي توفيت قبله وقد توفي الرسول ﷺ عن تسع زوجات منهم عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق وقد تزوجها قبل الهجرة ودخل عليها بعد الهجرة في المدينة وهي الوحيدة التي كانت بكرًا فجميع الزوجات كانت لها أغراض سياسية ودينية فقط وليس لأنه مزواجا وكان من أغراض الزواج عنده الانتفاع بالمصاهرة واتخاذها وسيلة لاجتذاب عطف القبائل وذلك لتسهيل نشر الدعوة الإسلامية بين قبائل العرب وكان من أغراض زواجه تأليف القلوب إلي الإسلام وعطفه على من ذل بعد عز فقد تزوج حورية بنت الحارث سيد قبيلة بنى المصطلق ومن صفة بنت حبي سيد قبيلة النضير ليتم له إسلام قومها وجمع زوجات الرسول ﷺ بعد وفاة زوجته الأولى

وقد تعدى الرسول ﷺ سن الخمسين وبعد بدء انتشار الدعوة الإسلامية على نطاق واسع. ولو كان مزواجا كما يردد المستشرقون لما قضى مع خديجة وهي تكبره مدة ربع قرن من الزمن في الفترة من ٥٩٥م إلى ٦١٩م وكان في مقدوره أن يتزوج وخاصة أن الجاهلية كانت تسمح له بالزواج بأكثر من واحدة وقد تزوج الرسول ﷺ من أم سلمة وهي زوجة مسلم مات في سبيل الدفاع عن الإسلام تطيبيا لقلبها وتزوج من حفصة بنت عمر تطيبيا لقلبها عن زوجها المتوفى ومكافأة لأبيها عمر بن الخطاب أول من جهر بالدعوة الإسلامية. ونصرتة للإسلام وتزوج من زينب بنت جحش لأغراض تشريعية دينية فقد كان العرب يحرمون في جاهليتهم الزواج بزوجة المتبنى لاعتقادهم أن زوجة المتبنى كزوجة الابن من الصلب فتزوجها الرسول ﷺ إبطالا لهذا الزعم وليضع تشريعا جديدا بالإسلام يخالف ما كان متعارفا عليه في الجاهلية فقد تزوج الرسول ﷺ من أرامل الصحابة المسلمين الأوائل الذين استشهدوا في سبيل الدعوة الإسلامية فتزوج من سودة بنت زمعة بن قيس أرملة السكران بن عمر بن عبد شمس وهو رجل من أوائل المسلمين احتمل الأذى والمهانة من كفار قريش وهاجر إلي الحبشة وقد أسلمت سودة بنت زمعة معه وهاجرت إلي الحبشة وتزوج من زينب بنت خزيمة التي استشهد زوجها بن عبيده بنى الحارث في موقعة بدر وتزوج من أم سلمة هند التي جرح زوجها أبو سلمة عبد الله المخزومي ثم توفي بعد ذلك وقد تزوج الرسول ﷺ بميمونة بنت الحارث بعد أن مالت إلي الإسلام وأراد أن يتخذ من زواجه منها وسيلة للتفاهم مع قريش قبل خروجه من مكة المكرمة بعد انقضاء مهلة الثلاثة أيام عند أداء عمرة القضاء تنفيذا لصلح الحديبية وأخيرا زواجه من الجارية مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس عظيم القبط في مصر والتي أنجبت له ابنه إبراهيم تكريما للمقوقس ولقبط مصر وللدعوة الإسلامية التي انتشرت في مصر بعد وفاته.

ومن ذلك فإن جميع الزوجات للرسول كانت أغراضها سياسية ودينية إلا زوجة واحدة التي تعلق بها قلب الرسول وهي عائشة بنت أبي بكر وفي هذه الحقيقة إنكار لكل ما يدعيه المستشرقون من أن الرسول ﷺ كان مزواجا والحقيقة في رأينا أن الرسول الكريم ﷺ لم تتعدد زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة أي بعد أن جاوز سن الخمسين وجميع زوجاته الطاهرات أرامل ما عدا السيدة عائشة فهي البكر الوحيدة بين نسائه ولو كان الرسول ﷺ مزواجا كما يدعى المستشرقون لكان قد تزوج أكثر من امرأة قبل أن يبلغ سن الخمسين ، وهنا نتذكر قول الدكتور المرحوم عبد الحلیم محمود في كتابة أوربا والإسلام ان الصرح الذي شيده

المستشرقون فى سيرة الرسول ﷺ، إنما هو صرح من الورق قد أقيم على شفا جرف هار والسبب فى ذلك واضح ان المستشرقين لم يتبعوا الخطة المثلى فيما ينبغى ان يعتمدوا عليه فى السيرة النبوية لان كاتب السيرة النبوية يجب ان يتجرد من الشهوة والهوى والعصية ويبدأ فى دراسة الموضوع ناقضاً عن رأسه كل ما شأحت اليه من اباطيل عن الاسلام وكل ما غرسته فى نفسه من ترهات خاصة لمؤسس الدين الاسلامى واذا لم يفعل ذلك فإنما ما يكتبه سيكون محالاً وهماً وباطلاً، يجب ان يعتمد على الاخبار الصحيحة التى رواها المسلمون اول عهدهم للتدوين ويجب عليه ان يعتمد على سيرة ابن هشام وطبقات بن سعد وعلى البخاري ومسلم وعلى تاريخ الطبري وقيل ذلك وبعده على القرآن ، وهذا هو ما فعلناه فى هذا الكتاب إعتدنا على القرآن الكريم والسيرة النبوية لابن هشام والبخاري.

الثانى والثلاثون: ان دستور المسلمين وهو القرآن ينص على التسامح مع غير المسلمين وفرض ذلك على المسلمين جميعاً لان الاسلام يجبر المسلم على النظر الى الانسان لكونه إنساناً ايا كان دينه أو جنسيته أو لونه طبقاً لما ورد فى القرآن فى آية الاسراء (٧) (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَقَضَّيْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) وعلى ذلك لكل انسان كرامة واحترام لكونه انساناً وقد روي البخاري عن جنازة مرت على الرسول ﷺ فقام لها واقفا فقيل له يا رسول الله انها جنازة يهودي فقال الرسول ﷺ : " أليست نفسا " فرغم ان الجنازة ليهودي وما أكثر ما لقيه الرسول ﷺ من اليهود إلا أنه وقف احتراماً للجنازة رغم ان صاحبها يهودى ولكنه فى النهاية انسان.

الثالث والثلاثون: ان القرآن وهو دستور المسلمين ينظر الى مختلف الأديان نظرة متحضرة وهى أن اختلاف الأديان أمر وارد بمشيئة الله وأن اختلاف الناس فى الديانات امر وارد بمشيئة الله الذى منح للناس حرية الاختيار لأي دين وقد ورد فى سورة الكهف الآية (٢٩) (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) وكذلك ما ورد فى سورة هود الآية (١١٨) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) والمسلمون يخضعون لمشيئة الله دائماً ولا يعقبون عليها ولذلك لا يفكر المسلم الحقيقى الذى يؤمن بمشيئة الله أن يجبر الناس فى الدنيا ليكونوا كلهم مسلمين لان الله لو أراد نلك لفعل ولكن الله لا يريد ذلك وهذا ما ورد فى سورة يونس الآية (٩٩) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) .

الرابع والثلاثون: إن القرآن الكريم لا يكلف المسلمين ان يحاسبوا الكافرين على كفرهم أو يعاقبوا الضالين على ضلالهم انما حسابهم عند الله يوم الحساب في الآخرة وهذا ما ورد في سورة الحج الآية (٦٨ ، ٦٩) **وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ** * الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون

الخامس والثلاثون: ان الرسول ﷺ كان يعامل غير المسلمين من اليهود والنصارى معاملته حسنة فكان يبرهم ويكرمهم ويحسن اليهم ويأخذ منهم ويعطيهم ويزور مرضاهم فقد ذكر ابن اسحق في السيرة أن وفد نجران وهم من النصارى لما قدموا الى الرسول ﷺ بالمدينة دخلوا عليه مسجده بعد العصر فكانت صلاتهم ققاموا يصلون في مسجد فأراد الناس منعهم فقال لهم الرسول ﷺ دعوهم فصلى النصارى صلاتهم داخل المسجد هذا هو صحيح الدين الاسلامى البعيد عن التعصب ان العبادات لله الواحد وهذا ما يحدث اليوم فشيخ الأزهر والمفتى للديار المصرية يصلون فى الكاتدرائية الارثوذكسية ومعهم رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب يوم افطار رمضان الذى تدعو اليه الكاتدرائية الأرثوذكية .

السادس والثلاثون: وروى البخاري ان الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي فى نفقة عيالة وقد كان فى وسع الرسول ﷺ ان يقترض من اصحابه وما كانوا يرضون عليه بشئ ولكن الرسول ﷺ أراد أن يعلم الأمة الإسلامية من بعده .

السابع والثلاثون: وحتى نعرف معدن الرسول ﷺ على حقيقته لابد من ذكر هذه الواقعة التى روى محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة ومدون مذهبه فى كتاب السير الكبير (أن الرسول ﷺ بعث إلى اهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع على فقرائها) وقد ارسل الرسول ﷺ هذا المال من المدينة لأهل مكة رغم ما قاساه من أهل مكة وكذلك المسلمون من الأذى .

الثامن والثلاثون: إن الدعوة الإسلامية عبارة عن نظام دينى ودنيوي متكامل فقد اكتفت فى امور الدنيا بذكر الأصول وتركت التفاصيل لاجتهاد العلماء والفقهاء وكل ما يمثل العمل الاسلامى الواعى غير المتعصب لأن غاية الدولة الاسلامية الأولى هى إقامة دولة إسلامية على أساس الشورى لا على الوراثة وعلى اساس دستور الإسلام فى القرآن والسنة .

الباب الثاني انتشار الإسلام في عهد أبي بكر الصديق ؓ

سوف نتناول انتشار الإسلام في عهد أبي بكر الصديق ؓ في فصلين على النحو التالي :

الفصل الأول : اختيار الخليفة وحروب الردة.

الفصل الثاني: انتشار الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية .

الفصل الأول

اختيار الخليفة وحروب الردة

وسوف نتناول هذا الفصل في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : اختيار الخليفة والشوري.

المبحث الثاني : بداية الردة والعودة للنظام القبلي.

المبحث الثالث: المواجهات العسكرية لإخماد الردة .

وذلك بالتفصيل على النحو التالي .

المبحث الأول

اختيار الخليفة والشوري

أبو بكر الصديق ؓ هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي وقد أطلق عليه لقب الصديق لأنه أول من صدق الرسول ﷺ ولاسيما صبيحة الإسراء ، وقد ولد أبو بكر الصديق ؓ في مكة بعد عام الفيل بعامين وأشهر وكان من أثرياء مكة في الجاهلية وهو أول من أسلم من الرجال وسرعان ما ترك التجارة بعد إسلامه ليتفرغ للدعوة الإسلامية مع الرسول ﷺ وكان صديقاً للرسول ﷺ في صباه ورفيقاً له عندما هاجر إلى المدينة وعندما استقر الرسول ﷺ في المدينة كان أبو بكر الصديق ؓ ساعده الأيمن ويشاوره في كل شئ.

وقد قاسم الرسول ﷺ في كل حياته في الشدة والرخاء وقد اشتهر أبو بكر في جميع مواقفه بالشجاعة والثبات وقد أنفق ثروته كلها التي قدرها البعض بأربعين ألف درهم في سبيل الدعوة الإسلامية واشتهر بالتواضع والزهد وقد قال فيه الرسول ﷺ "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال: أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله" وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أول من أطلق عليه لقب الخليفة أي خليفة الرسول ﷺ ولم يوص الرسول ﷺ قبل وفاته بمن يخلفه بل ترك الأمر للقرآن الكريم الذي كان دستور المسلمين وكانت الشورى أساس الحكم في الإسلام وقد ورد ذلك في سورة الشورى الآية (٣٨) (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) فقد كان الرسول يتخذ من أهل الرأي والمعرفة مجلسا للشورى وكانوا من المهاجرين والأنصار ولم يحدد القرآن نظاما تفصيليا للشورى بل ترك ذلك للاجتهاد فقد انقسم المسلمون إلى فريقين هما المهاجرون والأنصار ولكل منهم مرشحهم للخلافة واجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عباد الخزرجي بالخلافة وكان الأنصار يرون أنهم أحق بالخلافة لأنهم أول من ناصروا الرسول ﷺ واستقبلوه في المدينة مع أصحابه المهاجرين أما المهاجرون فقد كان مرشحهم للخلافة هو أبو بكر الصديق ﷺ ورأوا أنهم أحق بالخلافة فهم أول من آمن بالدعوة وأمن بالله تعالى رغم اجتماع قريش عليهم وخاصة أن الرسول ﷺ أوصى بأبي بكر دون الصحابة بالذكر وقال "فأني لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا" وقد فوضه الرسول ﷺ في الصلاة بالمسلمين عندما اشتد به المرض وقد حدث خلاف بين المهاجرين والأنصار عن الأحق بالخلافة في سقيفة بني ساعدة انتهى هذا الخلاف إلى مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ في يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول في السنة الحادية عشرة للهجرة في عام ٦٣٢م تمت في المسجد البيعة العامة من المهاجرين والأنصار جميعا ثم صعد الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ وخطب فيهم وبدأ كلامه "أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتم فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له" . ولم يتخلف عن مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ سوي علي بن أبي طالب لأنه لم يأخذ مشورته قبل بيعة السقيفة والبيعة العامة في المسجد. وهذا أعطى نظام الخلافة نظامه بأنه لوراثة ولا تعيين في الإسلام لمنصب الخلافة بل شوري .

المبحث الثاني

بداية الردة والعودة للنظام القبلي

وسوف نتناول هذا الموضوع بداية الردة بعد وفاة الرسول ﷺ ومحاولة العودة للنظام القبلي في القبائل التي دخلت في منظومة الدولة الإسلامية والعودة للنظام القبلي والخضوع لرؤساء القبائل وسوف نتناول هذا الموضوع في فرعين .

الفرع الأول : بداية الردة والعودة للنظام القبلي .

الفرع الثاني: رأي المؤلف في أسباب الردة .

الفرع الأول

بداية الردة والعودة للنظام القبلي

بعد وفاة الرسول ﷺ بدأت محاولة الانفصال عن الدولة الإسلامية المركزية في المدينة المنورة والعودة من جديد إلى النزعة القبلية التي كانت تسيطر على شبه الجزيرة العربية وذلك لمحاولة استرجاع الملك لسادة القبائل وزعمائها وخلق وضع اجتماعي لهم بحيث تكون لهم الإرادة المنفردة في إدارة قبائلهم بدلا من الانصياع لأوامر المدينة المنورة فبدأت حروب الردة التي قادها أبو بكر ﷺ للدفاع عن الدولة الإسلامية حيث لم يبق بعد وفاة الرسول ﷺ من القبائل الداخلة في الدولة الإسلامية سوى قبائل قريش وثقيف، ومعنى ذلك انهيار الدولة الإسلامية الأولى وكان لا بد من مواجهة هذه المحاولات الانقلابية بكل الوسائل حتى لو أدى إلى المواجهة العسكرية للحفاظ على وحدة الدولة .

ويري المؤلف أن ذلك ليس بدعة اخترعها أبو بكر الصديق ﷺ بل هو نظام دولي متفق عليه عرفيا ودوليا في جميع الأمم حتى اليوم في أن الممثل الشرعي للدولة الذي أتى للحكم بأسلوب شرعي من حقه الدفاع عن دولته ضد أي محاولات انقلابية والردة ما هي إلا محاولات انقلابية على السلطة الشرعية ممثلة في أبي بكر الصديق ﷺ الذي أتى إلى الحكم في خلافة الرسول ﷺ من خلال نظام معترف به في دستور الدولة الإسلامية وهو القرآن وهذا النظام هو الشوري والمبايعة وقد تم مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ بالإجماع من أهل الرأي والمشورة وجميع المسلمين في المدينة من الأنصار والمهاجرين فمن حق الحاكم الشرعي

الدفاع عن دولته ضد محاولات الردة الانقلابية غير الدستورية طبقاً لدستور الدولة الإسلامية الأولى وهو القرآن أن استخدمنا تعبيرات هذه الأزمنة ، حيث بدأت بوادر محاولة العودة للعصية القبيلة لان بعض القبائل العربية كانت تربط بين الرسول ﷺ ذاته وشخصيته وما تحقق للعرب من تغيير في حياتهم الدينية والسياسية وجميع محاور حياتهم وبوفاة الرسول ﷺ انتهت ما كان يربطهم بالدولة الإسلامية ويحق لساداتهم وزعماء قبائلهم أن يتحكموا فيهم بعيدا عن السلطة المركزية في المدينة المنورة ومن ناحية أخرى اعتبرت بعض القبائل أن الزكاة التي كانت تدفع نوعا من السذ والتبعية رغم أن الإسلام اعتبر الزكاة صدقة وليست جزية أو إتاوة يدفعها المغلوب حيث إن من يدخل الإسلام ليس مغلوبا بل منتصرا بالإسلام الذي نظم حياته بين العباد ومع الخالق وجميع المسلمين ملزمون بدفع الزكاة في أي بقعة من الدولة الإسلامية لأنها ركن أصيل من أركان الإسلام وقد بدأت بعض القبائل في محاولة الانفصال عن الدولة الإسلامية تهربا من دفع الزكاة وكان الوضع في غاية الخطورة أمام الحاكم الجديد للدولة الإسلامية حيث لم يبق على ولاته للدولة الإسلامية سوي قریش في مكة والأنصار والمهاجرين في المدينة حيث المركز السياسى والعسكري للدولة الإسلامية و أهل تقيف في الطائف أما بقية القبائل فقد رفعت راية العصيان فى شبه الجزيرة العربية. لذلك فانه لمواجهة الموقف المتدهور كانت أول حملة عسكرية : قرر إرسالها أبو بكر الصديق إلى القبائل المجاورة للشام حيث أنها أول من أعلنت عصيانها لقربها من بلاد الروم والفرس ولبعدها عن المركز السياسى للدولة الإسلامية فى المدينة وكان ذلك فى أواخر ربيع الأول فى السنة الحادية عشر للهجرة ٦٣٢م فتم تشكيل حملة عسكرية بقيادة أسامة بن زيد وذلك لفرض هيمنة الدولة الإسلامية على القبائل المجاورة للشام .

الفرع الثانى

رأى المؤلف فى أسباب حروب الردة

أولا: غالبية القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية بدأت دخول الدولة الإسلامية فى العام التاسع للهجرة فى عام ٦٣٠ م اثر موقعة تبوك أى لم يبق لها فى الدولة الإسلامية سوي عامين فقط لم يستطيعوا التخلص من سلطات زعمائهم وساداتهم وحينئذ زعماء هذه القبائل إلى السيطرة مرة أخرى على قبائلهم بإرادتهم المنفردة وهذا ما دعاهم إلى الردة عن الدولة الإسلامية .

ثانياً: بعد وفاة الرسول ﷺ تولى الخلافة من بعده أبو بكر الصديق ؓ وهذا ما فسره البعض انه أسلوب الوراثة للحكم في الدولة الإسلامية في قبيلة قريش فقط والتي سوف يظل الوضع المميز لقبيلة قريش على بقية القبائل وهذا ما ترفضه العقلية القبلية لذلك قررت بعض القبائل الانفصال .

ثالثاً: بعض القبائل كانت تنظر إلي أن ارتباطها بالدولة الإسلامية مرتبط بهيبة وشخصية الرسول ﷺ واثراً وفاء الرسول حاولت الانفصال عن الدولة الام لتكوين دولة خاصة بها .

رابعاً: بعض القبائل كانت ترى أن دفع الزكاة دليل تبعية لا تقبله بعد وفاة الرسول ﷺ من تبعيتها لقبيلة قريش ولذلك بعد وفاة الرسول ﷺ قاموا بطرد عمال الزكاة من هذه القبائل الذين تم تعيينهم بمعرفة الرسول ﷺ إثر وفاته كنوع من تأكيد الذات .

خامساً: لم يكن الارتداد عن الإسلام ارتداداً إلي الوثنية لأن الوثنية انتهت من تكفيرهم بل كانت الردة في بعض القبائل إلي التعصب وتطلعا إلي الزعامة السياسية لمنافسة قريش لذلك كانت أهم حركات التمرد والردة تقوم في بعض القبائل على ادعاء النبوة لمنافسة قريش فادعى الأسود العبسي النبوة في اليمن وارتدت معه مزجج وتتياً بالنبوة طليحة بن خويلد الاسدي وتبعه قبائل بني أسد وغطفان وطئ بل وصل الأمر أن سيدة ادعت النبوة وهي سجاح بنت الحارث بن سويد وتبعها قبائل بني تغلب وناصرها بنو تميم بل وصل الأمر في محاولة منافسة قريش أن أبامسلمة الكذاب ادعى مشاركة الرسول ﷺ في النبوة وتبعه قبائل بنو حنيفة في اليمامة وكذلك ادعى النبوة ذو الناج لقيط بن مالك الأزدي وتبعه قبائل عمان .

سادساً: كانت بعض القبائل التي دخلت في الدولة الإسلامية ظنت أن دخولها وخضوعها لقوة عسكرية وسياسية جديدة سوف تفرض وضعها على القوتين الموجودتين في العالم في ذلك الوقت وهما بيزنطة حيث الروم وفارس ولكن ما إن توفى الرسول ﷺ خاب ظنهم وخاصة بعد أن ظهر الخلاف بين الأنصار والمهاجرين على قيادة الدولة الإسلامية وعندما بدأت بعض القبائل في العصيان

على الدولة الأم في المدينة تشجعت قبائل أخرى على أن تسلك نفس المسلك فقد تم كسر حدة البداية في الخروج من حظيرة الدولة الإسلامية .

سابعاً: عندما اجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة في المدينة إثر وفاة الرسول ﷺ أرادوا أن يبايعوا بالخلافة سعد بن عبادة سيد الخزرج كان من الطبيعي أن تحدث معارك بين الخزرج و الأوس لأن الصلح الذي أجراه الرسول ﷺ بين الخزرج والأوس في السنة الأولى للهجرة كان الضامن على بقائه الرسول ﷺ أما وقد رحل الرسول ﷺ فمن الضامن وإذا كان خليفة الرسول ﷺ من الخزرج كان سيسود الحقد والكراهية في الأوس لانهم لا يمكن أن يقبلوا أن يكون رئيسهم من قبيلة كانت عدوة لهم بالأوس القريب وقد توجه أبو بكر الصديق ﷺ إلي سقيفة بنى ساعدة ومعه بعض الصحابة وخطب في الانصار بنكاه شديد جداً حتى يطفى النار قبل أن تشتعل بين الأنصار وقال إن الخلافة لقريش وان أمر العرب لن ينصلح إلا إذا وليته قريش وحذر الأنصار أن تولى الخلافة من الخزرج لن يرضى الاوس وإن تولى الخلافة من الأوس لن يرضى الخزرج ثم ذكر الأنصار ما كان بين الاوس والخزرج في الجاهلية وان الحال كانت توشك أن تعود إلي ما كانت عليه من عداوة فاطمأنوا جميعاً إلي كلام أبي بكر الصديق ﷺ وهنا قام عمر بن الخطاب ﷺ وبايع أبا بكر بالخلافة وقال: " الم يأمر النبي بأن تصلى أنت أيا بكر بالمسلمين فأنت خليفة ونحن نبايعك فنبايع خير من احب رسول الله منا جميعاً ". ثم بايع المهاجرون والانصار بالمبايعة وتسمى هذه بيعة السقيفة أو البيعة الخاصة لأنه لم يبايعه إلا نفر قليل ممن حضروا سقيفة بنى ساعدة وفي اليوم التالي جلس أبو بكر على المنبر في المسجد وبايعه الناس البيعة العامة أو البيعة الكبرى فلولا حكمة أبي بكر الصديق ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ في مواجهة الأنصار في عقر دارهم لبيان الأحق في الخلافة لانفجرت الدولة الإسلامية من الداخل بالحروب بين الأوس والخزرج وقد تصل إلي الحرب بين الأنصار والمهاجرين وكان من حق القبائل العربية أن ترتد عن الدولة الإسلامية .

المبحث الثالث المواجهات العسكرية لإخماد الردة

سوف نتناول المواجهات العسكرية لإخماد الردة في ثلاثة فروع على النحو التالي:

الفرع الأول : موقعة المدينة المنورة .

الفرع الثاني: ارسال الجيوش لإخماد الردة.

الفرع الثالث : رأي المؤلف في حروب الردة .
وذلك بالتفصيل على النحو التالي :-

الفرع الأول

موقعة المدينة المنورة

حينما خرج أسامة بن زيد بقوات المسلمين لمحاولة إعادة القبائل المجاورة للشام قل عدد المجاهدين من الأنصار والمهاجرين داخل المدينة وذلك ادخل الطمع في عقول بعض القبائل المرتدة أن فرصتها سنحت لمهاجمة المدينة وغزوها وبذلك يتم التخلص من الدولة الإسلامية والتخلص من سلطانها على كل القبائل في شبه الجزيرة العربية وان يحلوا محلهم في السيطرة على القبائل العربية مكونين دولة جديدة تحل محل الدولة الإسلامية بعيدا عن سلطان قبيلة قريش لذلك اجتمعت قبائل اسد وغطفان وطى بقيادة طليحة بن خويلد الاسدي الذى ادعى النبوة وحاصر المدينة من جميع الجهات وقد انضمت إلي جانب القوات المرتدة قوات من قبائل بنى عبس وذبيان وبكر واعلنت ارتدادها عن الإسلام وانضمت إلي طليحة بن خويلد الاسدي لمهاجمة المدينة وقد أرسل وفدا إلي المدينة لمفاوضة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أساس أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رفض وأصر على مقاتلة كل مرتد لا يؤدى الزكاة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مستعدا لاي هجوم يشنه أهل الردة فعهد إلي على بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض المقاتلين لحراسة الطرق الجبلية المحيطة بالمدينة وبعد ثلاثة أيام من الحصار أغار أهل الردة على المدينة ليلا وكانت قوات المسلمين مستعدة لهم داخل المدينة حيث

أقاموا التحصينات استعداداً لغزو أهل الردة للمدينة وهزمت قوات المسلمين أهل الردة وكان ذلك أول انتصار في حروب الردة .

الفرع الثاني

ارسال الجيوش لآخماد الردة

وإثر ذلك الانتصار على القبائل المرتدة عن الاسلام فى غزوها للمدينة عاد حملة أسامة بن زيد من الشام بعد سبعين يوماً وكانت قد نجحت فى مهمتها فى إعادة القبائل المحيطة بالشام للإسلام حيث أعاد قبائل قضاة واعد قبائل أبل فى مؤته المجاورتين للشام وأعادهم إلى الإسلام والدولة الإسلامية واثر ذلك قام أبو بكر الصديق ﷺ بتجهيز أحد عشر جيشاً لمحاربة القبائل التى أعلنت الردة عن الدولة الإسلامية وذلك حفاظاً على الدولة الإسلامية التى أسسها الرسول ﷺ من منطلق انه الحاكم الشرعى من حقه الدفاع عن الدولة الإسلامية التى نصبته عليها حاكماً من خلال الشرعية الدستورية الواردة فى دستور الدولة الإسلامية القرآن وهو الشورى والمبايعة فقسم الجيوش الإحدى عشرة على النحو التالى:

الجيش الأول: بقيادة خالد بن الوليد لمحاربة طليحة بن خويلدي الأسدي ولمحاربة قبائل بزاحة ثم التوجه إلى قبائل البطاح.

الجيش الثانى : بقيادة شرحبيل بن حسنة لمحاربة قبائل اليمامة والقضاء على مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة .

الجيش الثالث: بقيادة عكرمة بن أبي جهل بالتوجه إلى بقية القبائل الموجودة فى اليمامة .

الجيش الرابع: بقيادة عمرو بن العاص بالتوجه إلى قبائل قضاة وقبائل وديعة فى شمال الحجاز .

الجيش الخامس: بقيادة المهاجر بن أبي أميه بالتوجه إلى قبائل اليمن وبعد ذلك يتوجه إلى كنده بحضور موت .

الجيش السادس: بقيادة خالد بن العاص أرسله إلى قبائل الحمقيين المجاورة لبلاد الشام .

الجيش السابع: بقيادة حذيفة بن محصن العلقاني و أرسله إلي قبائل عمان ثم التوجه إلي قبائل مهرة .

الجيش الثامن: بقيادة طريفة بن حاجر أرسله إلي قبائل بنى سليم وقبائل بنى هوازن .

الجيش التاسع: بقيادة عر مجة بن هرثمة أرسله إلي قبائل مهرة ثم الي قبائل عمان .

الجيش العاشر: بقيادة سويد بن مقرن أرسله إلي قبائل تهامة فى اليمن .

الجيش الحادى عشر: بقيادة العلاء بن الحضرمى أرسله إلي البحرين ثم إلي قبائل ربيعة .

وقد بدأ تحريك القوات المسلمة من منطقة ذى القصة وقد أمرهم أبو بكر الصديق ﷺ بعدم مقاتله من يجيبهم إلي الإسلام ويعود إلي رشدته بالاعتصام بدين الله لان من هده غير الله كان ضالاً وانتهت حروب الردة إلي هزيمة المرتدين وعودتهم إلي الدولة الإسلامية وكان أول المنهزمين طليحة بن خويلد الاسدي والذي ادعى النبوة وانضمت إليه قبيلة بنى أسد وانضم إليه قبائل بنى فزاره وبنو عبس وبنو ذبيان وغطفان وبنو جديله وغيث وطى وقد انضموا إليه حتى يتهبوا من دفع الزكاة وقد استطاع خالد بن الوليد بجيوشه أن يعيد كل هذه القبائل إلي الدولة الإسلامية حيث تقابلت جيوش خالد بن الوليد مع جيوش طليحة بن خويلد الاسدي وحلفائهم من المرتدين فى منطقة بزاحة وانتهت المواجهة بانتصار خالد بن الوليد وجيوشه وفرار طليحة بن خويلد وزوجته إلي الشام وقام خالد بن الوليد بأسر زعماء القبائل و أرسلهم إلي أبى بكر الصديق ﷺ فى المدينة الذى قبل توبتهم بعودتهم إلي الإسلام .

وكان انتصار خالد بن الوليد على المرتدين عبرة لبقية المرتدين فى أنحاء شبه الجزيرة العربية ومعرفة قوة الدولة الإسلامية التى تدافع عن حقها و عن وحدتها ثم توجه خالد بن الوليد بعد ذلك إلي اليمامة لمواجهة قبائل بنى تغلب ثم زحف خالد بن الوليد إلي قبائل البطاح وبنى تميم الذين أعلنوا بالخضوع والطاعة ودفع الزكاة.

وقامت جيوش عكرمة بن أبى جهل ثم شرحبيل بن حسنة بمقاتلة مسيلمة الكذاب فى بداية الامر وهو مسيلمة بن ثامة بن كثير بن حبيب الذى ادعى النبوة

فى وسط قبائل بنى حنيفة وقامت جيوش المسلمين بمواجهة جيوش مسيلمة الكذاب وانتصرت جيوش مسيلمة الكذاب فأمر أبو بكر الصديق ﷺ خالد بن الوليد بالتوجه لمناصرة جيوش المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسن ودارت أعنف المعارك فى حروب أهل الردة وانتصرت جيوش المسلمين فى منطقة عقرباء وتراجعت قوات مسيلمة الكذاب وقتل فى المعركة على يد وحشى بن حرب بحربته التى كان قد قتل بها حمزة فى موقعة أحد وبذلك انتصر خالد بن الوليد على ظليحة الاسدى ومسيلمة الكذاب وهما اكبر المرتدين فى الجزيرة العربية وكان ذلك له اثره الدافع لبقية الجيوش الإسلامية للانتصار على جيوش أهل الردة فى القبائل المختلفة فى أنحاء شبه الجزيرة العربية فتوجهت جيوش المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمى إلى البحرين وأعاد قبائل ربيعة إلى الإسلام بعد قتل زعيمهم المنذر بن النعمان وتوجهت جيوش المسلمين بقيادة حذيفة بن محض إلى عمان لمحاربة من ادعى النبوة هناك وهو ذو الناح لقيط بن مالك الأزدي وكذلك توجهت جيوش المسلمين بقيادة عرمجة بن هرثمة البارقي إلى قبائل مهرة وانتصرت جيوش المسلمين وعادت هذه القبائل إلى الدول الإسلامية .

وتوجهت جيوش المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل إلى ارض اليمن لمحاربة الأشعث بن قيس الذى ارتد وقومه من قبائل كندة وانتصر عليهم ثم توجه إلى بنى محارب وتوجهت جيوش المسلمين بقيادة المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن لاعادة قبائل اليمن للإسلام وفى النهاية انتصرت قوات المسلمين على أهل الردة فى جميع القبائل العربية التى ارتدت عن الإسلام فى شبه الجزيرة العربية وقد أمر أبى بكر الصديق ﷺ بنشر الجيوش الإسلامية فى مختلف الجهات على أن تتعاون بعضها مع بعض حسب أوامره كان ذلك كفيلا فى تثبيت الدولة الإسلامية وحلت النكبة بالمرتدين الذين قتل منهم ما يقرب من أربعين ألفا فى مختلف القبائل المختلفة فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية حتى لم يثبت على الإسلام قبل حروب الردة الا ثلاثة قبائل فقط هم قريش فى مكة وتيف فى الطائف و أهل المدينة من المهاجرين والأنصار فقد كانت الردة اخطر محاولة لتدمير وحدة العرب تحت راية الإسلام والقضاء على الدولة التى أسسها الرسول ﷺ لتشمل الجزيرة العربية بأسرها .

الفرع الثالث رأي المؤلف في حروب الردة

أولاً: إن حروب الردة لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف كما يدعى المستشرقون ولكنها كانت للحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية فقد دخلت جميع قبائل العرب إلى الدولة الإسلامية بكامل إرادتها ومنها من يدفع الجزية ومنها من يدفع الزكاة وكان ذلك تحت لواء زعيمها الرسول ﷺ وأصبحت هذه القبائل جزءاً من الدولة الإسلامية لذلك كانت حروب الردة للحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية وعلى كيان الدولة الإسلامية لانها خرجت عن المواثيق والعهود ونقضت المواثيق والعهود .

ثانياً: إننى أسأل المستشرقين فى اوربا والمتشككين فى الإسلام فى أوربا لو افترضنا جدلاً مدينة مثل نيس أو كان أو مونت كارلو أرادت أن تنفصل عن الحكومة الفرنسية المركزية فى باريس ماذا تفعل الحكومة المركزية فى باريس إلا أن ترسل لها القوات الحربية للحفاظ على وحدة الدولة الفرنسية ولو افترضنا جدلاً أن ولاية لوس أنجلوس أو ولاية كليفورنيا أرادت الانفصال عن الدولة الأمريكية ماذا تفعل الحكومة المركزية فى واشنطن سوى أن ترسل القوات الحربية للحفاظ على وحدة الدولة الأمريكية لذلك فإن أبا بكر الصديق ؓ بصفته الحاكم المركزي فى المدينة المنورة لم يفعل أكثر من إرسال قوات حربية للحفاظ على الدولة الإسلامية .

ثالثاً: أن الحاكم الشرعى للدولة الإسلامية هو أبو بكر الصديق ؓ الذى أتى إلى الحكم ليس بقوة السلاح ولكن من خلال الشرعية الدستورية للدولة الإسلامية وهو القرآن الكريم الذى ينص أن الحاكم يأتي بالشورى والمبايعة وهذا ما حدث مع أبوبكر الصديق ؓ لذلك من واجب الحاكم الشرعى أن يحافظ على وحدة الدولة الإسلامية التى تولى أمرها بأي صورة يراها .

رابعاً: لذلك كان لزاماً على الحاكم الشرعى خليفة الرسول ﷺ أن يقوم بجمع دستور الدولة الإسلامية وهو القرآن لأن حروب الردة أدت إلى مقتل الكثير من الصحابة وهم حفظة القرآن وبعض الصحابة كانوا من كتبة الوحي دونوا اجزاء كثيرة من القرآن الكريم وان هذه الاجزاء المختلفة كونت القرآن الكريم كله وكان لزاماً أن

يستطابق أقوال حفظة القرآن الذين يعتمدون على الذاكرة والآيات المكتوبة على الورق والجلد وعلى ورق الشجر وعلى الحجر الأبيض وعلى العظام الذى كتبه كتاب الوحي وبعد انتهاء حروب الردة قام الخليفة أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد خوفا من موت الصحابة كتبه القرآن وحفظة القرآن وكلف بذلك زيد بن ثابت بهذه المهمة على أن يساعده سالم مولى أبي حذيفة وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وابى بن كعب رضي الله عنه وتم وضع النسخة الأولى التى تم تجميعها وظل هذا المصحف الأول دستور المسلمين عند أبي بكر رضي الله عنه ولكنه انتقل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد وفاته انتقل إلى حفصة بنت عمر .

خامسا: عندما جهز الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه الأحد عشر جيشا للحفاظ على الدولة الإسلامية أعطى كل قائد للجيش كتابا ليقرأه على المرتدين قبل القتال وأوصاهم فى الكتاب بعدم القتال مع من يعود إلى الإسلام حفاظا على الدولة الإسلامية من التمزق وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يهتدوا بهداه وأن يعتصموا بدين الله لأن كل من هداه غير الله كان ضالا وكان يقرأ عليهم سورة الكهف الآية (١٧) (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا).

سادسا: يعتبر خالد بن الوليد اعظم قواد العرب فى الجاهلية وكذلك فى الإسلام بعد إسلامه وقد انزل ضربة مميّنة بالمرتدين على الإسلام وفى مقدمتهم طليحة بن خويلد الاسدى ومسيلمة بن ثمامة الكذاب وهما اشد المرتدين خطرا ادعى النبوة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه قائدا للجيش الإسلامى فى محاربة اهل الردة لانه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول " نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين " .

سابعا: بعد وفاة الرسول انقسم المسلمون بين ثابت على الإسلام فى مكة والطائف والمدينة ومرتد عنه فى كثير من القبائل العربية وما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بتأسيس احد عشر جيشا لردع المرتدين على أن يتعاون بعضها مع بعض حسب ظروف الحروب بأوامر شخصية من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أدى إلى انتصار المسلمين فى المواجهة مع المرتدين وقد أسفر ذلك عن قتل اكثر من أربعين ألف منهم جزاء ردتهم ومحاولة القضاء على الدولة الإسلامية وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة أرسلوا الخمس منها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لينفقه على المسلمين والجيش الإسلامية .

الفصل الثاني

انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية

وسوف نتناول في هذا الفصل وهو انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : انتشار الإسلام في العراق

المبحث الثاني: انتشار الإسلام في الشام

المبحث الثالث : راي المؤلف في انتشار الإسلام في العراق والشام و وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

المبحث الأول

انتشار الإسلام في العراق

سبق أن ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلي الملوك والأمراء الرسائل في العام السابع والثامن من الهجرة يدعوهم إلي الدخول في الإسلام ولكن ظل تركيزه على نشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية لقيام الدولة الإسلامية الأولى لتوحيد كلمة العرب تحت مظلة الإسلام وبعد أن تأكد لأبي بكر الصديق رضي الله عنه سيطرته على الدولة الإسلامية بالقضاء على قبائل الردة وعودتهم إلي تماسك الدولة الإسلامية كان من الطبيعي أن يبدأ بنشر الإسلام في الدول المجاورة وخاصة في العراق والشام التي يسكنها شعبان عريبان يعتبران امتدادا طبيعيا لشبه الجزيرة العربية لأن شعوبهما لهم له جذور عربية وقد كانت القبائل العربية في جنوب وغرب العراق من قبائل بنى بكر وبنى وائل تتحين الفرصة للخلاص من النفوذ الفارسي و الاحتلال الفارسي وقد اخذ الضعف يدب في الدولة الفارسية بعد وفاة كسري حيث دخلت في المؤامرات فقد تولى حكم الدولة الفارسية بعد وفاة كسري أحد القادة العسكريين وهو شهريار ولكن الأمراء الفارسيين اجتمعوا عليه وقتلوه ونصبوا مكانه طفلا اسمه جوان شرين وهو ابن كسري وبعد ذلك قتل ثم خلفته في الحكم أخته بوران وذلك يعطى دلالة على ضعف قوة الدولة الفارسية في القبضة على القبائل العربية

فى العراق وقد بدأت القبائل العربية من بنى بكر وبنى وائل وبنى شيبان وبنى
 محجل لشن هجماتها على القوات الفارسية للخلاص منها بعد وفاة كسرى وقد جاء
 إلى المدينة المنورة أحد قواد القبائل العربية فى العراق وهو المثنى بن حارثة
 الشيبانى لمقابلة الخليفة أبى بكر الصديق رضي الله عنه يطلب منه الدعم لمحاربة الفرس وقد
 دخلت هذه القبائل العربية فى الإسلام فقرر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمساعدة ونصرة
 القبائل العربية التى تخضع للدولة الفارسية و أرسل خالد بن الوليد فى أول حملة
 عربية إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية لنجدة القبائل العربية فخرج خالد بن
 الوليد ومعه ألفان من المسلمين من اليمامة حيث كان موجودا فى اليمامة لمحاربة
 القبائل المرتدة وانضم إليه ثمانية آلاف مقاتل من قبائل ربيعة ومضر وتوجهوا
 نحو العراق فى شهر محرم فى السنة الثانية عشرة من الهجرة فى عام ٦٣٣ م
 وطلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قواد القبائل العربية فى العراق الانضمام تحت
 إمرة خالد بن الوليد وهم القواد المثنى بن حارثة الشيبانى الذى طلب مساعدة
 الدولة الإسلامية لمناصرتها ضد القوات الفارسية وما إن وصل خالد بن الوليد
 وقواته إلى العراق وهى المنطقة التى تعرف الآن بالبصرة وقد طلب زعيم القبائل
 العربية مساندة خالد بن الوليد فى محاربة الفرس الذين يريدون الإغارة على قبيلته
 وهم قوات أيلة الفارسية ويتولى إمارتها فارسي يسمى هرمز ويتولى قوات جيشة
 الفارسي بقيادة وانوشجان وكانت القبائل العربية بزعامة سويد بن قطبة الذى طلب
 مساندة خالد بن الوليد لمواجهة القوات الفارسية من قبائل أيلة وتمت المواجهة
 بين المقاتلين المسلمين والقوات الفارسية وقتل فى المعركة هرمز زعيم قبائل أيلة
 وفر هروبا من المعركة القائدين العسكريين الفارسيين قياد وانوشجان فى أول
 معركة عربية إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية وعرفت هذه المعركة بمعركة
 ذات السلاسل لأن زعيم قبائل أيلة الفارسية هرمز ربط فرسان فارس بالسلاسل
 حتى لايفروا من القتال أمام القوات الإسلامية وكان هذا أول انتصار إسلامي
 عربي خارج شبه الجزيرة العربية وما أن علم اردشير كسرى فارس بهذه المعركة
 ضد قوات هرمز الفارسية حتى أرسل جيشا فارسيا بقيادة قارن بن قرياتس لنجدة
 هرمز فوصلت القوات الفارسية لمناصرتة بعد مقتل هرمز فتوجه خالد بن الوليد
 لمواجهة هذه القوات الفارسية وانتصر عليهم وقتل منهم حوالي ثلاثين ألفا منهم
 القائدان العسكريان الهاربان قياد وانوشجان قائد قوات قبائل أيلة وكذلك قتل قارن
 بن قرياتس قائد القوات الفارسية الذى ارسله كسرى فارس اردشير وتمت المواجهة

العسكرية فى منطقة الوجة ثم تابع خالد بن الوليد طريقه بعد انتصاره فى موقعة. ذات السلاسل إلى الحيرة وفتحها بان عقد عقود الأمان مع قبائل كسكر ودونى وهرمز وعقد صلحا مع قبائل اليس على أن يكونوا عوناً للمسلمين إلى أن وصل إلى الحيرة وخرج إلى خالد بن الوليد أشراف الحيرة من نصاري العرب أمثال عمرو بن عبد المسيح واتفقوا مع خالد بن الوليد على عقد الأمان ودفع الجزية فى مقابل البقاء على دينهم المسيحي على أن يلتزم العرب الدفاع عنهم مقابل دفع الجزية وكان مقدار الجزية التى تم الاتفاق عليها بين خالد بن الوليد وزعماء الحيرة هو حوالى ثمانين ألف درهم ثم توجه إلى أهل بانقيا وهم من المسيحيين بقيادة بصبهري وتم الاتفاق على عقد الأمان ودفع جزية قدرها ألف درهم .

وهكذا تمكن خالد بن الوليد من الحيرة واجزاء كثيرة من العراق ، ثم اتجه بعد الحيرة والقبائل المجاورة لها الى الانبار وقد تحصن أهلها بقيادة شيرزاد داخل الانبار واقاموا حولها خندقا وقد استطاع خالد بن الوليد استخدام النبال ودخل الانبار وردم جزءاً من الخندق وعبر الى الانبار وهنا طلب شيرزاد الصلح وخرج شيرزاد كسري الفرس من الانبار ليتسلمها المسلمون وعين خالد بن الوليد من طرف المسلمين الخزبرقان بن بدر على الانبار ثم توجه خالد بن الوليد بعد ذلك الى عين السمر وكان يدافع عنها الفرس بقيادة مهران بن بهرام جوبين وانتصر عليهم خالد بن الوليد ثم توجه بعد ذلك الى دومة الجندل وانتصر على قواتها من الفرس ثم توجه الى الفراض واستولى عليها وهنا طلب منه الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه بان يتوجه الى الشام بعد أن تم ضم أجزاء كبيرة من العراق وقام خالد بن الوليد باستخلاف عمر بن حزم الاتصاري مع المثلى بن حارثة الشيباني لرعاية الأمور فى الحيرة والقبائل المتاخمة لها .

المبحث الثانى

انتشار الإسلام فى الشام

تجمعت القوات الإسلامية من سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية فى معسكر بالجرف فى محرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة فى عام ٦٣٣ م فتجمعت أربعة جيوش الجيش. الأول كان قادماً من دمشق بقيادة زيد بن سفيان والجيش الثانى من الأردن بقيادة شرحبيل بن حسنة والجيش الثالث من حمص بقيادة

أبى عبيده بن الجراح والجيش الرابع من فلسطين بقيادة عمرو بن العاص وكان مجموع الجيوش الأربعة حوالى أربعة وعشرين ألف مقاتل و أمر أبو بكر الصديق ﷺ أن ينضم إليهم جيش خامس من العراق بقيادة خالد بن الوليد بأن تكون قيادة الجيوش العربية الإسلامية تحت قيادة خالد بن الوليد لقتال الروم فى الشام وكان جيش خالد بن الوليد حوالى تسعة آلاف وخمسمائة مقاتل وأصبحت بذلك قوات المسلمين حوالى ستة وثلاثين ألف مقاتل وفى المقابل حشد هرقل قيصر الروم جيشا كبيرا يزيد على مائة ألف مقاتل وقسم خالد بن الوليد جيوش المسلمين إلى ثلاثة أقسام القلب وعلى رأسه أبو عبيده بن الجراح واليمينه وعليها عمرو بن العاص وشرحبيط بن حسنة والميسرة وعليها زيد بن أبى سفيان وكان خالد بن الوليد يدير المعركة ومعه فرق الخيالة وانتصرت القوات الإسلامية على قوات هرقل قيصر الروم فى موقعة اليرموك فى جمادى الثانية من السنة الثالثة عشرة هجرية فى ٦٣٤م.

المبحث الثالث

رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى العراق

والشام ووفاة أبى بكر الصديق ﷺ

أولاً: لقد استطاع أبو بكر الصديق ﷺ توحيد الدولة الإسلامية من جديد بعد أن كادت تتبعثر بعد وفاة الرسول ﷺ فوجد شبه الجزيرة العربية وحارب أقوى دولتين فى العالم من أجل الدفاع عن الدولة الإسلامية وهى الروم فى الشام والفرس فى العراق وذلك ليعيد الوحدة مع العرب فى بلاد الشام من الاحتلال البيزنطى ويعيد الوحدة مع العرب فى بلاد العراق من الاحتلال الفارسى وقد أدى الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ دوره العظيم فى بداية نشر الدعوة الإسلامية مع صديقه الرسول ﷺ واكمل دوره بعد وفاة الرسول ﷺ بتوحيد الدولة الإسلامية وقد توفى أبو بكر الصديق ﷺ فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الثانية فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة ٦٣٤م بعد خلافة استمرت سنتان وثلاثة أشهر بعد مرض استمر حوالى خمسة عشر يوما وقد عهد أثناء مرضه بأمور الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ وقد كتب العهد عثمان بن عفان ﷺ وهكذا كان أبو بكر الصديق ﷺ أو خليفة لرسول الله .

ثانياً: لقد أنفق أبو بكر رضي الله عنه كل ثروته التي يقدرها عروة بن الزبير بأربعين ألف درهم في سبيل الدعوة الإسلامية وقد قالت عائشة: " أنه مات وماترك درهما ولا ديناراً " وكان معروفاً بين الصحابة بالعلم والفقه في أمور الدين والبلاغة في الخطابة وقد قال عنه علي بن أبي طالب. " قدم رسول الله أبي بكر يصلى بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض ولو شاء أن يقدمني لقدمنى فرضينا لديننا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا " ليتولى أبا بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة من غير ضغائن من أحد .

ثالثاً: لقد اجتمع أهل السيرة على أن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يتخلف عن رسول الله في مشهد من مشاهده واشتهر في جميع مواقفه بالشجاعة والثبات وقد نهض بإتمام نشر الدعوة وتوحيد كلمة العرب في الدولة الإسلامية بعد أن تمزق شملها أو كاد أن يتمزق وخرج بنفسه لقيادة جيوش المسلمين عندما هاجم أهل الردة المدينة وقد ناشده الصحابة أن لا يعرض نفسه للخطر فأبى واعد جميع القبائل العربية إلى حظيرة الدولة الإسلامية ثم بدأ نشر الدعوى الإسلامية في العراق والشام .

رابعاً: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن قبله الرسول صلى الله عليه وسلم يقيم العلاقة بين المسلمين وبين غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والبر والرحمة وذلك من خلال عقود الأمان حيث أن دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ما ورد في القرآن في آية العنكبوت (٤٦) حيث لغير المسلمين منزلة خاصة في المعاملة وعدم والترويع فالقرآن ينهى عن مجادلتهم إلا بالحسنى . في دينهم حتى لا يشعل الجدل نار العصبية والبغضاء في القلوب فيقول القرآن الكريم في آية العنكبوت آية (٤٦) (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

خامساً: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن قبله الرسول صلى الله عليه وسلم يبرم العهد والضمان والأمان لغير المسلمين في الدولة الإسلامية لأن لهم ثلاثة عهود أولهم عهد الله ثانيهم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثالثهم عهد جماعة المسلمين جميعاً أن يعيشوا في حماية الدولة الإسلامية آمنين مطمئنين فهم بهذه العقود في أمان المسلمين جميعاً وبهذه العقود يكتسبون حقوق المواطنين المسلمين ويلتزمون بواجباتهم .

سادسا: بموجب عقد الأمان الذى أبرمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقبلة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم ومباشرة عقائدهم الدينية فى سلام وأمان وتمتعهم بحماية الدولة الإسلامية بدون اعتداء عليهم أو على أموالهم بشرط دفع الجزية .

سابعا: فالتاعدة الأساسية فى عقود الأمان لغير المسلمين فى الشام أو العراق أو غيرها من الدول الأخرى أن لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين الا فى أمور محدودة مستثناه، كما عليهم ما على المسلمين من الواجبات إلا ما استثنى، فعلى الدولة الإسلامية حمايتهم من كل عدوان خارجي ومن كل ظلم داخلي حتى ينعموا بالأمان والاستقرار بموجب عقد الأمان الذى أبرم معهم فيجب حمايتهم فى أديانهم و أموالهم من أي أذى ولنتوقف أمام عقد الأمان الذى أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم لاهل نجران وهم من المسيحيين والعهد ينص على الاتي: " لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وملتهم وبيعتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير " حيث أن القاعدة الإسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه أو عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم أن غير المسلمين أن دفعوا الجزية تكون دماؤهم كدماء المسلمين و أموالهم كأموال المسلمين وهذا ما استقر عليه المسلمون طوال العصور .

ثامنا: وبموجب عقد الأمان مع غير المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه وفى جميع العهود أن الدولة الإسلامية يجب عليها حماية أعراض غير المسلمين كما تحمى عرض المسلم وكرامته وفى ذلك يقول الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي فى كتاب الفروق: " انهم فى ذمة الله تعالى وذمة رسول الله وذمتنا ودين الإسلام ممن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام" بل أكثر من ذلك قال العلامة ابن عابدين: " أن ظلم الذمى اشد إثما" وعلى ذلك فان غير المسلمين الذين دخلوا إلى الدولة الإسلامية من الشام والعراق لهم نفس حقوق المسلمين وواجباتهم .

تاسعا: بموجب عقد الأمان الذى أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه لغير المسلمين فى الشام والعراق أو غيرها من المناطق أن الدولة الإسلامية تضمن

لغير المسلمين كفالة العيش والتأمين عند العجز والشيخوخة والفقراً لأنهم بموجب عقد الأمان رعايا الدولة الإسلامية وهي مسئولة عن كل رعاياها وفي ذلك قال الرسول ﷺ " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته " ففي عقد الأمان الذي كتبه خالد بن الوليد لاهل الحيرة بالعراق وقد كانوا من المسيحيين " وهو ينص على الاتي : وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتتر وصار أهل دينة يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت المسلمين هو وعيالة " وقد كتب ذلك العهد وهو عهد الأمان لاهل الحيرة وهم من المسيحيين بمعرفة خالد بن الوليد و أرسله إلى الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ فآقره وخلصه العهد ان بيت المال مسئول عن رعاية المحتاجين من غير المسلمين .

عاشرا : بموجب عقد الأمان مع غير المسلمين في الشام والعراق قرر مبدأ الضمان الاجتماعي باعتباره مبدأ عاما يشمل المجتمع كله المسلمين وغير المسلمين لايجوز ان يكون في المجتمع في الدولة الإسلامية محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى وعليه أن يدفع للمسلمين وغير المسلمين من بيت المال .

الحادي عشر : بموجب عقد الأمان في عهد الرسول ﷺ وفي عهد أبي بكر الصديق ﷺ وما بعدهما فان غير المسلمين لهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية فلكل ذي دين دينة لايجبر على تركه إلى غيره ولا يضغط عليه أي ضغط ليتحول منه إلى الإسلام وذلك طبقا لما ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة الآية (٢٥٦) (لا إكراه في الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) وطبقا كذلك لما ورد في القرآن الكريم في سورة يونس الآية (٩٩) (أَقَانَتْ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وفي عهد الأمان الذي أبرمه خالد بن الوليد مع أهل عانات وهم من المسيحيين " ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاعوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلاة)

الثاني عشر : بموجب عقد الأمان الذي كان يبرمه الرسول ﷺ أو أبو بكر الصديق ﷺ ومن بعده من الحكام المسلمين على غير المسلمين دفع الجزية وهي مبلغ ضئيل جدا من المال تفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب ثرواتهم أما الفقراء فيعفون من دفع الجزية طبقا لما ورد في القرآن الكريم في سورة الطلاق آيه (٧) (لا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) وليس للجزية حد معين إنما يرجع تقديرها إلى الحاكم الذي عليه أن يراعى طاقات الدافعين ولا يرهقهم وعليه

أن يراعى المصلحة العامة للأمة الإسلامية والحد الأدنى للجزية هو دينار حيث قال الرسول لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن " خذ من كل حالم ديناراً " .

الثالث عشر : بموجب عقد الأمان الذي أبرمه الرسول ﷺ أو أبو بكر الصديق رضي الله عنهما مع غير المسلمين فإن دفع الجزية أمر وارد في القرآن الكريم في سورة التوبة آية (٢٩) (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وفي عهد الرسول ﷺ قد أخذ الجزية من مجوس البحرين وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أخذ الجزية من أهل العراق و أهل الشام .

الرابع عشر: بموجب عقد الأمان الذي أبرمه الرسول ﷺ و أبرمه أبو بكر الصديق رضي الله عنهما مع غير المسلمين دفع الجزية وهي ضريبة وليست عقوبة على عدم دخول الإسلام كما يردد بعض المستشرقين الذين يرون انها عقوبة ولكن هناك بعض المستشرقين يرون أمر الجزية بصورته الصحيحة فهذا ادم متر يقول: " كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم يدفعون الجزية كل منهم حسب قدرته وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى فكان لايدفعها إلا الرجال القادرون على حمل السلاح .

الخامس عشر : بموجب عقد الأمان الذى كان يتم إبرامه مع غير المسلمين فى الدولة الإسلامية كان يعفى من الجزية النساء والصغار والصبية والشيوخ والاعمى والمعته و لايدفعها إلا الرجال فقط القادرون على حمل السلاح ومعنى ذلك أن أكثر من ٧٠% من غير المسلمين معفون من دفع الجزية .

السادس عشر: وهناك علة جوهرية لدفع الجزية نرد بها على المستشرقين الذين يقولون إن الجزية عقوبة ولكننا نقول لهم إنها ليست عقوبة على عدم دخول الإسلام بل هي ضريبة فقط لأن الحكومات فى أي عصر وأى زمان واي مكان فى أوروبا وآسيا وأمريكا هذه الحكومات تفرض ضرائب على رعاياها للمساهمة فى نفقات المرافق العامة التى يتمتع بها الجميع مثل القضاء والشرطة وما تقوم به الدولة من إصلاحات وطرق ومرافق عامة فالمسلمون ملزمون بدفع الزكاة وكان لزاما على الحكومة فى الدولة الإسلامية أن تلتزم غير المسلمين بدفع ضريبة وهي الجزية للمساهمة فى نفقات المرافق العامة لانهم لو لم يدفعوا ضريبة الجزية للمساهمة فى

المرافق العامة فإننا سوف نصل إلى وضع غريب وغير معقول. إن المسلمين يدفعون الزكاة وغير المسلمين يعيشون " بدون مقابل " لا يدفعون شيئا ويتمتعون دون أن يدفعوا أي مساهمات فى إنشاء المرافق العامة وخاصة أن المسلمين يساهمون فى المرافق العامة بدفع الزكاة على نفوذهم وتجارتهم وزراعتهم وصناعتهم .

السابع عشر : بعض المستشرقين ينظرون إلى دفع الجزية نظرة سطحية فيحسبون الدولة الإسلامية متعسفة فى فرض الجزية على غير المسلمين ولكن حقيقة الأمر فى تصورنا غير ذلك فقد أوجب الإسلام على أبنائه المسلمين الخدمة العسكرية فى الدولة الإسلامية الأولى باعتبارها فرض كفاية أو فرض عين وناط بهم الدفاع عن الدولة الإسلامية و أعفى غير المسلمين من ذلك رغم انهم كانوا يعيشون فى ظل الدولة الإسلامية الملزمة بالدفاع عنهم حيث من سماحة الإسلام بغير المسلمين فى الدولة الإسلامية الأولى أيام الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ انه لم يفرض على غير المسلمين الخدمة العسكرية فى الدولة الإسلامية الأولى التى كان هدفها نشر الإسلام حتى لايجبر غير المسلمين فى الدفاع عن دين لا يؤمنون به وكان الحكام فى فترة انتشار الإسلام واقعيين جدا بأنهم لا يفرضون على غير المسلمين أن يسفكوا دمايتهم من اجل ديانة لا يؤمنون بها وهذا قمة التسامح مع غير المسلمين وحيث أن جيوش الدولة الإسلامية ملزمة بموجب عقد الأمان بالدفاع عن غير المسلمين الموجودين فى الدولة الإسلامية فلا بد أن يساهموا فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تدافع عنهم بدفع ضريبة الجزية وليس عقوبة الجزية كما يردد بعض المستشرقين .

الثامن عشر : ومما يؤكد أن نظرتنا صحيحة فى أن الجزية ضريبة دفاع عن غير المسلمين فى الدولة الإسلامية للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية الملزمة بالدفاع عن غير المسلمين من أي اعتداء خارجى وذلك يعنى عدم وجوب الجزية فى حالة عدم قدرة الجيوش الإسلامية حماية غير المسلمين انه قد كتب خالد بن الوليد فى عقد الأمان لغير المسلمين " إن منعناكم " حميناكم " قلنا الجزية والا فلا يمنعكم " وهذا ما صنعه أبو عبيدة بن الجراح ﷺ عندما ابلغه نوابه من أهل الشام بتجميع قوات الروم وأنهم غير قادرين على صددهم فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى نوابه فى مدن الشام برد الجزية عن أخذوها منهم و أمرهم بأن يعلنوا هذه

الرسالة " إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع و أنكم اشتراطم علينا أن نمنعكم " أي نحميكم " وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشروط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم. " وهذا ما رواه أبو يوسف في كتابة الخراج ومعنى ذلك انه بموجب عقد الأمان فقد رد أبو عبيدة بن الجراح أموال الجزية من مدن الشام حينما لم يستطع رد القوات البيزنطية عن مدن الشام و أعلن إعادة أموال الجزية لأصحابها وأنه سوف يأخذها بموجب عقد الأمان حينما يقوم بالانتصار على القوات البيزنطية المعتدية على مدن الشام الداخلة في الدولة الإسلامية بموجب عقد الأمان وقد حدث ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونذكرها الآن للتدليل.

التاسع عشر : وبموجب عقد الأمان الذي أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه من بعده مع غير المسلمين تسقط الجزية إذا اشترك غير المسلمين في القتال والدفاع عن الدولة الإسلامية وهذا ما يحدث في كل الدول الإسلامية والعربية من سقوط الجزية بالسماح لغير المسلمين بالاشتراك في القوات المسلحة للدفاع عن الدولة وهو ما حدث في مصر من عام ١٨٥٦ في عهد سعيد باشا حينما أعلن عن سقوط الجزية عن غير المسلمين والسماح لهم بالاشتراك في الخدمة العسكرية .

العشرون : الجيوش الإسلامية حينما بدأت في نشر الديانة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه أو من بعده من الخلفاء والحكام المسلمين كانت تضع لغير المسلمين . ثلاث خيارات وهذا يؤكد عدم انتشار الإسلام بحد السيف كما يردد بعض المستشرقين وهذا يظهر جليا في فتوحات الشام والعراق و في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الخيار الأول هو القتال والخيار الثاني هو الدخول في الإسلام والخيار الثالث هو دفع الجزية وحرية مباشرة عقائدهم الدينية وان يكون لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات وكما ذكرنا الجزية مبالغ ضئيلة من المال يعفى منها اكثر من ٧٠% من غير المسلمين وهي ضريبة دفاع مقابل الزكاة على المسلمين .

الحادي والعشرون : المسلمون في بدء نشر الدعوة الإسلامية كانوا يضعون أمام غير المسلمين ثلاث خيارات إما القتال أو الدخول في الإسلام أو دفع الجزية فكان من الممكن للمسيحيين أن يبقوا على دينهم ولا يجبرهم أحد على تركه إلى الإسلام مقابل دفع مبالغ ضئيلة هي الجزية وذلك للمساهمة في نفقات الجيوش للدفاع عنهم

ولكن الوضع غير ذلك فى الدولة الرومانية حيث كان الخيار أمام المسيحيين خيارين لاثالث لهما الخيار الأول عبادة الأوثان وترك المسيحية أى عبادة الامبراطور أما الخيار الثانى هو القتل وسنذكر على سبيل المثال فى عهد الإمبراطور دقلديانوس الذى بدأ حكمة فى عام ٢٨٤م وهو عصر الشهداء عند المسيحيين فقد خير المسيحيين فى جميع العالم وفى مصر بين عبادة الاوثان أى عبادة الامبراطور أو القتل فبعض المسيحيين ألقوا فى النيران أحياء وبعضهم كشط جدهم وبعضهم أغرقوا فى زيت مغلى وبعضهم اغرقوا فى البحر وبعضهم صلب ورؤوسهم منكسة إلى اسفل ويتركون أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعا وتآكل لحومهم الغريان وبعضهم يوثق فى فروع الأشجار ويتم تقريب الفروع بآلات خاصة ثم تترك فروع الأشكال لتعود لوضعها الطبيعى فتتمزق الأعضاء ويقدر عدد من ماتوا بالتعذيب من المسيحيين فى مصر فقط بحوالى مليون مسيحى لذلك فان التاريخ القبطى يبدأ بعصر الشهداء حيث يبدأ عصر الشهداء منذ أن تولى الإمبراطور دقلديانوس الحكم فى ٢٨٤م.

الثانى والعشرون : الجزية ليست من مستحدثات الإسلام والدولة الإسلامية قد فرضها الإغريق على سكان آسيا الصغرى فى القرن الخامس قبل الميلاد أى قبل الإسلام بحوالى ألف عام وكذلك فرضها الرومان والبيزنطيون والفرس على الأمم التى أخضعوها وكانت اكثر بكثير من مقدار الجزية فى عصر الدولة الإسلامية وقد كانت الجزية فى دول الروم والبيزنطيين والفرس تؤخذ وبالقوة وفوق طاقة البلاد المحتلة وكانت تؤخذ كضرائب للدولة المركزية .

الثالث والعشرون : وفى الدولة الإسلامية كانت الجزية تفرض على غير المسلمين الخاضعين للدولة الإسلامية وكانت تؤخذ بطريقتين الطريقة الأولى فرض قدر معين على كل شخص تستحق عليه الجزية والطريقة الثانية فرض قدر معين على أهالى منطقة معينة فيقسمونها فيما بينهم حسب حالة الفقر والثراء لكل منهم فقد عقد خالد بن الوليد عقد الأمان لأهل الحيرة وكانوا من المسيحيين فرض عليهم جزية مقدارها ثمانين ألف درهم مقابل الدفاع عنهم وتركهم لحرية دينهم وبعدها عقد خالد بن الوليد عقد أمان مع أهل بانقبا وهم من المسيحيين بقيادة بصبري تم الاتفاق فى عقد الأمان على دفع جزية قدرها ألف درهم فقط حسب أحوال كل منطقة حتى لا يكلفهم فوق طاقتهم .

الرابع والعشرون : وقد ذكر الطبري في كتاب تاريخ الأمم والملوك " أن الجزية ضريبة دفاع فيذكر الطبري أن أهل الحيرة لما قدموا المال المتفق عليه لخالد بن الوليد وقدره حوالي ثمانين ألف درهم ذكروا صراحة في عقد الأمان أنهم إن دافعوا عنهم وعلى ذلك فالأصل في رأينا أن الجزية ما هي إلا ضريبة مساهمة من غير المسلمين في الدفاع عن الدولة بأن يكون دفاع غير المسلم بماله وان يكون دفاع المسلم بشخصه عن الدولة الإسلامية وانها مقابل حماية المسلمين لغير المسلمين والسهرة على مصالحهم وحصيلتها عون للدولة لتأدية وظيفتها في إقامة المرافق العامة التي ينتفع بها غير المسلمين والمسلمين حيث أن المسلمين يشتركون في المرافق العامة بدفع الزكاة أما غير المسلمين معفون منها .

الخامس والعشرون : في جميع الدول الإسلامية كانت الجزية والزكاة هما اللتان تحددان ديانة دافع الضريبة أما بقية الضرائب والالتزامات التي فرضتها الدولة الإسلامية فكانت ضرائب على كل الشعب المسلمين والمسيحيين ولا تفرض عليهم بوصفهم غير مسلمين ولكن تفرض عليهم بوصفهم رعايا الدولة الإسلامية عليهم التزامات نحو حكومتهم والحكومة عليها التزامات نحو شعبها المسلمين وغير المسلمين مثل ضريبة الخراج أي ما يفرض على الأرض الزراعية من المال أو الغلال وقد يكون الخراج حصة معينة مما خرج من الأرض كما فعل الرسول ﷺ مع أهل خيبر على نصف ما يخرج من الأرض قليلا كان أو كثيرا .

السادس والعشرون : ومن تحليل الجزية والزكاة نجد أن الجزية على غير المسلمين لم تكن ضريبة باهظة بل إنها تناسب حالة كل فرد ويعفى منها الكثيرون أما الزكاة كانت تطبق على المسلمين طبقا لأحكام الشرع في الصدقات أو الزكاة وهذا عكس الجزية لم تكن ثابتة أولها قيمة محددة بل كانت تبعا لظروف غير المسلمين فيعفوا من الجزية إذا مرت بلادهم بحالة قحط أو كارثة في ما تغله الأرض والجزية كانت تدفع مره واحدة في السنة وهكذا عكس الدولة البيزنطية التي كانت تأخذ الجزية أو الضرائب ثلاث مرات في السنة .

الباب الثالث

انتشار الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ؓ

بعد أن وضع الرسول ﷺ نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بأنه لا وراثة في الحكم وأن الشورى هي النظام الأساسي للخلافة عندما مرض أبو بكر الصديق ؓ اشتد عليه المرض جمع أهل الرأي وأخذ يستشيرهم فيمن يتولى الخلافة بعده فاستشار أهل الشورى من المهاجرين والأنصار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وأسيد بن حضير وآخرين ولكنهم جميعا تركوا الأمر له فدعا عثمان بن عفان ؓ وطلب منه كتابة كتاب باستخلاف عمر بن الخطاب ؓ من بعده وحظى عمر بن الخطاب ؓ بموافقة أهل الشورى بعد كتابة عهد الاستخلاف والخليفة الجديد هو عمر بن الخطاب ؓ بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ابن كعب بن لؤى القرشى العدوى وهو من بنى عدى وهم بطن من بطون قريش ويجتمع نسب عمر بن الخطاب ؓ مع الرسول ﷺ في الجد السابع ويجتمع معه من جهة أمه في الجد السادس وقد ولد عمر بن الخطاب ؓ في مكة وكان يحترف مهنة التجارة بالأسفار إلى البلاد المجاورة وخاصة الشام وقد تولى حكم الدولة الإسلامية لمدة عشر سنوات في السنة الثالثة عشر للهجرة وقد أسلم عمر بن الخطاب ؓ في السنة الخامسة للهجرة في ٦٢٦م وكان الرسول ﷺ يستشيره في كثير من الأمور وكان مع الرسول ﷺ في كثير من الوقائع بعد إسلامه في بدر وأحد والخندق وخيبر وغيرها وكان الساعد الأيمن للخليفة أبي بكر الصديق ؓ قبل وفاته وقد بدأ الخليفة أبو بكر الصديق ؓ بنشر الإسلام في العراق والشام وضرب أكبر قوتين في العالم الدولة الفارسية والرومانية الشرقية أو البيزنطية وكان بالعراق والشام أكبر تجمع من غير المسلمين وقد شرع أبو بكر الصديق ؓ آداب القتال فأوصاهم خيرا بالضعفاء وحثهم بأن يؤمنوا الناس على أموالهم وأرواحهم ولا يتعرضوا لشعائهم الدينية وعلى نفس الدرب سار عمر بن الخطاب ؓ لم يرغم المسلمين العرب جبرا على اعتناق الإسلام فقد كانت دعوته صريحة في الخيارات الثلاثة الحرب أو الإسلام أو الجزية وذلك طبقا لما جاء في سورة التوبة الآية (٢٩) "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" وقد تمت

معظم الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام خارج الجزيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحت فارس وفلسطين والشام ومصر وبرقة وطرابلس وسوف نتناول هذا الباب - انتشار الإسلام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : انتشار الإسلام في فارس والعراق.

الفصل الثاني : انتشار الإسلام في الشام.

الفصل الثالث : انتشار الإسلام في مصر وبرقة وطرابلس .

الفصل الأول

انتشار الإسلام في فارس والعراق

سوف نتناول هذا الفصل وهو انتشار الإسلام في فارس والعراق في أربعة

مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : انتصار القادسية

المبحث الثاني : فتح مدينة المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية .

المبحث الثالث : فتح الجزيرة وموقعة نهاوند

المبحث الرابع : رأي المؤلف في انتشار الإسلام في فارس والعراق

المبحث الأول

انتصار القادسية

في بلاد فارس كان الفرس أمة مستقلة متجانسة في جنسيتها ولغتها ودينها ولكن دب في هذه الدولة الكبيرة التخائل إثر انتصار هرقل عليهم إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية وقد ضعفت الدولة الفارسية لأول مرة منذ تأسيسها حيث كان مؤسس الإمبراطورية الفارسية آل ساسان على يد أردشيرين بابك وغالبية الإمبراطورية يدينون بالأثينية وهي العقيدة الأساسية لديانة الفرس وهي تعتمد على وجود مصدرين الهيين لهذا العالم أحدهما اله خير ويرمزون له بالنور والثاني اله شر ويرمزون له بالظلمة ويسمون الأول اله النور ويسمون الثاني اله الظلمة والثاني هو الإله الذي صدر عنه العالم المادي وكان من أثر استبداد آل ساسان بالحكم ان اجبروا رعايا الدولة الفارسية على اعتناق ديانة زرادشت وزاد اتساعها في الدولة الفارسية ولما قويت شوكة هذه الديانة أخذ أصحابها يضطهدون

أصحاب الديانات المخالفة من اليهود والمسيحيين وصابئة ويونيين ومانويين وساعدت هذه الخلاقات الدينية على ضعف الدولة الفارسية بالإضافة إلى الفساد والتفكك السياسي الذي زاد في عهد يزيدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان حيث جلس على العرش وعمره واحد وعشرون عاما وفي هذا الجو من الفساد السياسي والخلاقات المذهبية الدينية ضعفت الإمبراطورية الفارسية وكما ذكرنا وجه أبو بكر الصدي عليه السلام . قبل وفاته جيشا بقيادة خالد بن الوليد ومعه المثنى بن حارثة فاضع القبائل العربية في العراق التي كانت تقيم جنوب نهر الفرات وانتصر على الفرس في الحيرة والانباء ولما تولى عمر بن الخطاب عليه السلام كان يتولى أمر الإمبراطورية الفارسية بوران بنت كسري التي فوضت أمر الملك عشر سنين إلى رستم بن مرخزاد لحماية الدولة الفارسية على ان يؤول الحكم إلى سلالة كسري بعده وقد سار الجيش الفارسي بقيادة رستم بن مرخزاد حتى الحيرة فترجع المثنى بن حارثة إلى الطوق قرب الكوفة لحماية الدولة الإسلامية من غزو الجيوش الفارسية وعند تقدم جيوش رستم الفارسية نقض بعض أهل الذمة وغير المسلمين العهد التي أبرموها مع خالد بن الوليد فطلب المثنى بن حارثة قائد الجيوش الإسلامية بعث خالد بن الوليد الإمدادات من الخليفة عمر بن الخطاب عليه السلام . وقام الخليفة بتجهيز الإمدادات وخرج بنفسه في أول محرم في السنة الرابعة عشر من الهجرة لمعاودة جيوش المسلمين في العراق أمام الغزو الفارسي ولكن الصحابة اعترضوا وأشاروا عليه بأن يرسل سعد بن أبي وقاص على رأس الجيوش الإسلامية على أن يبقى في المدينة لإدارة أمور الدولة الإسلامية وخرج سعد بن أبي وقاص على رأس حوالي ستة آلاف مقاتل ولحقت به جيوش إسلامية أخرى من بنى أسد بقيادة طليحة الأسدي ومن أهل اليمن خرجت جيوش أخرى وعندما وصل إلى العراق كان قائد الجيوش الإسلامية المثنى بن حارثة قد توفي أثر إصابته في أحد المعارك وتولى بدلا منه القيادة أخو المثنى بن حارثة الذي انضم إليه قوات سعد بن أبي وقاص ومعه ثمانية آلاف مقاتل حتى وصلت القوات الإسلامية إلى قرب القادسية وعسكر في هذه المنطقة حتى تصله بقية القوات التي أمر بها الخليفة عمر بن الخطاب عليه السلام . من مختلف المناطق الإسلامية فوصله ستة آلاف مقاتل بقيادة هاشم بن عتبة من الشام ووصله القعقاع بن عمرو التميمي ومعه ألف فارس ثم انضمت بعض القبائل العربية النصرانية إلى قوات المسلمين وتقدمت كل هذه القوات إلى القادسية وعددها حوالي خمسة وثلاثين ألف مقاتل أمر بتجميعهم الخليفة عمر بن الخطاب عليه السلام .

والقادسية منطقة واسعة على نهر الفرات وكان في مقابلته رستم يقود القوات الفارسية التي نزلت في منطقة بجوار الحيرة وعدد قواته حوالي مائة وعشرين ألف مقاتل فارسي وثلاثين من الفيلة ومعنى ذلك أن القوات الفارسية أكثر من ثلاثة أضعاف القوات الإسلامية وقد أرسل سعد بن أبي وقاص مندوبين عنه إلى ملك الفرس رستم يزدجرد وهم النعمان بن مقرن وعاصم بن عمرو يعرضون عليه الخيارات الثلاثة إما القتال أو الإسلام أو الجزية ولكنه رفض وفي اليوم الرابع بدأت معركة القادسية والتقى الجيشان وقد أصيب في المعركة سعد بن أبي وقاص الذي جلس في القصر يشرف على المعركة بعد وضع خطتها بأن يتولى أمر القوات خالد بن عرفطة وعلى اليمين جريز بن عبد الله البجلي وعلى اليسرة قيس بن مكشوح واستمر القتال ثلاثة أيام وقد بدأت بوادر النصر حينما بدأ المسلمون بطعن الفيلة وهربت بقية الفيلة من المعركة وفي اليوم الرابع من القتال بدأت الهزيمة تحل بالقوات الفارسية واستطاع هلال بن علقمة التميمي أن يقتل ملك الفرس رستم في المعركة وهو يحاول الفرار ولاذ الفرس بالفرار عبر النهر بعد أن قتل منهم أكثر من ثلاثين ألف بين قتيل ومصاب وخاصة القوات التي كانت مقيدة بالسلاسل حتى لا يفروا بينما أصيب واستشهد من المسلمين حوالي ثمانية آلاف وخمسائة مقاتل وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذه هي المعركة الفاصلة بين القوات الإسلامية والقوات الفارسية لذلك جمع القوات الإسلامية من مختلف قبائل الدول الإسلامية حتى يتحقق النصر .

المبحث الثاني

فتح المدائن عاصمة الدولة الفارسية

بعد معركة القادسية فتحت أبواب العراق وفارس أمام الدولة الإسلامية وبعد انتصار القادسية توقف سعد بن أبي وقاص عن القتال لمدة شهرين حتى شفى من المرض الذي أصابه واستراح جنده ثم توجه من القادسية في شوال في العام الخامس عشر من الهجرة في ٦٣٦م واتجه نحو الكوفة ثم إلى بابل حيث هزم الفرس الموجودين بها ثم توجه إلى مدينة بهرسير وتقع غرب نهر دجلة وأرسل إليهم سلمان الفارسي لي طرح عليهم الخيارات الثلاثة القتال أو الإسلام أو الجزية وحاصروهم لمدة شهرين وانسحبت القوات الفارسية من بهرسير ودخلت القوات الإسلامية بقيادة سعد بن أبي وقاص بهرسير التي رفضت الدخول في الإسلام

وقبّلت الجزية وهي ضريبة الدفاع وقبّلت الخراج عن الأراضي الزراعية مثلهم مثل المسلمين ووافق على ذلك سعد بن أبي وقاص ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة المدائن بعد أن عبر نهر دجلة ووصلها في شهر صفر من السنة السادسة عشر من الهجرة ٦٣٧م. ولم يجد بها أحد فقد هربت القوات الفارسية منها وهي عاصمة الدولة الفارسية وقد هرب ملك الفرس وعائلته من المدائن وقد غنم المسلمون الغنائم الكثيرة من دخولهم مدينة المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية وقد أقام بها سعد بن أبي وقاص تسعة أشهر بناء على أوامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه. في الوقت الذي أقام فيه يزدرج ملك الفرس بعد هروبه في مدينة جولاء وهي حصن كبير أحاطه الفرس بخندق به مسامير حديدية وهي على بعد مائة ميل من مدينة المدائن وفي ذى القعدة من العام السادس عشر للهجرة ٦٣٧م أرسل سعد بن أبي وقاص جيشا بقيادة ابن أخيه هاشم بن أبي وقاص قوامه حوالي اثني عشر ألف مقاتل واستولوا على الحصن في جولاء بعد قتال شديد مع القوات الفارسية وهرب يزدرج ملك الفرس إلى مدينة اصبهان وقد رفضت مدينة جولاء والمدن المحيطة بها دخول الإسلام وفرضت عليها ضريبة الدفاع أو الجزية حتى يكونوا آمنين في ظل الدولة الإسلامية ويباشرون عقائدهم الدينية بحرية تامة وبعد ذلك فتحت القوات الإسلامية الكوفة ثم مدينة تكريت ثم الموصل ثم قرسياء ومتر وأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. سعد ابن أبي وقاص أن يبني مدينة في الكوفة والبصرة حتى تنزل بها القوات الإسلامية وقد بنيت هذه المدينة وهي الكوفة قرب مدينة الحيرة على الشاطئ الغربي لنهر الفرات وقد تولى أبو موسى الأشعري بناءها وأمرهم ببناء مدينة أخرى في البصرة وأصبح سعد ابن أبي وقاص أمير الكوفة وعقبة بن غزوان أمير البصرة.

المبحث الثالث

فتح الجزيرة وموقعة نهاوند

تقع الجزيرة ما بين نهري دجلة والفرات مجاورة لبلاد الشام وكانت بها بعض مدن الجزيرة تابعة للدولة البيزنطية والبعض الآخر يتبع الدولة الفارسية وكان فتح الجزيرة ضرورة عسكرية لحماية فتوحات الشام والعراق وقد طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه. من سعد بن أبي وقاص فتح الجزيرة فأرسل جيشا بقيادة عباض بن غنيم في شعبان من العام الثامن عشر من الهجرة في ٦٣٩م ومعه حوالي خمسة

آلاف مقاتل وفتحها بدون مقاومة بعد أن فتح جميع المدن التي قبلها صلحا وحيث أن يزدجر ملك الفرس كان مازال موجودا في اصبهان يحاول إثارة الفرس من جديد ليتحدوا ضد العرب المسلمين وقد شجع كثيرا من المناطق بنقض العهد وكان يزدجر ملك الفرس يحرك الأمور من اصبهان وقام بتجميع قواته الفارسية من جديد حتى جمع حوالى مائة ألف مقاتل من القوات الفارسية و فلول القوات الهاربة من مواجهة القوات الإسلامية وقد جمعهم من مدن طبرستان وجرجان و دناوند والرى واصفهان وهمدان والماهين و أرسل هذه القوات الفارسية إلى منطقة نهاوند بقيادة الفيرزان لى يطرد العرب المسلمين من العراق وكان لابد للخليفة عمر بن الخطاب ؓ من مواجهة هذه القوات الفارسية التي تهدد الدولة الإسلامية فأمر بتجهيز القوات الإسلامية تحت قيادة النعمان بن مقرن لمواجهة القوات الفارسية المتجمعة بنهاوند وانضمت إلى جيوش النعمان بن مقرن جيوش إسلامية أخرى من مناطق أخرى بناء على أوامر عمر بن الخطاب ؓ . وقد تجمعت للقوات الإسلامية وهى حوالى ثلاثون ألف مقاتل وقد التقى الجيشان الإسلامي والفارسي فى نهاوند فى قتال عنيف استشهد فيها قائد القوات الإسلامية النعمان بن مقرن وحمل الراية بعده حذيفة بن اليمان وكانت المعارك عنيفة قتل فيها قائد القوات الفارسية الفيرزان وانتهت المعركة بانتصار الجيوش الإسلامية وهزيمة الجيوش الفارسية وقد سمى المسلمون معركة نهاوند بفتح الفتوح لأنه لم تقم للفرس بعدها قائمة وفر نهائيا يزدجر ملك الفرس إلى مدينة مرو وهكذا سقطت الدولة الفارسية إحدى أكبر دولتين فى العالم مع دولة بيزنطة ومعظم المدن العراقية ودخلت الإسلام ولكن غالبية مدن فارس رفضت دخول الإسلام وتحول أهلها إلى أهل ذمة يدفعون الجزية أو ضريبة الدفاع للدفاع عنهم ويقوا على دينهم يمارسون شعائرتهم الدينية بحرية.

المبحث الرابع

رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى فارس والعراق

أولا: كانت بعض القبائل بالعراق قد عقدت عقد الأمان مع خالد بن الوليد ودخلوا الدولة الإسلامية بإرادتهم الحرة جنوب نهر الفرات فى عهد أبى بكر الصديق ؓ . ولكنهم قبل واقعة القادسية فى رمضان من العام الرابع عشر للهجرة ٦٣٥م وفى عهد عمر بن الخطاب ؓ بنقضت بعض القبائل العربية فى العراق العهد وكان لزاما

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يرسل سعد بن أبي وقاص ليعيد هذه القبائل إلى حظيرة الدولة الإسلامية دفاعاً عن الدولة الإسلامية.

ثانياً: حينما ازدادت قوة الديانة الفارسية زارادشت وزاد اتساعها في الدولة الفارسية أخذ أصحابها يضطهدون أصحاب الديانات المخالفة من اليهود والمسيحيين والصابئة والبوذيين وهذه الخلافات أضعفت الدولة الفارسية ولجأ الكثيرون من القبائل إلى الدولة الإسلامية لحمايتهم من ظلم الدولة الفارسية.

ثالثاً: في معركة القادسية كانت قوات المسلمين حوالي خمسة وثلاثين ألف مقاتل يقابلها أكثر من مائة وعشرين ألف مقاتل فارسي أي أن القوات الفارسية كانت أكثر من ثلاث أضعاف القوات الإسلامية ومع ذلك انتصرت القوات الإسلامية لأنها كانت تؤمن بعقيدة تحركها وهي الإسلام وهي قوة دافعة لهم في الاستشهاد في سبيل الدفاع عن هذه الديانة وحمايتها وحماية الدولة الإسلامية الوليدة رغبة منهم في دخول الجنة كمكافأة للاستشهاد أما القوات الفارسية فكان يربطهم قائد هم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة لأنه لا يوجد هدف قومي لهم في حروبهم يدافعون عنه .

رابعاً: قبل بدء معركة القادسية أرسل سعد بن أبي وقاص إلى ملك الفرس رستم يزدجرد المندوبين لمقابلته حقناً للدماء وعرضوا عليه الخيارات الثلاثة في الإسلام وهي إما القتال أو الإسلام أو دفع الجزية ضريبة الدفاع لأن فرض الإسلام بحد السيف ليس هدفاً كما يدعى المستشرقون بدليل أنهم يعرضون أن يبقى الجميع على ديانته ومباشرة عقائدهم الدينية بحرية تامة مقابل ضريبة الدفاع عنهم وخاصة بعد أن فرضت الدولة الفارسية على المدن التي تحتلها ضرائب باهظة.

خامساً: بعد انتصار القوات الإسلامية على القوات الفارسية في القادسية فتحت أبواب مدن العراق وفارس أمام القوات الإسلامية وكان في مقدورها أن تفرض الإسلام بالقوة على كل المدن لأنه لا توجد مقاومة أمامها ولكن القوات الإسلامية كانت تسير على النهج الذي حدده القرآن الكريم لا إكراه في الدين فلذلك قبلت الجزية من مدينة بهرسير التي رفضت الدخول في الإسلام وكذلك مدينة المدائن وكذلك ما حدث في مدينة جولاء وفي مدينة الكور وكذلك الوضع بعد انتصار القوات الإسلامية في معركة نهاوند التي سميت بفتح الفتوح التي كانت نهاية الدولة الفارسية وكان يمكن فرض الإسلام بقوة السيف على جميع مدن العراق وفارس

لأنه لا توجد أمامهم أى قوة تمنعهم فقد انتهت جميع قوات الدولة الفارسية هاربة أو مقتولة ولكن الإسلام لم ينشر بحد السيف والا خالف جزءاً أصيلاً من وجوده كدين سماوى ورد فى القرآن ولا يمكن لأى قائد من المسلمين أن يخالف نصوص القرآن فى أى زمان وأى مكان والقرآن صريح كل الصراحة ولا اجتهاد مع صراحة النص أنه لا إكراه فى الدين .

ساسا: ان الإسلام كديانة سماوية لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى أو إرغامهم على الدخول فى الديانة الإسلامية بالإكراه ونظرة واحدة بعد ذلك بفترة طويلة حينما ظهر المذهب البروتستنتى فى أوروبا على يد لوثر قاومت الكنيسة الكاثوليكية اتباع هذا المذهب بكل ما أوتيت من قوة وعرف تاريخ الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستنت مذابح بشرية رهيبة من أهمها مذبحه باريس فى ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م التى دعا فيها الكاثوليك البروتستانت ضيوفا عليهم فى باريس للبحث فى تسوية تقريب وجهات النظر بين الكاثوليك والبروتستانت فما كان من الكاثوليك الا أن سطوا على ضيوفهم البروتستانت فى ظلمة الليل وقتلهم جميعا وكانت شوارع باريس تجرى بها دماء ضحايا البروتستانتية وانهالت التهاني على تشارلز التاسع ملك فرنسا بغير حساب من بابا الفاتيكان ومن ملوك الدولة الكاثوليكية على هذه المجزرة البشرية أننى أسرد هذا الواقعة لنرى الفرق فى تعامل أصحاب الديانات المخالفة مع بعضها .

سابعا: لقد فرضت الجزية على الذكور مقابل عدم الخدمة العسكرية التى كانوا يطالبون بها لو كانوا مسلمين وأى جماعة مسيحية أو أى ديانات غير إسلامية تعفى من أداء ضريبة الجزية أو ضريبة الدفاع إذا ما دخلت فى خدمة الجيش الإسلامى وهذا ما حدث مع قبيلة الجراحية وهى قبيلة مسيحية تقيم بجوار انطاكية سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم وأن تقاوم معهم فى معاركهم شريطة الا تأخذ الجزية وأن تأخذ نصيبها من الغنائم ولما اندفعت الفتوحات الإسلامية فى شمال فارس فى السنة الثانية والعشرين من الهجرة فى ٦٤٣م أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التى تقيم على حدود البلاد وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية لأنه ليس من المعقول أن يموت شباب المسلمين دفاعاً عن القبائل غير الإسلامية ولا يشترك شباب غير المسلمين فى هذه المعارك ولا يدفعون الجزية.

ثامنا: والمؤلف يؤيد ما ذكره المؤرخ المعروف سيرتوماس أرنولد في كتابة الدعوة إلى الإسلام عندما قال: " لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة وهى الجزية لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام و إنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة التى تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة فى الجيش الإسلامى فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم جيوش المسلمين ولما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه ذكروا صراحة فى عقد الأمان أنهم دفعوا هذه الجزية شريطة " أن يمنعوا ديارهم البعض من المسلمين وغيرها" أى حمايتهم من أي اعتداء .

ثاسعا: عندما يدخل غير المسلمين فى الدولة الإسلامية لهم من الحقوق مثل المسلمين وعليهم من الواجبات مثل ما عليهم ويتجلى ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أمر بصرف معاش لأحد اليهود وعياله من بيت مال المسلمين ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الله تعالى فى سورة التوبة الآية (٦٠) (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) : " وهذا من مساكين أهل الكتاب وأثناء مرور عمر بن الخطاب فى رحلته إلى الشام قابل مجزوميين من النصارى فى أمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت المال.

عاشرا: لقد طعن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أحد الرجال المسيحيين من أهل الذمة وهو يصلى فى المسجد وهذا الرجل الذى طعنه بالخنجر هو أبو لؤلؤة المجوسى ورغم ذلك أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة من بعده بأهل الذمة وهو على فراش الموت فىقول: " أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا أن يوفى بعهدهم وأن يقاتل عنهم والا يكلفهم فوق طاقتهم..

الحادى عشر: وكان عبدالله بن عمرو يوصى غلامه أن يعطى جاره اليهودى من الأضحية حتى دهش الغلام وسأله عن سر هذه العناية بجاره اليهودى قال ابن عمرو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

الثانى عشر: ذكر ابن حزم فى كتابه المحلى روى ابن أبى شيبه عم جابر بن يزيد (أنه سئل عن الصدقة فىمن توضع فقال فى أهل ملتكم من المسلمين وأهل ذمتهم). وهذا ما يؤكد أن للمسلمين نفس الحقوق التى لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.

الثالث عشر: لو أن الإسلام انتشر بحد السيف كما يقول المستشرقون لكانت الخيارات المطروحة أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين وهي القتال أو الإسلام أى خيارين اثنين فقط القتال أو خيار الإسلام حتى ينشر الإسلام بحد السيف ولكن طرح خيار ثالث بين تسامح الإسلام مع غير المسلمين وهو الجزية وهي مبالغ ضئيلة للمساهمة فى نفقات الدفاع عن غير المسلمين ويقابلها فريضة الزكاة على المسلمين فالجزية ضريبة فى كل الأحوال ضريبة دفاع للمساهمة فى إقامة المنافع العامة التى ينتفع بها المسلمون وغير المسلمين وخاصة أنه بعد دفع الجزية يكون لغير المسلمين نفس حقوق المسلمين فى بيت المال فى حالة العجز والمرض والشيخوخة.

الفصل الثانى

انتشار الإسلام فى دمشق وبيت المقدس

سوف نتناول فى هذا الفصل وهو انتشار الإسلام فى الشام ودمشق فى ثلاثة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : فتح دمشق.

المبحث الثانى: فتح بيت المقدس .

المبحث الثالثى: رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى دمشق وبيت المقدس .

المبحث الأول

فتح دمشق

توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى دمشق ومعه جيش من المسلمين يقدر بحوالى ثمانية وأربعين ألف مقاتل وأحكم حولها الحصار واستمر الحصار حوالى ستة أشهر وكان من رأى الراهب توما أحد زعماء دمشق القتال ضد قوات المسلمين وعندما طال الحصار ودخلت الجيوش الإسلامية حصون دمشق بالقوة طلب البيزنطيون من أبى عبيدة بن الجراح الصلح وكان الصلح بدفع الجزية على غير المسلمين من أهل دمشق وأعطى أبو عبيدة بن الجراح الأمان للقوات البيزنطية لمدة ثلاثة أيام ليخرجوا من دمشق ومعهم الأمتعة والأموال والأحمال ووعدهم بعدم هدم كنائسهم وقد رفض النصارى من أهل دمشق الدخول فى الإسلام وكان حقهم فى الاختيار فدفعوا الجزية أو ضريبة الدفاع ثم توجه بعد ذلك إلى

مدينة فحل حيث انتصر على القوات البيزنطية لدولة الروم الشرقية ثم توجه إلى مدينة حمص وصالح أهلها على الجزية مثلما فعل مع أهل دمشق حيث حاصر أبو عبيدة بن الجراح مدينة حمص وواصل أبو عبيدة بن الجراح زحفه إلى حماه وشيزر وفتحهما صلحا بالاتفاق على دفع الجزية أو ضريبة الدفاع ثم توجه إلى حلب وفتحها صلحا في السنة السادسة عشر للهجرة في ٦٣٧م ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة انطاكية واشتبك مع أهلها وانتهى الأمر بالصلح ودفع الجزية. ثم زحفت قوات بقيادة عمرو بن العاص ففتح بيسان وطبرية وتوجه شرحبيل بن حسنة وفتح الأردن ثم توجه عمرو بن العاص لفتح فلسطين أوبيت المقدس.

المبحث الثاني

فتح بيت المقدس وفلسطين

كانت القوات البيزنطية قد تجمعت في منطقة أجنادين وهي منطقة واقعة بين الرملة وبين جبرين بقيادة القائد أرتابون وكانت قوات المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وقد اشتبكت القوتين في أجنادين وتراجعت القوات البيزنطية إلى ايلياء وهي بيت المقدس وانتصرت قوات المسلمين في واقعة أجنادين جمادى الثانية من السنة الثالثة عشرة للهجرة في ٦٣٤م ثم بدأ عمرو بن العاص يتحرك لفتح مدن فلسطين دون قتال وهي نابلس واللد وعمواس وبيت جرين ويافا و عيون وعكا وعسقلان وغزة ورفح ولكن ايلياء أو بيت المقدس رفضت الاستسلام وكان عدد سكانها الأصليين حوالي خمسين ألف ومعهم اثني عشر ألف من البيزنطيين الروم الشرقيين وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس دون جدوى فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب المساعدة فقدم إليه أبو عبيدة بن الجراح ومعه قوة من خمسة وثلاثين ألف مقاتل مقسمة إلى سبعة جيوش كل جيش مكون من خمسة آلاف مقاتل ، الجيش الأول برئاسة خالد بن الوليد والجيش الثاني برئاسة يزيد بن أبي سفيان والجيش الثالث برئاسة شرحبيل بن حسنة والجيش الرابع برئاسة المرقال بن هاشم والجيش الخامس برئاسة المسيب بن عيينة والجيش السادس برئاسة قيس بن هبيرة والجيش السابع برئاسة عروة بن مهلهل ورغم تحصين بيت المقدس وأسوارها بالمنجنيق والطوارق لم يبدأ المسلمون القتال رغم هذه القوات الكبيرة لأنهم لا يريدون سفك الدماء وقد عرضوا الخيارات الثلاثة على أهل بيت

المقدس إما القتال أو الدخول فى الإسلام أو الجزية ضريبة الدفاع مع البقاء على ديانتهم وممارستها فى حرية تامة وعدم المساس بكنائسهم واستمر حصار بيت المقدس لمدة أربعة شهور ونظرا لطول فترة الحصار طلب البطريرك صفرونيوس بطريرك بيت المقدس أن يأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه ليوقع الصلح ويتسلم المدينة فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب وانقسم الصحابة إلى قسمين قسم يري القتال ودخول بيت المقدس لأن المعركة محسومة لصالح القوات الإسلامية وكان ذلك رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه ومجموعة من الصحابة وقسم ثان من الرأى على رأسه على بن أبى طالب يرى أن يتوجه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه بعض الصحابة لاستلام بيت المقدس بدون سفك دماء وهذا ما أخذ به الخليفة وتم فتح ايلياء أى بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى ربيع الآخر من السنة الخامسة عشرة من الهجرة فى ٦٣٦م بعد أن كتب لاهلها عهد الأمان وكان نصه الآتى.

((بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولأنصار أحد منهم ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم البيزنطيين واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم (كنائسهم) وحليهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض فمن نشاء منهم قعد عليه ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فلا يؤخذ منهم حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله ورسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية ((.

وشهد على عهد الأمان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وقد كتب عهد الأمان معاوية بن أبى سفيان وسط كنيسة القيامة ولما جاء وقت الصلاة صلى الخليفة ومن معه خارج الكنيسة حتى لا يتخذها

المسلمون مسجدا لهم وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشرة أيام ثم عاد إلى المدينة وبعد ذلك توجه أبو عبيدة لفتح حمص والمدن الداخلية وتوجه يزيد بن أبي سفيان لفتح سواحل الشام الجنوبية وفتح بيروت وصيدا وكذلك توجه شرحبيل بن حسنة وفتح صور وعكا وصفورية وهكذا امتدت الدولة الإسلامية لتضم بلاد الشام بعد أن انهارت مقاومة القوى العظمى الثانية وهي الروم الشرقية البيزنطية بعد انتصار أجنادين حيث تم فتح بقية مدن الشام دون مقاومة تذكر لأن أهلها عرب أساسا ولتخلصوا من اضطهاد البيزنطيين والإمبراطور هرقل الإمبراطور البيزنطي الذي فر إلى القسطنطينية.

المبحث الثالث

رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى دمشق وبيت المقدس

أولا: فى معركة اليرموك كانت هى المعركة الفاصلة بين العرب والبيزنطيين التى قادها خالد بن الوليد فى العام الثالث عشر للهجرة فى ٦٣٤م وأثناء المعركة توفى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتولى الخلافة عمر بن الخطاب الذى أمر بعزل خالد بن الوليد وعين بدلا منه على قيادة الجيوش الإسلامية أبا عبيدة بن الجراح وكانت هذه المعركة فاتحة خير على الدولة الإسلامية حيث بدأ فتح الشام كلها تحت لواء الدولة الإسلامية وخاصة بعد رحيل هرقل إمبراطور الروم إلى القسطنطينية وبعد تخليص عرب الشام من الحكم البيزنطي ، فيقول البلاذري فى كتابة فتوح البلدان إن هرقل قال: " عليك ياسوريا السلام سلاما لا اجتماع بعد ونعم هذا البلد للعدو " وقد دخل المسلمون دمشق فى العام الرابع عشر للهجرة ٦٣٥م صلحا بعد دفع دينار على كل رأس بالغ الجزية أو ضريبة دفاع وطلب البيزنطيون الأمان لجنودهم للخروج من دمشق وحصونها فاعطاهم ثلاثة أيام يخرجون ومعهم أمتعتهم وأموالهم ولو كانت القضية قضية دماء ونشر الإسلام بحد السيف لما سمح للجنود البيزنطيين بالخروج فى أمان وكذلك الروم من رعايا الدولة البيزنطية وقد وعدهم أبو عبيدة بن الجراح فى عقد الأمان بالألا يهدم كنائس الروم البيزنطيين رغم أنهم أعداؤه فى القتال وعلمه ان الجنود البيزنطيين سوف يتجمعون مرة أخرى لقتاله.

ثانيا: استمر حصار بيت المقدس أربعة شهور كاملة ورغم أن قوة المسلمين بقيادة أبا عبيدة بن الجراح خمسة وثلاثون ألف مقاتل أضعاف أضعاف القوات الموجودة داخل بيت المقدس الا أن أبا عبيدة بن الجراح عرض على بطريك بيت

المقدس الخيارات الثلاثة القتال أو الإسلام أو الجزية ولكن صفرونيوس بطريك بيت المقدس رفض توقيع الصلح مع أبي عبيدة وطلب أن يسلم المدينة إلى عمر بن الخطاب ذاته رغم مقدرة الجيوش الإسلامية الدخول بحد السيف وكانت الغنائم سوف تكون كثيرة فحضر عمر بن الخطاب ﷺ بنفسه رغم مشقة الطريق من المدينة المنورة وبيت المقدس وأعطاهم الأمان مقابل دفع ضريبة الدفاع عنهم وعن كنائسهم وأموالهم وأنفسهم ضد أى اعتداء خارجى وهى الجزية وقد حضر عمر بن الخطاب ﷺ إلى بيت المقدس بناء على رغبة بعض الصحابة سكان المدينة رغم مقدرة عمر بن الخطاب ﷺ على عدم الحضور وترك المدينة وأن يعطى الأوامر إلى أبي عبيدة بدخول بيت المقدس بحد السيف.

ثالثا: ويتجلى بعد نظر عمر بن الخطاب ﷺ أنه أثناء كتابة الصلح وعقد الأمان حان وقت الصلاة فصلى هو وأصحابه خارج الكنيسة حتى لا يتخذها المسلمون مسجدا لهم بحجة أن أمير المؤمنين وأصحاب رسول الله صلوا فيها وكان من الممكن أن يروج بعض المتعصبين لهذه الفكرة ولكن بعد نظر عمر بن الخطاب ﷺ فى تقدير الأمور جعل هذه الواقعة خالدة حتى اليوم فى التسامح.

رابعا: بعد انتصار المسلمين فى موقعة اليرموك وأجنادين كانت مدن الشام لاتقاوم فتح العرب المسلمين بعد أن قارنوا بين عدل العرب فى تعاملهم واضطهاد البيزنطيين فى فرض الضرائب التى فوق طاقتهم وخاصة أن الفساد واللهو وصل إلى درجة كبيرة من الفسق فى الدولة البيزنطية وكذلك الترف اللامعقول والفجور والفوضى وهذا لم يروه فى حياة المسلمين الأوائل بل وجدوا الزهد والتشرف أسلوب حياة لديهم لذلك دخلوا تحت عباءة الدولة الإسلامية عن قناعة.

خامسا: ومما سهل على العرب فتح ولايات الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية ما كان بينها وبين العرب المسلمين من صلة الجنس وتقارب فى اللغة وصلات فى التجارة أضف إلى ذلك ما كان بين الدولة الرومانية والأمم التى تحت سلطانها من النفور بسبب الانقسامات الدينية وزيادة الضرائب زيادة فوق طاقة أهل هذه المناطق لذلك رحبوا بحكم العرب ليتخلصوا من الحكم الرومانى واستبداد الكنيسة البيزنطية فى فرض اعتقاداتها اللاهوتية عليهم بقوة السلاح التى تخالف اعتقادهم اللاهوتية المسيحية هذا بالإضافة إلى أن الدولة الرومانية كانت أخذة فى الانحطاط على إثر قيام الفتن والثورات فى أواخر عهد جستنيان إلى وفاة هرقل قيصر الروم.

سادسا: رحب أهل الشام بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام البيزنطيين أولا ورغبة في اعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا ثم أملا في تمتعهم بالحرية الدينية حتى لا يدخلوا في ديانة الدولة الرومانية بالعنف وخاصة أن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين ومن زاردرتشتيين وصائبة وعبدة الأوثان والنار والحجارة أن يتدينوا بما يرضيهم وما يرضون لأنفسهم من دين ويمارسون طقوسهم الدينية بحرية بشرط دفع ضريبة الدفاع أو الجزية.

سابعا: من الوقائع التي لا بد من ذكرها، بينما العرب يقاتلون الروم في اليرموك أتاهم خبر وفاة أبي بكر رضي الله عنه وتولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام الخليفة الجديد بعزل خالد بن الوليد من قيادة القوات الإسلامية لأنه مازال يذكر موقف خالد بن الوليد من مالك بن نويرة واساءته التصرف وبعد أن قام بعزل خالد بن الوليد ولى رئيسا عليه لقيادة الجيوش الإسلامية أبا عبيدة بن الجراح ولكن خالد بن الوليد لم يكن بالرجل الذي يتمرد على الخليفة أو يعترض على أوامره لأنه كان يحرص على وحدة المسلمين حتى لا تحدث الخلافات بينهم وكانت هذه المشاعر هي الدافعة للمسلمين فالمصلحة العامة في نشر الإسلام أهم كثيرا من المصلحة الخاصة حتى لو أدى الأمر إلى الشهادة وجدنا خالد بن الوليد بعد أن كان قائدا للقوات الإسلامية وجدناه يحارب تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح كرجل ثان .

ثامنا: أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على عقيدة وفكرة أيديولوجية خاصة بها تتبثق نظمه وأحكامه من هذه العقيدة أو الفكرة الأيديولوجية وهي الإسلام وهذا معنى تسميته بالمجتمع الإسلامي فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجا لحياته ودستورا لحكمه ومصدرا لتشريعته في كل شئون الحياة ومن أهم أسس الإسلام العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حيث تقوم العلاقة على التسامح والعدالة والبر والرحمة والمحبة بدون صراع دامي مع المخالفين في الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون تحت شعار كبير له مصداقيته لا إكراه في الدين لذلك كانت كل تصرفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح بيت المقدس بأنها تصرفات نابعة من دستور الإسلام وأيديولوجية في الإسلام يبيح مؤاكلة غير المسلمين من أهل الكتاب والأكل من ذبائحهم كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم المحصنات والحياء معهم على المودة والرحمة طبقا لسورة الروم الآية (٢١) (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) .

تاسعاً: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة خشية ان يكون أحد المسلمين قد أفضى إليهم بأذى فيقولون له " ما نعلم الاوفار " أي يعاملون بمقتضى العهد والعقد الذى بينهم وبين المسلمين .

عاشراً: ذكر ابن عابدين فى حاشيته التى كتبها ((أن ظلم الذمى أشد من ظلم المسلم إثمًا)) وهو يبرر ذلك بأن ظلم القوى للضعيف أعظم فى الإثم وفوق ذلك كله ما قاله الرسول ﷺ " من أذى ذمياً فقد أذانى ومن أذانى فقد أذى الله " أظن لا توجد حماية لأصحاب الديانات الأخرى وهم غير المسلمين أكثر من ذلك فمن أذى غير المسلم كان كما لو أذى الرسول ﷺ ذاته ومن يؤذى الرسول يؤذى الله أى بصريح العبارة من يؤذى غير المسلم كما لو كان أذى الله هل توجد ديانة سماوية تعطى أصحاب الديانات المخالفة حماية أكثر من ذلك وهذا هو صحيح الدين الإسلامى أما الممارسات الفردية هنا أو هناك فى أى زمان أو فى أى مكان التى يتم فيها إيذاء غير المسلمين فإنها لا تنسب إلى الإسلام لأن الإسلام برئ منها ولكنها تنسب لأصحابها لأنهم خالفوا صحيح الدين الإسلامى.

الحادى عشر: فى السنة الثامنة عشر من الهجرة ٦٣٩م بدأ مرض الطاعون فى عمواس وهى بلدة مجاورة لبيت المقدس فسمى طاعون عمواس ثم انتشر فى بلاد الشام وقد حاول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إخراج أبى عبيدة بن الجراح من الشام حتى لا يصاب بالطاعون فطلب منه ذلك لكن أباعبيدة بن الجراح أدرك غرض الخليفة ورفض أن يترك جنوده ورفض التوجه للمدينة وأصر أن يبقى وسط جنوده يعيش بينهم فى السراء والضراء ولا يتركهم فى الأزمات وهذا يعطى صورة كيف كانت القيادات الإسلامية فى الدولة الإسلامية الأولى ملتزمة بجنودها لذلك كان الاندفاع فى الحروب من أجل نشر الرسالة المحمدية بقلوب مؤمنة لا تعرف إلا النصر أو الاستشهاد.

الفصل الثالث

انتشار الإسلام فى مصر وبرقة وطرابلس

سوف نتحدث فى الفصل الثالث انتشار الإسلام فى مصر وبرقة وطرابلس تفصيلاً فى ثلاثة مباحث على النحو التالى:

المبحث الأول : انتشار الإسلام في مصر .

المبحث الثاني : انتشار الإسلام في برقة وطرابلس .

المبحث الثالث : رأي المؤلف في انتشار الإسلام في مصر وبرقة وطرابلس .

المبحث الأول

انتشار الإسلام في مصر

كان الشعب المصرى القبطى الأرثوذكسى يعانى من شدة الفقر والاضطهاد الدينى فى ظل سيطرة الإمبراطورية البيزنطية فقد فرضت عليه الضرائب الباهظة والحاصلات الزراعية فى مصر تذهب إلى بيزنطة وكان البيزنطيون يكرهون أهالى مصر لأنهم عنيدون فى الدخول إلى المسيحية الكاثوليكية ورغبتهم فى البقاء على مسيحيتهم الأرثوذكسية وقد سار عمرو بن العاص إلى مصر فى جيش من أربعة آلاف مقاتل وفى ذى الحجة من السنة الثامنة عشرة من الهجرة فى ٦٣٩م وصل إلى العريش وفتحها دون مقاومة ثم توجه إلى الفرما (السويس الآن) وبعد ذلك توجه إلى بلبيس حيث كانت قوات من البيزنطيين بقيادة أرطيون وقد حاصر بلبيس لمدة شهر حتى فتحها بالقتال وقد قتل ألف فارس بيزنطى واسر ثلاثة آلاف وفر بقية الجنود البيزنطيين ثم توجه إلى عين شمس فى شعبان من العام التاسع عشر للهجرة فى ٦٤٠م حيث عسكر عمرو بن العاص وأرسل قوة بقيادة خارجة بن حراقة فى التلال أى القلعة الآن لمحاصرة القوات البيزنطية الموجودة فى العباسية الآن بقيادة تيودور بمصر وهى حوالى عشرين ألف مقاتل تجمعوا فى العباسية لطرد المسلمين ودخلت قوات المسلمين عليهم من عين شمس ومن التلال وهى القلعة الآن ووضععت الجيوش البيزنطية فى كمامشة ودار قتال انتصر فيه المسلمون وقرت القوات البيزنطية إلى حصن بابليون وحصن بابليون قرب منف مقر المقوقس حاكم مصر يوجد مقابل جزيرة الروضة ويعتبر من أقوى الحصون البيزنطية وهو محاط بالخنادق ومياه النيل وأبراجه مرتفعة وبه حامية بيزنطية حوالى ستة آلاف مقاتل وكانت قوات عمرو بن العاص لا تكفى لفتح ذلك الحصن فطلب الإمداد والمساعدة من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمدته بقوات بقيادة الزبير بن العوام حتى وصلت القوات الإسلامية إلى حوالى اثنى عشر ألف مقاتل وتم محاصرة حصن بابليون وعرض عمرو بن العاص على المقوقس الخيارات الثلاثة القتال أو الإسلام أو الجزية ودام الحصار سبعة شهور ودخلوا الحصن فى العام

العشرين من الهجرة فى ٦٤١م عن طريق خطة وضعها عمرو بن العاص فقد تسلق الزبير بن العوام الحصن مع بعض أصحابه بواسطة سلم على حين غفلة من البيزنطيين ونزلوا إلى باب الحصن وفتحوه وفرت القوات البيزنطية بالسفن عبر نهر النيل إلى البر ووقع المقوقس حاكم مصر معاهدة الأمان ودفع الجزية وبموجب عقد الأمان فرض عمرو بن العاص دينارين على كل قبضى بالغ ما عدا الشيوخ والنساء والصبية على ألا يتعرضوا الى ما لهم وأرضهم ثم توجهت القوات الإسلامية إلى الإسكندرية وهى المدينة الثانية فى الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية العاصمة وكانت أقوى حصون مصر وتعتبر مركز التجارة والعلوم للقبط والبيزنطيين والأرمن والعرب واليهود وكان بالإسكندرية حوالى خمسين ألف مقاتل من البيزنطيين ويدعمها الأسطول البيزنطى فى البحر ورغم أن قوة المسلمين لا تتعدى اثنى عشر ألف مقاتل وليس معهم أسطول بحرى وقام عمرو بن العاص بمحاصرة الإسكندرية أربعة عشر شهرا وفى هذه الأثناء تولى حكم الإمبراطورية قسطنطاز الذى حكم الإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية بعد وفاة هرقل وقد أمر الامبراطور الجديد المقوقس حاكم مصر وتيودر قائد القوات البيزنطية فى عقد الصلح مع عمرو بن العاص فى ٤ أيلول فى ٦٤١م وعاد إلى بابلون حيث عقد عهد الأمان فى ٨ تشرين الثانى ٦٤١م على أن يقوموا بدفع الجزية على أن يخرج البيزنطيون فى أمان من الإسكندرية فى ٦٤٢م وبعد ذلك أسس عمرو بن العاص مدينة القسطنطاط فى العام الحادى والعشرين من الهجرة فى ٦٤٢م حيث بنى أول جامع باسمه وهو جامع عمرو بن العاص و أصبحت المدينة الجديدة عاصمة مصر.

المبحث الثانى

انتشار الإسلام فى برقة وطرابلس

لقد إنتشر الإسلام فى برقة وطرابلس وكانت برقة وطرابلس تسمى ولاية أفريقية تتبع بيزنطة ومعظم سكانها من البربر الناقمين على بيزنطة بسبب كثرة جباية الضرائب الباهظة وتوجه عمرو بن العاص إلى برقة فلم يجد مقاومة داخل برقة وعقد معهم عقد الأمان على أن يقوموا بدفع الجزية وهى دينار واحد فقط على كل شخص بالغ ثم واصل السير نحو طرابلس فحاصرها لمدة شهر ودخلها صلحا وعقد مع أهلها عقد الأمان مقابل الجزية بعد أن رحل البيزنطيون عنها بالسفن

الموجودة فى البحر الأبيض المتوسط فى السنة الثانية والعشرين من الهجرة فى ٦٤٣م وبذلك دخل عمرو بن العاص ولاية أفريقية وقد أراد عمرو بن العاص التوجه نحو الغرب حتى المحيط الأطلسى ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفض ذلك لصعوبة المسالك الجبلية الوعرة وهكذا عاد عمرو بن العاص إلى مصر بعد أن عين عقبه بن نافع حاكما على ولاية أفريقية على برقة وطرابلس.

المبحث الثالث

رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى مصر وبرقة وطرابلس

أولاً: مصر كان لها وضع خاص وأقباط مصر لهم وضع خاص فى وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته فقال: ((الله فى قبض مصر فأنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعداءنا فى سبيل الله)).

وفى حديث آخر عن أبى عبد الرحمن الجبلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ((فاستوصوا بهم خيرا فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله)) يعنى قبض مصر وقد صدق التاريخ بما تتبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رحب الأقباط بالمسلمين القادمين رغم أن الروم الذين كانوا يحكمونهم مسيحيين مثلهم ولكنهم لقوا على أيديهم العذاب ألوانا وأشكالا لم تعرفها البشرية من قبل بعد انقسام الديانة المسيحية إلى ملتين كاثوليكية وأرثوذكسية.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((أنكم ستفتنون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحوها فأحسنوا أهلها فإن لهم ذمة ورضا)) وعن كعب بن مالك الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم دما ورحما)).

ثانياً: قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكثير من أحاديثه عن مصر أن لكم فيها رحما ودماً وقرابة ليست كغيرها من المدن فقد كانت هاجر أم إسماعيل أبا العرب من مصر بالإضافة إلى ماريات القبطية التى كانت زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنجب منها ابنه إبراهيم كانت من مصر .

ثالثاً: مصر دخلت في حكم الدولة الرومانية في ٣٠ ق.م عندما انتصر اكنقيوس على انطونيوس وكيلونيرا في الإسكندرية وقد تم تعيين كورنياوسجاليلوس أول والى روماني على مصر في عام ٢٦ ق.م وكانت مصر مزرعة الغلال للدولة الرومانية يتم توريد كل خيراتها إلى روما وفي عام ٥٥ ميلادية حضر ماري مرقص الرسول إلى مصر لبدء التبشير بالمسيحية وكان يحكم الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت الإمبراطور نيرون وكان والى مصر من قبل روما كلوديوس بالساوس وماري مرقص الرسول وهو أحد السبعين رسولا الذين اختارهم السيد المسيح للتبشير بالمسيحية خارج فلسطين وماري مرقص الرسول أحد تلاميذ بطرس الرسول وهو من الاثني عشر تلميذا الذين كانوا يرافقون السيد المسيح في بداية الدعوة للديانة المسيحية وفي عام ٦١ م كتب ماري مرقص إنجيله المعروف باسم إنجيل مرقص وقد كتبه بإرشاد بطرس الرسول لأنه لا يستطيع أن يستقى هذه الأخبار الموجودة بالإنجيل الأمن من أحد الرسل الاثني عشر لإمامهم بكل تفاصيلها حيث قابل ماري مرقص الرسول بطرس الرسول في مدينة بابلون وكانا دائما يجلسان مع بعضهما وقد كانت علاقة ماري مرقص الرسول بالأثنى عشر تلميذا المقربين للسيد المسيح علاقة وطيدة واخذ منهم الكثير من الأخبار وقد كتب ماري مرقص الرسول إنجيل مرقص باللغة القبطية واللغة اليونانية ومن هنا بدأ نشر المسيحية في مصر في عهد الدولة الرومانية .

رابعاً: وبعد انتشار المسيحية في مصر رسم ماري مرقص الرسول انيانوس الإسكافي أسقفا للمسيحيين ومعه ثلاثة قساوسة وسبعة شماسة للمساعدة في التبشير بالمسيحية وبدأت رحلة المسيحية في مصر وقد اتخذ ماري مرقص الرسول من الإسكندرية مقرا لبدء الدعوة المسيحية وكان بها أجناس كثيرة مصريون وحبشون ونوبيون وروم ويهود ويونانيون وكانت مركزا لأهل العلم والتجارة وكانت في المرتبة الثانية بعد روما وفي عام ٦٨م أقام ماري مرقص الرسول أول كنيسة في منطقة تسمى بوكاليا على شاطئ البحر شرق الإسكندرية وفي ٢٦ أبريل ٦٨م بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثيون يحتفلون بعيد الهمهم سيرابيس كان ماري مرقص يدعو لعبادة الله الواحد ويدعوهم لعدم عبادة الأوثان فترى به الرومان وربطوه بحبل من عنقه واخذوا يطوفون به في شوارع المدينة حتى تمزق لحمه وتهشمت عظامه بمساعدة الجنود الرومانيين ووضعوه في السجن حتى فارقت

روحه الطاهرة جسده في ٢٧ أبريل ٦٨م تم أوقدوا النار في جسده وقام المسيحيون بدفنه في كنيسة بوكاليا وبعده تم اختيار أنيانوس بطريركا للكرسى السكندري وهو اسكافي أول من آمن بالمسيحية في مصر على يد ماري مرقص الرسول ليدير شئون الكنيسة وفي عام ٨٧م تم سك النقود المصرية لأول مرة في التاريخ وهي تحمل صورة الآلهة المصرية القديمة وكان كل إمبراطور في الدولة الرومانية يعتبر نفسه لها وينشئ طائفة من الكهنة يشرفون على عبادته وعندما رفض المسيحيون تقديم القرابين لتمثاله أصدر الإمبراطور دومنيان في عام ٩٦م بإعدام المسيحيين ومن هنا بدأ اضطهاد المسيحية في مصر على يد الدولة الرومانية على يد الجنود الرومانيين.

خامساً: وبعد زيادة أعداد المسيحيين في مصر زيادة كبيرة زاد اضطهاد الدولة الرومانية والجنود الرومان لدرجة أن في عهد الإمبراطور ترجان تم القبض على بطريرك الأقباط كزونوس وتم قتله بمعرفة الجنود الرومان في عام ١٠٦م ثم زاد اضطهاد المسيحيين على مر الأيام لدرجة انه في عام ١٨٠ تولى عرش الإمبراطورية الرومانية كومورس واصر أمراً بان يقسم الشعب يمين الولاء للإمبراطور وإحراق البخور حول ثمانية فرفض المسيحيون في مصر فزاد اضطهادهم وقام حاكم مصر الروماني فلافيوس كومودرس بالاستيلاء على البطريركية القبطية ونهب أمتعتها وسلب أواني الكنيسة وتم القبض على البطريرك الثاني عشر ديمتروس ونفاه إلى مدينة اوسيم ورغم اضطهاد الدولة الرومانية إلا أنه في عهد البطريرك الثاني عشر باركلاس زاد عدد المنضمين للديانة المسيحية وفي عهده زادت الأبروشيات حتى اصبح في مصر عشرين أسقفا في مدن القطر المصرية ولقب باروكلاس البطريرك الثالث عشر بلقب البابا لأول مرة في مصر ومازال حتى الان يطلق علي كل بطريرك حتى وصل اللقب إلى قداسة البابا شنودة البطريرك ١١٧ في حياة المسيحية في مصر واشتد اضطهاد الدولة الرومانية للمسيحيين في جميع أنحاء العالم لدرجة انه في عام ٢٤٠م أمر الإمبراطور الروماني القبط على رؤساء المسيحيين في كل الإمبراطورية الرومانية وقام والى مصر الروماني بالقبيض على البطريرك ديونيسيوس وأودعه السجن وفي عام ٢٤٨م تولى عرش الإمبراطورية الرومانية ديسيوس واصر قرار اضطهاد المسيحيين عموماً في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية ولذلك قام والى مصر

الروماني اميليانوس بإصدار تعليمات تقضى بأن يطلب من كل شخص مصري أن يعلن تمسكه بالهته القديمة ويعلن ذلك أمام الموظفين المسؤولين ويحصل على شهادة بذلك من هؤلاء الموظفين ومن يرفض ذلك يكن جزاؤه الموت فقد وضع الحكم الروماني المسيحيين أمام خيارين فقط إما الموت أو عبادة الأوثان ولكن الإسلام حينما دخل إلى مصر خير المسيحيين بين ثلاث خيارات القتال أو الإسلام أو دفع الجزية مع البقاء على دينهم ومباشرة عقائدهم الدينية وهذا يفسر حالة الكره لدى المسيحيين المصريين للدولة الرومانية دائما في كل العصور .

سادساً: في عام ٢٧٤ تولى ناؤا البطريك السادس عشر وهو أول من بنى الكنائس بكثرة بالإسكندرية وكان المسيحيون قبله يصلون في المغارات والسراديب خوفا من القتل وسفك الدماء وفي عام ٢٨٤ م تولى عرش الإمبراطورية دقلديانوس وفي عام ٢٨٥م تولى الأنبا بطرس البطريك السابع عشر وقد اصدر البطريك قرارا بان جميع الذين اجبروا على عبادة الأوثان وأصبحت عبادتهم للأوثان من المسيحيين و أنكروا المسيح وفعلوا ذلك بدون إرادتهم نتيجة التعذيب والاضطهاد يمكن قبولهم مرة أخرى في الكنيسة بدون فحص أو قصاص وكان البابا بطرس قد اصدر بعض الكتب بعدم عبادة الأوثان فاصدر الإمبراطور دقلديانوس أمراً بإعدام البطريك وتم قطع رأسه في منطقة بوكاليا وفي عام ٢٨٦م قام الإمبراطور دقلديانوس بنقل عاصمة الدولة الرومانية من روما إلى مدينة نيقومديا وقد أعلن الإمبراطور دقلديانوس اعتبار نفسه إلها مثل البطالمة والفرعنة وان توحد العبادة في الإمبراطورية كلها لشخصه فقط وتقديسة باعتباره إلها ولكن المسيحيين في مصر رفضوا عبادته وفي عام ٣٠٢م اصدر أمراً بتطهير الجيش من المسيحيين في مصر وبدأ الاضطهاد العام للمسيحيين في مصر وكان يحكم مصر في ذلك الوقت واليا من قبل الإمبراطورية اسمه كولكيانوس فاصدر الإمبراطور أمراً بهدم الكنائس المسيحية وحرق الكتب المقدسة وطرد نوى المناصب الرفيعة من المسيحيين من مناصبهم على مستوى الإمبراطورية الرومانية واصدر أمراً آخر يحظر تحرير العبيد المسيحيين إذا أصروا على الاعتراف بمسيحيتهم ثم أصدر مرسوما بسجن الأساقفة ثم تعذيبهم وإعدامهم إذا رفضوا إنكار مسيحيتهم وهكذا بدأت الصفحة السوداء في تاريخ دقلديانوس بقتل الآلاف من المسيحيين وتعذيبهم وفي ذلك الوقت كان ماري جرجس الشهيد برتبته قائد جيوش دقلديانوس وقد مزق كل أوامر

الإمبراطور دقلديانوس و أعلن جهراً بأنه مسيحي فأمر الإمبراطور بإعدامه وفي عهد الإمبراطور دقلديانوس تحمل المسيحيون في مصر ما لم يتحملة أي شعب في التاريخ من التعذيب حيث بدأ عصر الشهداء في مصر منذ أن تولى الإمبراطور دقلديانوس الحكم في ٢٨٤م فكان في عهده يتم تعذيب المسيحيين في مصر بلقائهم في النار أحياء أو كشط جلدهم بالآلات خاصة أو إغراقهم في زيت مغلي أو إغراقهم في البحر أحياء أو صليبهم ورؤوسهم منكسة إلى اسفل ويتركون أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعاً ولا يتم إنزال جثثهم من الصليب ولكن تترك للغربان لتأكلهم أو كانوا يوثقون في فروع الأشجار ويتم تقريب فروع الأشجار بالآلات خاصة تم تترك فروع الأشجار لتعود لوضعها الطبيعي فتمزق الأعضاء الجسدية للمسيحيين قطعاً قطعاً ويقدر البعض أن أعداد المسيحيين الذين قتلوا بالتعذيب في مصر في عهد الإمبراطور دقلديانوس بأكثر من مليون مسيحي لذلك قررت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر اعتبار ذلك عصر الشهداء في مصر وأقاموا التقويم القبطي أو التاريخ القبطي في مصر الذي يبدأ بعصر الشهداء حيث يبدأ من العام الذي تولى فيه الإمبراطور دقلديانوس الحكم في ٢٨٤م ومما يذكره التاريخ أن دقلديانوس توفى في ٣٠٥م وكان قد أصيب بالعمى في آخر أيامه وكانت ترعاه سيدة مسيحية.

سابعا: كان من شهداء فترة عصر الشهداء وحافظوا على مسيحيتهم مارمينا العجيبى وكان أبوه حاكماً لمربوط ووالداه مسيحيان و أعلن جهراً تمسكه بالمسيحية فأمر الوالى الروماني في مصر بقطع رأسه ودفنه في الصحراء ومن شهداء هذه الفترة القديسة دميانة وقد قطعت رأسها ولم تتكر مسيحتها والأول له دير بالقرب من الإسكندرية بالقرب من برج العرب والثانية لها دير في بلقاس بالدقهلية .

ثامناً: في عام ٣٠٦م تولى الإمبراطور قسطنطين حكم الإمبراطورية الرومانية وكانت والدته مسيحية وهى الإمبراطورة هيلانة وكان يحكم مصر في ذلك الوقت الوالى ساتريوس اربانوس وفي عام ٣١٢ م اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية مثل والدته وفي عام ٣١٣ م اصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوماً ببرد أملاك المسيحيين التى تم مصادرتها و إعلان التسامح الدينى لكل الأديان.

تاسعاً: في عام ٣١٨ بدأ اريوس في إعلان تعاليمه ومبادئه عن الديانة المسيحية بعدم ألوهية السيد المسيح لذلك قام البطريك الأنبا الاكسندروس البطريك التاسع عشر

بتجريد اريوس المسيحي السكندري من منصبه الكهنوتي حيث كان كاهنا بالإسكندرية .

عاشراً: في عام ٣٢٤ م قام الإمبراطور قسطنطين بتوحيد الإمبراطورية الرومانية تحت قيادته بعد أن هزم شريكه في حكم الإمبراطورية الشرقية وفي عام ٣٢٠ م قام الإمبراطور قسطنطين بدعوة مجمع فينيقية لدراسة أحوال المسيحيين في إمبراطورية وتحت رئاسة الإمبراطور لتحديد طبيعة السيد المسيح بعد أن شطب البطريرك في مصر الأنبا الاكسندروس تعاليم اريوس واجتمع في مجمع فينيقية ٣١٨ أسقفا في فينيقية واصدر هذا المجمع ما يسمى بدستور الإيمان قام بصياغته الأنبا الكسندروس بابا الإسكندرية ورفضوا جميعاً آراء اريوس بعدم الوهية السيد المسيح ولذلك اصدر الإمبراطور قسطنطين قراراً ينفى اريوس من الإسكندرية وحرق كتبه .

الحادي عشر: في عام ٣٣٠ م إنشأ الإمبراطور قسطنطين مدينة جديدة على البوسفور أطلق عليها اسم القسطنطينية وجعلها عاصمة الإمبراطورية الرومانية وضم كل ما في روما من علماء وفنانين لتأسيس القسطنطينية على اعظم طراز معماري وبدا ما يعرف بالعصر البيزنطي ونقل إليها الكثير من المسلات الفرعونية في مصر وقد تم بناء مدينة القسطنطينية من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض على الدول التابعة للإمبراطورية الرومانية ومنها مصر التي كان يعاني المصريون منها من ارتفاع الضرائب

الثاني عشر: في عام ٣٣٥ م اجتمع مجمع صور وقرر عزل البطريرك العشرين في مصر البطريرك اثناسيوس لرفضه عودة الكاهن اريوس لحظيرة المسيحيين بعد توبته وقرر مجمع صور نفى البطريرك إلى فرنسا وفي العام التالي ٣٣٦ م توفي الكاهن اريوس.

الثالث عشر: في عام ٣٣٧ م توفي الإمبراطور قسطنطين وتولى الحكم بعده أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثاني وقسطنطيوس وقسطانز وقسمت الإمبراطورية بينهم وفي عام ٣٤٠ م عقد مجمع انطاكية لدراسة أحوال المسيحيين في العالم كله وتقرر في ذلك المجمع إعادة صياغة دستور الإيمان ولكن الكنيسة المصرية رفضت ذلك وفي عام ٣٦١ م تولى حكم الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور جوليانوس وبمجرد

توليه العرش أعلن ارتداده عن المسيحية ودعوته إلى عبادة الآلهة التقليدية وحرّم ما كانت تقدمه الدولة الرومانية من إعانات للكنيسة ومنع إعفاء رجال الدين من الضرائب وحرّم المناصب الحكومية على المسيحيين ومنع الوصايا بالمال للكنائس ولكنه ترك للمسيحيين حق ممارسة شعائرهم الدينية فى الوعظ والتبشير وفى عام ٣٦٣م قتل أحد المسيحيين الإمبراطور جوليانوس واختار بدلا منه الإمبراطور جوفيان و أعلن الإمبراطور الجديد تمسكه بالديانة المسيحية على أساس الديانة التى يدعو إليها اثناسيوس من الوهية السيد المسيح بعد عودته من النفى من فرنسا وكانت المسيحية قامت على حقيقتين اساسيتين فى نظر البطريرك اثناسيوس :

١- لاهوت المسيح متحد مع ناسوتة أى الطبيعة الواحدة للسيد المسيح.

٢- وحدة الثالوث المقدس

وفى عام ٣٦٤ م تولى الحكم الإمبراطور فالنتيان الذى كان يؤمن بالمسيحية على أساس مبادئ اريوس أى عدم ألوهية السيد المسيح وفى عام ٣٧٨ م تولى حكم الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور جراتيانوس الذى كان يؤمن بالمسيحية عن مذهب اثناسيوس وكان أول أمر أصدره إلزم رعايا الإمبراطورية الرومانية باعتناق المسيحية على مذهب اثناسيوس وهو الطبيعة الواحدة للسيد المسيح " أى أن ناسوتة لم يفارق لاهوته لحظة واحدة ولا طرفة عين " وفى عام ٣٩٤م تولى حكم الدولة الرومانية الإمبراطور ثيودوسوس وزاد حماسة للديانة المسيحية فجعل مجلس الشيوخ الروماني يصدر تشريعا بإلغاء الوثنية فى جميع صورها وأشكالها فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية ووضع عقوبات صارمة لمن لم يصبح مسيحيا أو يردد عن دين المسيح وبذلك أصبحت الديانة المسيحية الدين الرسمى للدولة فى الإمبراطورية ومنها مصر .

الرابع عشر : فى عام ٤٣١م عقد مجمع افسس لدراسة أحوال المسيحية فى العالم والمشاكل التى تعترضها وكان به مانتان من الأساقفة الذين أمروا بعزل نسطوريوس بطريرك القسطنطينية الذى كان يردد تعاليمه بأن السيدة العذراء بشر وليست أم إله طبقا لتعاليمه بأن للمسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية وذلك عكس ما تراه الكنيسة المصرية التى تتادي بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح .

الخامس عشر : فى عام ٤٤٢م بدأ الصراع بين الكنائس الرئيسية فى العالم الأولى كنيسة الإسكندرية تطالب بفرض سيطرتها على العالم المسيحى وفرض رأيها بأن

المسيح له طبيعة واحدة والثانية كنيسة القسطنطينية تطالب بسيطرتها على كنائس العالم لأن القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية الجديدة والثالثة كنيسة روما تطالب بسيطرتها على المسيحية في العالم ولذلك عقد أخطر مجمع في تاريخ المسيحية لدراسة أحوال المسيحية والمشاكل التي تقابلها وهو مجمع خليقدونية ومدينة خليقدونية مدينة تقع بالقرب من القسطنطينية وذلك لحسم المسائل الخلافية بين الكنائس الرئيسية المتعلقة بالكنيسة المسيحية وقد حضره ٦٣٢ أسقفا في جميع أنحاء العالم وكانت كنيسة روما تتادي بأن السيد المسيح له طبيعتان دون اندماج بينهم وهي الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية أما الكنيسة الشرقية في الإسكندرية برئاسة البطريرك ديسفورس كانت تتادي بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وقرر مجلس خلقيدونية أهم قراراته في تاريخ المسيحية بأن السيد المسيح له طبيعتان إلا أن كنيسة مصر والشام رفضت ذلك فانفصلت كنيسة الإسكندرية مكونة الملة الارثوذكسية عن كنيسة روما مكونة الملة الكاثوليكية وظهر لأول مرة في تاريخ المسيحية ملتان الملة الارثوذكسية في مصر والملة الكاثوليكية في روما وهي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وحيث أن الإمبراطورية الرومانية تستعمر مصر فكان النزاع الدموي للأقباط الارثوذكسي في مصر والشام وبعد ذلك قررت كنيسة الإسكندرية استخدام اللغة القبطية في طقوسها وهي اللغة المصرية القديمة.

السادس عشر: وقد ضغط الرومان على البطريرك بروتيوس بطريرك الإسكندرية الخامس والعشرين لفرض قرارات مجمع خليقدونية التي تتادي بالطبيعتين للسيد المسيح ولكن الشعب المسيحي في مصر رفض ذلك وقام بقتل البطريرك واختار البطريرك السادس والعشرين تيموتادوس في عام ٤٧٥م وفي عام ٤٧٦م انتهت الإمبراطورية الرومانية بعد أن تغلب عليها اوروكر زعيم القبائل المتبربرة على رومولوس آخر أباطرة الغرب وتم احتلال روما واسقط إمبراطوريتها وأطلق زعيم البربر على نفسه لقب البطريرك وبقيت الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية ويتبعها مصر إحدى الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية وحاول الإمبراطور في عام ٥٢٦م العمل على توحيد العقيدة الدينية في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية على أساس قرارات مجمع خليقدونية وعين في الإسكندرية البطريرك بولس الذي كان يؤمن بالطبيعتين للسيد المسيح على خلاف معتقدات الشعب المسيحي في مصر فأدى ذلك إلى ثورة الأقباط الارثوذكس عليه وسقط

الألوف من الضحايا حيث قام الجنود الرومان بقتل المتظاهرين لذلك كان أهل الإسكندرية يطلقون على البطريرك الجديد بولس اسم يهوذا الخائن وقد أمر البطريرك الجديد بغلق الكنائس التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وحدث الصدام الدموي بين جنود الإمبراطورية الرومانية لتنفيذ أوامر الإمبراطور وبين المسيحيين وقد أخذ الجنود الرومانيون في ذبح المسيحيين وقتلهم داخل الكنائس في مصر حتى وصل عدد القتلى إلى مائة ألف قتيل حيث أصر المسيحيون أن يكون بطريركهم هو البطريرك تيودسيوس البطريرك الثالث والثلاثون الذي يؤمن بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح.

السابع عشر: في عام ٥٤٠م بدأت الحرب بين جيوش الدولة البيزنطية وجيوش الدولة الفارسية بقيادة كسري ملك الفرس وقد حول الإمبراطور جوستيان الأديرة المسيحية إلى حصون عسكرية لتحمي الطرق المؤدية إلى مصر عبر سيناء وفي عام ٥٥٣م عاد الإمبراطور جوستيان إلى الإيمان بمبدأ الطبيعة الواحدة للسيد المسيح على طريقة أهل مصر وترك مذهب الطبيعتين.

الثامن عشر: في عام ٥٧٠م ولد الرسول ﷺ في مكة وقد استعرضنا أحوال الأقباط الأرثوذكس في مصر من المذابح البشرية للأقباط الأرثوذكس لرفضهم اتباع الديانة الكاثوليكية في تعاليمها وفي عام ٦١٠م تولى حكم الإمبراطورية الرومانية البيزنطية هرقل في نفس السنة التي بدأ نزول الوحي على الرسول ﷺ وفي عام ٦١٩م سقطت مصر في يد الفرس الذين فرضوا على الأقباط الأرثوذكس والمصريين جميعاً ضرائب باهظة وفي عام ٦٢٧م استطاع هرقل أن يهزم الفرس ويجلبهم عن مصر وهكذا عادت الجيوش البيزنطية للدولة الرومانية الشرقية إلى مصر مرة ثانية ليبدأ موجات التعذيب في مصر للأقباط الأرثوذكس من جديد .

التاسع عشر: في عام ٦٣١م حاول هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية أن يوحد العقيدة المسيحية مرة أخرى في جميع الولايات التابعة لإمبراطورية حسب المذهب الأريوس ذي الطبيعتين للسيد المسيح وأرسل حاكم جديد هو المقوقس الذي قام باضطهاد المسيحيين من جديد لتغيير عقيدتهم الأرثوذكسية فقام بإحراقهم أحياء وانتزاع أسنانهم لدرجة أن شقيق الأنبا بنيامين بطريرك الأقباط الأرثوذكس في الإسكندرية قام الجنود الرومان بحرق أخية متياس وأشعلوا فيه النار حياً لرفضه الاعتراف بقرارات الإمبراطور هرقل الجديد ويجمع جميع المؤرخين أن هذه

الحماقات من جانب المقوقس جعلت الأقباط في مصر يكرهون حكم الدولة البيزنطية وكانوا يصلون أن ينجوا من شرور الجنود الرومان ولشدة الاضطهاد من جنود الرومان هرب البطريك الانبانيامين وترك مدينة الإسكندرية وهرب للصعيد بعد أن رأي ما حدث لأخيه وللاقباط الأرثوذكس وفي هذا الجو المأساوي الدموي حيث تذكر كتب التاريخ القبطي أن دماء الأقباط الأرثوذكس كانت تصل إلى ركب الخيول للجنود الرومان وفي عام ٦٣٩م أتى عمرو بن العاص بجيشة إلى مصر ومعه حوالي أربعة آلاف مقاتل وفتح مصر في هذا الجو المأساوي الذي يعيش فيه الأقباط الأرثوذكس من ويلات القتل والعذاب على يد الجنود الرومان وقد عقد الأمان مع المقوقس في نوفمبر ٦٤٢م بدفع الجزية أو ضريبة الدفاع على أن تقوم القوات الإسلامية بحماية المسيحيين ويسمح لهم بمباشرة عقائدهم الدينية وأصدر عمرو بن العاص بكتاب أمان للانبانيامين بطريك الأقباط الثامن والثلاثين الذي كان هارياً في الصعيد بالعودة ونص عهد الأمان الآتي "أيما كان بطربريك الأقباط بينامين نعهده بالحماية و الأمان وعهد الله الاقليات البطريك هي هنا في أمان واطمئنان لتولى أمر ديانته ويرعى أهل ملته " ودخل الأنبا بنيامين الإسكندرية في احتفال شعبي بعد أن ظل مختفياً في الصحراء في الصعيد لمدة ثلاثة عشر عاماً.

العشرون : بعد ذلك الإستعراض التاريخي من واقع أمهات الكتب المسيحية لا يستطيع أحد أن يؤيد ما يقوله المستشرقون بأن الإسلام انتشر بحد السيف في مصر بل الحقيقة أن أهل البلاد من الأقباط الأرثوذكس في مصر كانت لديهم رغبة قوية في هزيمة الجيوش البيزنطية الرومانية لذلك قام الأقباط الأرثوذكس بإرشاد قوات عمرو بن العاص في كل تجولاتها في مصر لتخلصهم من حمامات الدم والمقابر الجماعية التي كانت ينصبها الجنود الرومان للأقباط الأرثوذكس في مصر والشام.

الحادي والعشرون : لقد وصل تسامح عمرو بن العاص مع الجنود الرومان البيزنطيين وأعدائه انه نص في عقد الأمان المبرم مع قيرس أو المقوقس كما يطلق عليه أهل مصر الذي أبرم في عام ٦٤٢م انه سمح للجيش البيزنطي بالانسحاب من مصر وان يحمل جنوده أمتعتهم و أموالهم وأن يتعهد المسلمون الا يتعرضوا للكنايس الخاصة بهم هل يوجد تسامح اكثر من ذلك أن تترك أعداءك يخرجون أمام عينيك بأمتعتهم واسلحتهم وأنت تعلم مقدما انهم سوف ينظمون أنفسهم مرة

أخرى لمقاتلتك وقتل الجيوش الإسلامية ولكنها تعاليم الإسلام عندما تبرم عقد الأمان يجب الالتزام به وان القتال ليس هدفا لذاته بل هو خطوه للدفاع عن النفس ولتأمين الدولة الإسلامية الحديثة .

الثاني والعشرون : أن المسيحيين في مصر تلقوا أشكال العذاب بكل أنواعه على يد الدولة الرومانية ولم تضع الدولة البيزنطية أمامهم الا خيارين الأول هو عبادة الأوثان أي عبادة الإمبراطور والخيار الثاني هو القتل وبعد أن أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة البيزنطية وضعوا المسيحيين في مصر أمام خيارين اثنين الخيار الأول القتل والخيار الثاني هو ترك عقائدهم الأرثوذكسية في الديانة المسيحية واتباع العقائد الكاثوليكية التي يرفضونها واستشهدوا في كل العصور من اجل عقائدهم الأرثوذكسية . لذلك حينما اتى عمرو بن العاص وعرض تخليصهم من عذابهم على أن يدفعوا الجزية أو ضريبة الدفاع مقابل الدفاع عنهم وتخليصهم من ظلمه الدولة الرومانية على أن يباشروا عقائدهم الدينية بحرية تامة حسب معتقداتهم الدينية في طبيعة السيد المسيح رحبوا بذلك .

الثالث والعشرين: بينما يري المؤلف أن أهم شئ في مبادئ الشريعة الإسلامية التي تطبق على غير المسلمين بعد دخول عمرو بن العاص هو حرية العقيدة لغير المسلمين في مصر تطبيقا لمبدأ لا إكراه في الدين الوارد في القرآن الكريم دستور المسلمين وعلى ذلك تطبق على غير المسلمين وفوق ذلك غير المسلمين وفي مصر شرائع ملتهم في نطاق الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق لانها مسائل مرتبطة بالعقائد وشرائع الملة وخاصة أن الشريعة الإسلامية يحكمها مبدأ واتركوهم لما يدينون وترك مسائل الأحوال الشخصية لشرائع ملل غير المسلمين المسلمين متساوون في الحقوق والواجبات أعمالا للمبدأ الإسلامي ولهم ما لنا وعليهم ما علينا " ولأهل الكتاب ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وأهم من ذلك كله مبدأ لا إكراه في الدين ويعنى ذلك عدم إكراه أقباط مصر في المجتمع الإسلامي على ترك ديانتهم من اجل اعتناق أي ديانة أخرى وقد بنيت كنائس كثيرة بعد دخول الإسلام مصر في القرن الأول الهجري مثل كنيسة مار مرقص بالإسكندرية في العام التاسع والثلاثين للهجرة كما بنيت أول كنيسة في القسطنطينية التي أنشأها عمرو بن العاص في حارة الروم في وقت ولاية مسلمة بن مخلد على مصر في العام السابع والأربعين للهجرة..

الرابع والعشرون : بموجب عقد الأمان بين عمرو بن العاص والمقوقس فرض على كل قبلى ديناران ويعفى منها اكثر من ٧٠% من الأقباط الأرثوذكس حيث يعفى منها القصر والنساء والشيوخ والعجزة و أصحاب الأمراض والرهبان وهذا مبلغ ضئيل جداً إذا قارناه بالضرائب التى كان يحصل عليها الحاكم الروماني وناهيك عن المجازر الجماعية التى كان ينصبها الجنود الرومان للأقباط الأرثوذكس ولكن فى عهد عمرو بن العاص بعد ان دخل مصر الوضع اختلف مع الأقباط الأرثوذكس ومن الأمثلة الشهيرة قصة القبلى المصرى مع عمرو بن العاص والى مصر حيث ضرب ابن عمرو بن العاص ابن القبلى بالسوط وقال: أنا بن الاكرمين فما كان من القبلى إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى المدينة وشكا إليه فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه وأعطى السوط لابن القبلى وقال له اضرب ابن الاكرمين فلما انتهى من ضربه التفت إليه الخليفة وقال له أدرها على صلعة عمرو بن العاص فانما ضريك بسطانه فقال القبلى إنما ضربت من ضربنى ثم التفت الخليفة إلى عمرو بن العاص وقال كلمته الشهيرة: ((يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحرارا)) لذلك فان الأقباط الأرثوذكس فى عهد الدولة الإسلامية شعروا بكرامتهم وإنسانيتهم عكس ما حدث لهم من إخوانهم المسيحيين البيزنطيين .

الخامس والعشرون : أقام عمرو بن العاص مدينة الفسطاط فى عام ٦٤٢م وانشأ أول جامع فى مصر عرف بجامع عمرو بن العاص وهو موجود للآن فى منطقة مصر القديمة وعلى بعد أمتار منها توجد اكبر الكنائس التى يعتز بها المسيحيون فى مصر وهى الكنيسة المعلقة التى ترممها الدولة الان فى عهد الرئيس مبارك بمبلغ خمسين مليون جنيه وقد قام الوزير فاروق حسنى وزير الثقافة بالانتهاء من ترميم الكنيسة وسوف تفتتح بحضور الرئيس مبارك بعد ترميمها وقد سبق أن قام الوزير فاروق حسنى بترميم جامع عمرو بن العاص أول مسجد بنى فى مصر واليوم يتم ترميم ضريح أبى حصيرة الحاخام اليهودي فى محافظة البحيرة وهو أثر يهودي لأن مبادئ الشريعة الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين نفس الحقوق والواجبات .

السادس والعشرون : وقد فتح عمرو بن العاص ولاية أفريقية وفتح برقة وطرابلس ومعظم سكانها من البربر الناقمين على الدولة البيزنطية بسبب المظالم وجباية الضرائب الباهظة ولذلك دخل برقة وطرابلس صلحا بعد أن عرضوا دفع الجزية

وهى اقل كثيراً من ضرائب الدولة الرومانية في مقابل حمايتهم و إعطائهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية بدلاً من وضعهم من قبل في ظل الدولة الرومانية البيزنطية وهى دخول المسيحية قصراً على مبدأ الكنيسة الكاثوليكية وبذلك عرض عمرو بن العاص على أهالي برقة وطرابلس الخيارات الثلاثة التى يقرها الإسلام القتال أو الإسلام أو دفع الجزية أو ضريبة الدفاع واختاروا الخيار الثالث وهو احسن حالا ألف مرة من فرض ضرائب باهظة بمعرفة البيزنطيين وإجبارهم على ترك دينهم إلى ديانات أخرى .

السابع والعشرون وبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية قسمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى خمس مناطق كبيرة والمناطق تقسم إلى ولايات المنطقة الأولى العراق وتضم ولايات ثلاث الأهواز والكوفة والبصرة والمنطقة الثانية هي فارس وبها خمس ولايات كستان ومكران وكرمان وطبرستان وخراسان والمنطقة الثالثة وبها ولايتان حمص ودمشق والمنطقة الرابعة فلسطين وبها ولايتان أيلة والرملة والمنطقة الخامسة أفريقية وبها ثلاث ولايات مصر السفلى وغرب مصر أما شبه الجزيرة العربية فابقى على تقسيمها كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه واستمرت اثنتا عشرة ولاية كما هي وهى مكة والمدينة والطائف وصنعاء وحضرموت وخولان وزبيد وموقع الجند ونجران وحرش والبحرين .

الثامن والعشرون : انشأ الدواوين في كل منطقة على النظم البيزنطية والفارسية وتم إنشاء ديوان الإنشاء (الرسائل) وديوان العطاء وديوان الخبز وديوان الجباية وهو ديوان الخراج والجزية وذلك بعد أن وردت الأموال الكثيرة على عاصمة الدولة الإسلامية المدينة المنورة وتم إنشاء بيت المال وهو أول وزارة مالية في الدولة الإسلامية وهذه تحتاج إلى أموال لاقامة المرافق العامة وينتفع بها المسلمون بعد دفع الزكاة وينتفع بها غير المسلمين فإذا لم يدفعوا الجزية سوف ينتفعون بها دون ان يدفعوا شيئاً فالجزية ضريبة للانتفاع بالمرافق العامة.

التاسع والعشرون: نظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البريد ليسهل عملية اتصال العاصمة في المدينة المنورة بالحكام في المناطق وقادة الجيوش في الأقاليم والولايات وقسم الطرق إلى محطات بريدية بين كل محطة والأخرى مسافة اثني عشر ميلاً وهى من المرافق العامة التى ينتفع بها المسلمون وغير المسلمون ينتفعون بخدمة البريد ومصاريفها من الزكاة الواجبة على المسلمين والجزية الواجبة على غير المسلمين .

الثلاثون: أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه السجون الخاصة بالمتهمين بعد أن كان هؤلاء يعزلون في المسجد وادخل نظام العسس للتجول والمراقبة ليلاً للحفاظ على الأمن وهي أول نواة لجهاز الشرطة وهي مرافق عامة ينتفع بها المسلمون وغير المسلمين.

الحادي والثلاثون: نظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبدأ الشورى فابقى إلى جانبه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ويستشيرهم في كل مسألة لا يوجد بها نص في القرآن أو حديث من السنة ولذلك منع الصحابة من مغادرة المدينة إلا بإذن حتى يتمكن من استشارتهم لدعم النظام الإسلامي على أساس الشورى طبقاً لما ورد في القرآن الكريم في سورة الشورى الآية (٢٨) **(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)** وكانت قمة الشورى وعمر بن الخطاب على فراش الموت فأوصى أن يكون الأمر شورى بعده في ستة أشخاص وهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص .

الثاني والثلاثون: أثناء صلاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في صباح يوم الأربعاء ٢٦ ذو الحجة في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة في ٦٤٤م طعنه أبو لؤلؤه فيروز الفارسي بخنجر ذات طرفين وصل إلى منزلة والدم يسيل من جرحه وحاول المسلمون القبض على القاتل ولما أيقن من القبض عليه طعن نفسه منتحراً وبذلك دفن أبو لؤلؤة فيروز الفارسي مع أخبار المؤامرة والدوافع إليها وقد مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ثلاثة أيام من طعنه ودفن في يوم الأحد أول محرم في العام الثالث والعشرين من الهجرة ٦٤٤م إلى جانب أبي بكر الصديق وكان عمرة خمساً وستين سنة وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وقد أرسى قواعد ونظم الدولة الإسلامية التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثالث والثلاثون: ويذكر ساويرس في كتابه "سير الاباء البطاركة" وهو أحد الكتاب المسيحيين المعروفين ((أنه كان من نتائج عودة الانبانيامين إلى كرسي البطريركية ان رجع كثير من المصريين إلى المذهب الأرثوذكسي بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لإضطهاد هرقل قيصر الروم وبعد ان تم لبنيامين لم شمل قومه من القبط اتجه إلى بناء ما كان هرقل قد هدمه من الكنائس والاديرة أي ان المذهب الأرثوذكسي بدأ

يستعيد مكانته في ظل الحكم العربي ولا عجب إذ عم السرور والفرح على أهل مصر جميعاً.)

الرابع والثلاثون : لم يكن تسامح المسلمين مع غير المسلمين دائماً الوارد في القرآن والسنة فقط مع النصارى واليهود وهم أهل الكتاب بل كان تسامح المسلمين مع المجوس اتباع زرادشت ومانى ومع صابئة الوثنيين ومع اتباع بوذا في الهند ومع الوثنيين من البربر فعاملوهم معاملة أهل الكتاب وقد ورد ذلك في القرآن الكريم فى سورة الحج الآية (١٧) (نَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أي ان الله هو الذى يفصل بين الجميع والمسلمون غير مكلفون بالضغط على أحد لتغيير دينه ولكنهم مكلفون بالافتناع فقط وعلى المتلقى الخيار .

الخامس والثلاثون: وصل غضب الأقباط الأرثوذكس فى مصر على الدولة الرومانية البيزنطية إلى حد الكراهية لانهم كانوا يحصلون منهم على ضرائب فوق طاقتهم فقد قال المؤرخ ملن فى كتابة تاريخ مصر فى عهد الرومان فقال أنهم فرضوا ضرائب على الرؤوس من الأقباط أي على كل نفس حيه وعلى الحيوانات والمنازل واكثر من ذلك فرضوا ضرائب على الأثاث الموجود داخل المنازل هذا خلاف الضرائب العادية على الزراعة والمحاصيل والتجارة ولكن وصلت ذروة الكراهية للدولة الرومانية عندما فرضوا ضرائب على الموتى بحيث لا يدفن أي ميت ولا يصرح بدفنه إلا إذا دفع ضريبة الموتى .

الباب الرابع

انتشار الإسلام في عهد عثمان بن عفان ؓ (ذو النورين)

عمر بن الخطاب ؓ وهو على فراش الموت أوصى أن يكون الأمر شورى بين ستة أشخاص وهم عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ومات عمر بن الخطاب بعد ثلاثة أيام من طعنة بالخنجر في المسجد ودفن في يوم الأحد أول محرم في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة ٦٤٤ م واجتمع أهل الشورى بعد وفاة عمر بن الخطاب ؓ ولم يتفق الستة وهم أهل الشورى على مرشح معين فقد اختلفوا ما بين عثمان بن عفان ؓ وعلى بن أبي طالب ؓ ثم اجتمع المسلمون في المسجد ووقف عبد الرحمن بن عوف تحت المنبر وباع عثمان بن عفان ثم باعه على بن أبي طالب ؓ والمسلمون جميعا في ٣ محرم من العام الثالث والعشرين من الهجرة في ٦٤٤م وعثمان بن عفان الخليفة الجديد هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن مناف بن قصي الأموي القرشي وقد ولد الخليفة الجديد بعد ميلاد الرسول ﷺ بخمس سنوات أي في عام ٥٧٥م وأمه هي أروى بنت كرز بن ربيعة وقد أسلم عثمان بن عفان ؓ على يد أبي بكر الصديق ؓ فلما زاد اضطهاد مشركي قريش للمسلمين كان عثمان بن عفان ؓ من أوائل المهاجرين إلى الحبشة (الهجرة الأولى) مع زوجته رقية ابنة الرسول واشترك في كل المواقع إلا موقعة بدر لاشتغاله بتمريض زوجته التي ماتت ودفنت في اليوم الذي انتصر فيه المسلمون ثم زوجه الرسول ﷺ بابنته الثانية أم كلثوم ولهذا لقب بذى النورين لزوجاه من ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم والتي توفيت الثانية في السنة التاسعة من الهجرة في عام ٦٣٠ م .

وأول عمل قام به عثمان بن عفان ؓ أن أرسل رسائل إلى كل الأمراء في الولايات التابعة للدولة الإسلامية يحثهم على طاعة الله ورسوله ﷺ واتباع تعاليم الإسلام وقد انتشر الإسلام في عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ ولكن بصورة محدودة بسبب الفتنة الداخلية التي عرفت طريقها للدولة الإسلامية.

وسوف نتناول هذا الباب وهو انتشار الإسلام في عهد الخليفة عثمان بن

عفان ؓ في ثلاثة فصول على النحو التالي :

- الفصل الأول : انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان ﷺ .
 الفصل الثانى : الفتنة داخل الدولة الإسلامية وأسبابها والنهاية .
 الفصل الثالث : رأي المؤلف فى انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان ﷺ .

الفصل الأول

انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان ﷺ

وسوف نتناول هذا الفصل فى ثلاثة مباحث تفصيلا على النحو التالى :

المبحث الأول : فتح سببلة عاصمة تونس .

المبحث الثانى : فتح قبرص .

المبحث الثالث : فتح طبرستان وأرمينية .

المبحث الأول

فتح سببلة عاصمة تونس

كانت ولاية أفريقية وهى تونس الان تمتد من مصر حتى طنجة على ساحل المحيط الأطلسي وكان يحكمها غريغوريوس بن نيكتياس وأمام زحف عمرو بن العاص واستيلائه على برقة وطرابلس صلحا قام غريغوريوس بتحسين المدن الأخرى فى ولاية أفريقية مثل قايس وصفاقص وقفصة لمنع الزحف العربى الإسلامى وزيادة فى التحصين قام بنقل عاصمة ولاية أفريقية (تونس) من قرطاجنة إلى سببلة فى السنة الرابعة والعشرين من الهجرة ٦٤٥م ليحتمى بقوة البربر ولكن عمر بن الخطاب ﷺ أمر عمرو بن العاص بالتوقف بعد برقة وطرابلس وما إن تولى الخلافة الخليفة الجديد عثمان بن عفان فكان أول عمل قام به عزل عمرو بن العاص وعين بدلا منه عبد الله بن سعد ليرسله فى حملة من عشرين ألف مقاتل ومعه عبد الله بن الزبير وكان الجيش البيزنطى المقابل بقيادة غريغوريوس يتكون من أكثر من مائة ألف مقاتل ومساندة بيزنطية والبربر له وبدأت المعركة ولكن القلة انتصرت على الكثرة وقتل غريغوريوس فى المعركة على يد عبد الله بن الزبير وتم افتتاح العاصمة سببلة وتوقفت المعارك بعد ذلك بعقد صلح بين عبد الله بن سعد وحاكم ولاية أفريقية الجديد الذى عينه أهل أفريقية

عليهم مقابل دفع الجزية أو ضريبة الدفاع مع حرية مباشرة عقائدهم الدينية وبعد ذلك توقف الزحف نحو الغرب في ولاية أفريقية لانشغال المسلمين بالفتنة الكبرى داخل الدولة الإسلامية .

المبحث الثاني

فتح قبرص

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى الولاة عن ركوب البحر لإدراكه أن المسلمون يحتاجون إلى خبرة وتجربة في الميدان البحري حيث أن بيزنطة وفارس يتفوقون على المسلمين في ذلك المجال واعتبر أن الأوان لم يحن لمواجهة هاتين الدولتين في البحر ولكن عثمان بن عفان رضي الله عنه اذن للولاة بركوب البحر فتوجه معاوية بن أبي سفيان لفتح الجزر المواجهة لسواحل الشام في البحر الأبيض المتوسط فاتجة إلى جزيرة قبرص في العام الثامن والعشرين من الهجرة ٦٤٩م وكان ذلك أول غزو بحري للمسلمين ضد قوات بيزنطية حيث الحروب مازالت دائرة بين الجيوش البيزنطية والجيوش الإسلامية كل منهم يريد التتكيل بالآخر لذلك ركب معاوية بن أبي سفيان السفن ومعه جيش كبير من ساحل الشام وقد صحبته زوجته أم حرام بنت ملحان و انتهت المعركة صلحا بدفع الجزية أو ضريبة الدفاع وقدرها سبعة آلاف دينار سنويا مقابل حمايتهم من بطش الدولة البيزنطية وحرية مباشرة عقائدهم بعد أن عرضوا عليهم الخيارات الإسلامية الثلاثة ولكن بعد فتح قبرص خشى البيزنطيون من تزايد القوة البحرية العربية الإسلامية فخرج إمبراطور الدولة البيزنطية قسطنطاز الثاني في خمسمائة مركب لتحطيم هذه القوة الوليدة في العام الحادي والثلاثين من الهجرة ٦٥٢م فاتجه بهذا الأسطول الكبير نحو ولاية أفريقية (تونس) فتصدي له عبد الله بن سعد والى مصر ومعه الاسطولان المصري والشامي وانتصر في موقعة ذات الصواري وقد سميت لكثرة المراكب التي اشتركت في المعركة حيث اشتبكت صواري السفن مع بعضها وهرب قسطنطاز بما تبقى من أسطوله وبذلك بدأ عصر سيطرة المسلمين على البحر ورغم أن مراكب المسلمين اقل بكثير من مراكب بيزنطية إلا أن الحماس وقوة الدوافع الداخلية للقوات الإسلامية غطت فارق عدد السفن .

المبحث الثالث فتح طبرستان وأرمينية

في العام الثلاثين من الهجرة ٦٥١م أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالسياسة العاص بالتوجه إلى طبرستان لحماية حدود الدولة الإسلامية وتم تجهيز الجيش للتوجه إلى طبرستان وكان يرافق سعد بن العاص الحسن والحسين وانتهى الموقف بقبول طبرستان الجزية أو ضريبة الدفاع وتوجه صيب بن مسلمة الفهري إلى مدينة أرمينية التابعة للدولة البيزنطية ومعه قوة من المقاتلين المسلمين عددهم حوالي ستة آلاف مقاتل ولكن أهل أرمينية وافقوا على الصلح ودفع الجزية أو ضريبة الدفاع مع جلاء القوات البيزنطية عنها ومعها أموالها وعدادها وبعد هذه الموقعة توقفت الفتوحات ومحاربة القوات البيزنطية شرقاً وغرباً بسبب الاضطرابات الداخلية في الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الفصل الثاني الفتنة داخل الدولة الإسلامية و أسبابها والنهاية

أولاً: بدأت بوادر الفتنة الكبرى عندما اجتمع مجلس الشوري المكون من ستة أشخاص الذين عينهم الخليفة عمير بن الخطاب رضي الله عنه قبل وفاته لاختيار الخليفة الجديد وقد انقسم أهل الشوري إلى من يؤيد عثمان بن عفان رضي الله عنه وفريق يؤيد علي بن أبي طالب واصبح الأمر بيد عبد الرحمن بن عوف لترجح كفة أحدهما وأعلن رأيه لصالح عثمان بن عفان رضي الله عنه ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه اعترض على ذلك مبرراً تحيز عبد الرحمن بن عوف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبب النزاع الذي كان قائماً قبل الإسلام بين بنى أمية وبنى هاشم ومن هنا بدأ النزاع داخل الدولة الإسلامية .

ثانياً: اتبع عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد توليه الخلافة سياسة التساهل واللين ولم يكن حازماً مثل الخليفة أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثالثا: كان الخليفة عثمان بن عفان ؓ طاعنا في السن وقد تجاوز السبعين من عمرة عند توليه الخلافة وكان غير قادر على السيطرة على أمور الدولة كما فعل من قبله من الخلفاء الراشدين .

رابعا: بعد حياة التقشف والزهد للمسلمين في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ؓ نظرا لتساهل عثمان بن عفان ؓ ظهرت حياة الترف والإسراف واقتناء القصور في الدولة الإسلامية فاقتنى كبار الصحابة القصور وتم اقتناء الجاريات الفارسيات والروم في حفلات المعنى والرقص والسهر .

خامسا: أكثر عثمان بن عفان ؓ من عزل الولاة وتولية آخرين من أقاربه من بنى أمية ممن أساءوا السيرة وخرجوا عن التقاليد الإسلامية المتعارف عليها التي كانت سائدة في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ؓ فعين عمه الحكم بن أبي العاص وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعين مكانة سعد بن أبي وقاص ثم عزله وعين مكانه الوليد عقبه بن أبي معيط وهو أخوه لأمه وكان مشهورا بشرب الخمر وعندما اضطر لعزله ولي مكانه سعيد بن العاص وهو من أقاربه فأساء إلى التقاليد الإسلامية واستبد بالأموال فاضطر ثانية لعزله بعد أن وجد أهل الكوفة يولون من أنفسهم أبي موسى الأشعري دون الرجوع للخليفة وكذلك عزل عمرو بن العاص على مصر وعين بدلا منه عبد الله بن سعد بن أبي السرح وهو أخوه في الرضاة فاستبد بأهل مصر ثم ولي بن خالة عبد الله بن عامر على البصرة بعد عزل أبا موسى الأشعري ومن ذلك يتبين أن عثمان بن عفان كان يعزل الولاة الأكفاء ويعين أقاربه وذلك لخلق سيطرة للأمويين وذلك أثار روح العداء ضده.

سادسا: كان عثمان بن عفان ؓ من أكبر تجار قريش وأكثرهم مالا ولكنه لم يسر في حياة الزهد مثل عمر بن الخطاب ؓ وأبي بكر الصديق ؓ ولكنه سار في حياة الترف والرفاهية ويلبس أفخر الثياب ويأكل أفخر الطعام ويشيد أسنانه بالذهب .

سابعا: قام عبد الله بن سبأ بخلق نار الفتنة بترويجه لدعوى أن علي بن أبي طالب ؓ كان قد وصى عليه الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء من الرسول ﷺ واخذ يعرض بتولية علي بن أبو طالب ؓ وعزل عثمان بن عفان ؓ وقد استجاب لهذه الدعوى أهل العراق لأن علي بن أبي طالب يتمتع بشعبية كبيرة لقرابته من الرسول ﷺ وأنه زوج ابنته فاطمة ولكن هذه الدعوى لم تتجح في الشام لسيطرة بنى أمية

على الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان والى الشام وقد لقيت هذه الدعوى استجابة لها في مصر خاصة بعد عزل عمرو بن العاص.

ثامنا: لما زادت الاضطرابات داخل الدولة الإسلامية وزادت المعارضة اجتمع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالولاية في ٣٤ هـ ٦٣٥ م وهم معاوية بن أبي سفيان أمير الشام وعمرو بن العاص أمير مصر وعبد الله بن أبي سعد بن أبي مسرى أمير ولاية أفريقية وسعيد بن العاص أمير الكوفة وعبد الله بن عامر أمير البصرة واستشارهم في كيفية مواجهة الاضطرابات وانقسام المسلمين ورجع الجميع إلى مناطقهم باستثناء سيعد بن العاص الذي أصر أهل الكوفة على عزله وتولية أبي موسى الاشعري وقد أجابهم الخليفة إلى مطالبهم رغماً عنه ونظراً لزيادة الاضطرابات داخل الدولة الإسلامية عرض معاوية بن أبي سفيان والى الشام أن يجهز جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل للبقاء في المدينة للدفاع عن الخليفة ولكن الخليفة رفض.

ثاسعا: قام الخليفة بعزل عمرو بن العاص رضي الله عنه والى مصر الكفاء في ٣٥ هـ / ٦٥٦ م وعين بدلا منه عبد الله بن سعد بن أبي المرح فزادت الاضطرابات وتم تدبير خطة للتخلص من عثمان بن عفان رضي الله عنه وتكاثف الثوار في مصر والكوفة والبصرة واتفقوا على الخروج في ثلاثة وفود يدعون لقتال عثمان بن عفان رضي الله عنه والسنزول حول المدينة المنورة لمحاصرته وكان وفد مصر برئاسة الخاققي بن حرب العكي ووفد الكوفة برئاسة عمرو بن الأصم ووفد البصرة برئاسة حرقوس بن زهير وحاصروا جميعا المدينة المنورة واستمر الحصار اكثر من شهر وكان كل وفد يضم ما بين خمسمائة إلى ألف مقاتل ولزم كثير من الصحابة بيوتهم ولم يرضخ عثمان بن عفان رضي الله عنه لمطالب الثوار بعزل الولاية جميعا أو خلع نفسه أو يقتلوه وطلب الخليفة النجدة من معاوية بن أبي سفيان في الشام ولكن النجدة تأخرت وزيادة من حدة الثوار انضمام بعض الصحابة من داخل المدينة إليهم وفي مقدمتهم طلحة والزبير والسيدة عائشة أم المؤمنين وحيث أن عدد الثوار أكثر من ألفي مقاتل وتأخرت الإمدادات من الشام لمساعدة الخليفة ولم يكن يدافع عن الخليفة أكثر من مائة شخص فدخل الثوار دار الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من خلال دار عمرو بن حزام الملاصقة لها حتى لا يصطدم الثوار بحرس الخليفة ودخلوا الدار دون أن يشعر بهم أحد واعتدوا على الخليفة بالطعن حتى توفي فألقت زوجته نائلة بنت

الغرامضة نفسها عليه لحمايته من اعتداء الثوار وطعنه فقطعت يدها وقد قتل الخليفة وقد تجاوز الاثني والثمانين من عمره في السنة ٣٥هـ / ٦٥٦ م بعد خلافة استمرت اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً

الفصل الثالث

رأي المؤلف في انتشار الإسلام في عهد عثمان بن عفان

أولاً: لم يكن انتشار الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان كبيراً لأن قدرته على السيطرة على الدولة الإسلامية لم تكن حازمة باتباعه سياسة اللين والمهادنة وخاصة لكبر سنه الذي تجاوز السبعين يوم أن تولى الخلافة ولم تكن شخصيته حازمة مثل شخصية عمر بن الخطاب وابي بكر الصديق

ثانياً: اتبع عثمان بن عفان قواديه في فتحه سبيل عاصمة ولاية أفريقية (تونس) وفي فتح قبرص وطبرستان وارمينية نفس الخط الإسلامي فعرض الخيارات الثلاثة إما القتال أو الإسلام أو دفع ضريبة الدفاع الجزية وقد انتهت جميع هذه الفتوحات باختيار الخيار الثالث وهو دفع الجزية مقابل حمايتهم من بطش الدولة البيزنطية التي أرهقتهم بدفع الضرائب على ان يقوموا بمباشرة عقائدهم الدينية بحرية .

ثالثاً: كان الخليفان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد تجنبنا اختيار على بن أبي طالب في الخلافة حتى لا تبقى الخلافة وراثية في بني هاشم ولا تخرج منها أبداً وانه لا وراثية في الخلافة الإسلامية بل هي شورى ومبايعة .

رابعاً: بالغ عثمان بن عفان في عزل الولاة وتعيين أقاربه وخلع القادة الأكفاء وتعيين أقاربه حتى يتم سيطرة بني أمية مما أثار روح العداء من القبائل الأخرى وأصبحوا يحاربونه .

خامساً: قد استعان الرسول بعثمان بن عفان في كثير من شئون المسلمين فكان سفيراً لدي قريش في السنة السادسة من الهجرة حين رفضت دخول الرسول مكة لاداء العمرة فلما ذاع نبا قتل قريش عثمان بن عفان بايع المسلمون الرسول بيعة الرضوان في المكان المعروف بالحديبية على مقربة من مكة وذلك

دليل على مكانة عثمان بن عفان ؓ لدى المسلمين ولدى الرسول ﷺ ولكن بعد وفاة الرسول تغير الوضع.

سادسا: كان عثمان بن عفان ؓ من أغنى أغنياء قریش ففى غزوة تبوك الشهيرة أمد المسلمين بتسعمائة وخمسين فرسا وألف دينار .

سابعا: الرسول ﷺ تزوج ابنته رقية لعثمان بن عفان ولما توفيت يوم انتصار موقعة بدر زوجة الرسول ابنته الثانية أم كلثوم من شدة حب الرسول ﷺ له ولذلك سمى عثمان بن عفان ؓ بذى النورين لزوجاه بابنتي الرسول ﷺ رقية و أم كلثوم.

ثامنا: وقد اشترى عثمان بن عفان ؓ بئر رومة من يهوديين بعشرين ألف درهم تصدق بها على المسلمين وقد أثر عن الرسول انه قال: ((من حفر بئر رومة فله الجنة)) كما أثر عن الرسول انه قال انه بشر عثمان بن عفان بالجنة وعده من أهلها وقال ((لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان)) وهذا يعطى دلالة على مدى حب الرسول ﷺ لعثمان ومدى تضحية عثمان من اجل نصرته المسلمين فى الدولة الإسلامية الأولى ولكن معارضى عثمان كان لهم أغراض شخصية .

تاسعا: بعد طعن عمر بن الخطاب ؓ خشى أصحاب الرسول ﷺ أن يقضى عمر بن الخطاب ؓ نحبه دون استخلاف أحد منهم فطلبوا منه استخلاف من يعقبه قال عمر بن الخطاب ؓ عليكم بهؤلاء الرهط الذي مات الرسول ﷺ وهو عنهم راض قال فيهم انهم من أهل الجنة علي بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن عمرو أوصى أن تكون الخلافة من الفريق الذي فى صفة عبد الله بن عمر فى حالة تساوي الأصوات فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فليكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وقال عمر بن الخطاب ؓ فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم فلما مات عمر بن الخطاب ؓ اجتمع هؤلاء الأشخاص فى بيت المور بن مخزومة بن طلحة واختلفوا فى تحديد الخليفة القادم وحتى ينهى عبد الرحمن بن عوف هذا المأزق خلع عبد الرحمن بن عوف نفسه من الخلافة وطلب من الباقيين موثيق أن يرضوا من يختاره لهم على ميثاق الله فاخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله ثم أخذ عبد الرحمن بن عوف يستشير الصحابة وأمرأه

البلاد وأشرف الناس فيمن يصلح أن يكون خليفة من بين هؤلاء فكان بعضهم يشير لعلی وبعضهم يشير لعثمان اللذين كانا محط أنظار الصحابة وأشرف المسلمين ومضى عبد الرحمن بن عوف يستأنس برأي الناس ثلاث أيام التي حددها عمر بن الخطاب ؓ لاختيار الخليفة التالي له ووقت صلاة الصبح في المسجد وامتلأ المسجد بالمسلمين قال لهم عبد الرحمن بن عوف عن " مبايعته لعثمان بن عفان ؓ بعد استشارة الجميع وكان هذا بداية الانقسام بين بنى هاشم الذين منهم علي بن أبي طالب وبنی أمية الذين منهم عثمان بن عفان وهي بداية الخلافات في الدولة الإسلامية الأولى حيث انقسم المسلمون بعد ذلك إلى هاشميين (علويين) وأمويين وكان العلويون أو الهاشميون يمثلهم علي بن أبي طالب والأمويون يمثلهم عثمان بن عفان ؓ لذلك ضعفت الدولة الإسلامية في فترة عثمان بن عفان ؓ ومن بعده علي بن أبي طالب ؓ.

عاشرا: لم يقطع استخلاف عثمان بن عفان ؓ الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام وان كانت قليلة ليست مثل الذي قبله عمر بن الخطاب ؓ فقد فتحت في عهد عثمان بلاد أرمينية وولاية أفريقية وقبرص ووطد المسلمون نفوذهم في بلاد الفرس التي حاولت ترك الدولة الإسلامية بعد وفاة عمر بن الخطاب ؓ نتيجة الخلاف بين بنی أمية والعلويين وأعادوا بلاد طبرستان وخرسان وطخارستان واذريجان صلحا.

الحادي عشر : كان معاوية بن أبي سفيان ؓ على ولاية الشام منذ أيام الخليفة عمر ؓ وتركه عثمان بن عفان وقد انشأ ذلك الوالي أسطولا حارب به البيزنطيين لأول مرة في تاريخ الإسلام وفتح به جزيرة قبرص وجزيرة رودس وهكذا بدأ دخول الإسلام في حرب الأساطيل في المياه وركب المسلمون لأول المرة السفن أثناء الحروب بعد ان كان يحرمها عليهم عمر بن الخطاب ؓ.

الثاني عشر : كانت مصر في عهد عمر بن الخطاب ؓ يتولى الولاية عليها عمرو بن العاص ولكن عمر بن الخطاب ؓ لم يرض بمقدار الخراج الذي جباه عمرو بن العاص فأرسل عبد الله بن سعد بن أبي السرح ليقاسم عمر وبن العاص في ولاية الصعيد ولكن عندما تولى الخليفة عثمان بن عفان ؓ الخلافة قام بعزل عمرو بن العاص بعد أن تولى ولاية مصر أربع سنوات وشهرا وولى بدلا منه عبد الله بن

سعد بن أبي السرح لذلك كان على عمرو بن العاص ان يؤلب الناس على عثمان بن عفان ﷺ وسياسته .

الثالث عشر: بعد أن استقر عبد الله بن سعد بن أبي السرح في ولاية مصر وخرج عمرو بن العاص قام الروم في الإسكندرية و أرسلوا إلى الإمبراطور قسطنطين بن هرقل يهونون ويسهلون عليه فتح الإسكندرية لقلعة الحامية التي بها من المسلمين فأرسل الإمبراطور قائده الأرمني مانويل إلى الإسكندرية على رأس جيش بيزنطي واستولى على الإسكندرية ولم يرض الأقباط الأرثوذكس في مصر بعودة بلادهم إلى الروم حتى لا يعودوا إلى اضطهاد الروم مرة أخرى وخاصة في ظل الخلاف المذهبي بين الأرثوذكسية والكاثوليكية الذي كان مصدر شقائهم وتعاستهم فأرسل الأقباط الأرثوذكس إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يلحون في اسناد حروب البيزنطيين الذين احتلوا الإسكندرية إلى عمرو بن العاص ورغم علم الخليفة أن عمرو بن العاص ﷺ يؤلب الناس ضده إلا أن المصلحة العليا للدولة الإسلامية فوق الخلافات الشخصية فوافق على إرسال عمرو بن العاص على رأس جيش لمحاربة القوات البيزنطية وفي مدينة نيقوس بالقرب من الإسكندرية دار القتال بين جنود المسلمين بقيادة عمرو بن العاص و جنود البيزنطيين بقيادة الأرمني مانويل وانتصرت جيوش المسلمين بعد معركة ضارية وثبت عمرو بن العاص أقدام العرب في مصر من جديد في العام الخامس والعشرين من الهجرة وهذا يؤكد بدلالة قاطعة أن الأقباط الأرثوذكس في مصر كانت مصلحتهم مع العرب المسلمين وليست مع المسيحيين الذين أذاقوهم العذاب أشكالا وألوانا على يد الجنود البيزنطيين .

الرابع عشر: كان عثمان بن عفان ﷺ نقي السريرة وحليما متواضعا رقيقا بالناس ليس له في ألاعيب السياسة ولكنه صارم ولكن مما يؤخذ على عثمان بن عفان ﷺ انه كان سريع التأثر بأحاديث الناس وكان زمامه بيد أقاربه ولا سيما مروان بن الحكم حيث تعدى السبعين من عمره وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (كان عثمان شيخا كبيرا ضعيف الارادة فلم يستطع الاضطلاع بأعباء الحكم رغم نزاهته وفضائله الكثيرة فقد أثار بسياسة الضعف التي سار عليها وانحيازة إلى ذوي قرباه ومحاباتهم كراهة أهل المدينة وكثيرين من أهالي الامصار الإسلامية فقام المسلمون بقتله في أواخر السنة ٣٥ هجرية) .

الخامس عشر: سبق أن ذكرنا بعد انتهاء حرب الردة في زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد حدث أن توفي كثير من الصحابة والذين كانوا يحفظون القرآن وخوفاً من موت صحابة جدد أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقوم بجمع القرآن فأمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت بهذه المهمة وذلك بمساعدة سالم مولى أبي حذيفة وعلى بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومعاذ بن جبل و أبي بن كعب رضي الله عنهم وضعت النسخة الأولى للقرآن الكريم وبذلك جمع القرآن الكريم في مصحف واحد ولكن في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه تعددت النسخ في الولايات الإسلامية وظهر اختلاف القرآن في الشام عنه في العراق عنه في مصر وحتى لا يختلف المسلمون في القرآن دستورهم الذي يخطط حياتهم الدينية والدنيوية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه زيد بن ثابت مرة ثانية بإحضار أول نسخة من القرآن تم وضعها في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وكانت هذه النسخة موجودة في حيازة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاته وعرضت وتم مقارنة هذه النسخة مع نسخ القرآن الموجودة في جميع الأقطار الإسلامية وخرجت النسخة المتعارف عليها حتى الآن وهي مصحف عثمان وأرسلت هذه إلى جميع الأقطار في الدولة الإسلامية وتم إحراق جميع النسخ الموجودة في الدولة الإسلامية عدا مصحف عثمان وجمع القرآن الكريم في ١١٤ سورة منها ٨٦ سورة نزلت بمكة تعرف بالمكية و٢٨ سورة نزلت في المدينة تعرف بالمدينة ونزل القرآن كله في ٦٠٢٦ آية ويتكون القرآن من ٧٧٨٨٤٥ كلمة وهذه الكلمات تتكون من ٣٣٠٧٣٣ حرفاً .

الباب الخامس

انتشار الإسلام في عهد علي بن أبي طالب ؑ

ولد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي قبل البعثة بعشر سنين وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وقد أسلمت وهاجرت مع الرسول ﷺ وكان أبو طالب والد علي كثير العيال وقد سأل الرسول عمه العباس أن يخفف عن كاهل أبي طالب مشقة العيش وأن يعمل بعض أولاده فذهب الرسول وعمه العباس إلى أبي طالب وعرض عليه المساعدة فقبل فضم العباس جعفرأ وضم الرسول ﷺ عليا ولما بعث الرسول ﷺ كان علي أول من آمن به من الصبيان ولم يجاوز عمرة الثالثة عشرة وقد بات علي في موضع الرسول ﷺ على فراشة في ليلة الهجرة من مكة إلى يثرب بعد أن ادى الودائع التي كانت عند الرسول لاهلها وقد تزوجه الرسول من ابنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة وولدت له الحسن والحسين واشترك في جميع المواقع والغزوات التي خاضها الرسول ﷺ عدا موقعة تبوك لأن الرسول ﷺ خلفه على المدينة ولما توفي الرسول ﷺ قام علي بتجهيزه ودفنه واشترك معه العباس بن عبد المطلب وقتل بن العباس وأسامة بن زيد وكان علي بن أبي طالب يرى انه أحق الناس بالخلافة لأنه من أسبق المسلمين في الإسلام واقرب الناس إلى الرسول ﷺ نسبا وصهرا وكان أبو بكر الصديق ؓ دائما يستشيره في أهم الأمور وقد اختاره عمر بن الخطاب ؓ من أهل الشوري الستة الذين رشحهم عمر للخلافة ولما تم اختيار عثمان بن عفان ؓ للخلافة بايعة حتى لا يتفرق المسلمون.

وكان علي بن أبي طالب ؓ معروفا عنه العدل وكان يوقر القضاء ويعطى القضاة احترامهم لأنهم الضمان للمسلمين وغير المسلمين. فذات يوم ضاع درع علي بن أبي طالب ؓ فوجدها عند رجل نصراني فاختمها إلى القاضي شريح قال علي " الدرع درعي " ولم أبع ولم أهب فسأل القاضي الشخص الآخر النصراني عن رأيه فيما يقوله الخليفة علي بن أبي طالب فقال النصراني ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب فالتفت القاضي شريح إلى الخليفة علي بن أبي طالب وسأله هل لك من بينة فقال له " مالي من بينة " وقضى القاضي شريح بالدرع لصالح اليد عليها فأخذها الرجل النصراني ومضى . وكان الاشر

النخعي ومن معه أول من بايع علياً بالخلافة ثم بايعه طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وهما من أهل الشوري الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرغب في الخلافة بعد مقتل عثمان ولكنه قبل حتى لا يختلف الناس في أمرهم وقد امتنع عدد من الصحابة عن مبايعة علي بن أبي طالب وأولهم سعد بن أبي وقاص وهو من أهل الشوري الستة وغيره آخرون.

ولكن تمت مبايعة علي بالأغلبية بعد أن تخلف بعض الصحابة الذين كانوا بالمدينة وتخلف بنو أمية وقد بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس وذلك يوم الجمعة في الثالث عشر من ذي الحجة في العام الخامس والثلاثين من الهجرة . ٦٥٦ م .

وسوف نتناول هذا الباب " انتشار الإسلام في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه تفصيلاً في ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول: المشاكل التي قابلت علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الفصل الثاني: الحروب بين المسلمين والمسلمين والنهاية .

الفصل الثالث: رأي المؤلف في انتشار الإسلام في عهد علي بن أبي

طالب .

الفصل الأول

المشاكل التي قابلت علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المشكلة الأولى: الولاة الذين عينهم عثمان رضي الله عنه على الأمصار كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه معروفاً عنه الشدة في الحق وعدم المهادنة فيه لذلك قرر عزل الولاة الذين ولاهم عثمان بن عفان رضي الله عنه والذين كانوا مثار الفتنة وسبب خروج الثوار عليه ولم يصغ لنصيحة بعض الصحابة له وهم المغيرة بن شعبه بإقرار الولاة الذين عينهم عثمان حتى تأتية بيعتهم وتهدأ الفتنة وبعدها يعزل من يشاء ولم يأخذ بنصيحة ابن عباس وتقضى بالجوء لخداع معاوية بن أبي سفيان الذي بدأ يخطط لنيل الخلافة بعد موت عثمان بحيث يحتفظ بها الأمويون لذلك أشار عليه أن يثبت معاوية على إمارة الشام والحقيقة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يريد إدارة الدولة الإسلامية كما فعل الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

لذلك كان أول شيء فعله استرداد الإقطاعات التي كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قدّمها لبعض بطانته وأقاربه وضمها لبيت المال واتبع في توزيع بيت المال القواعد التي سنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أثار ذلك الولاة الذين أثاروا في عهد عثمان ولذلك رفض معاوية بن أبي سفيان تنفيذ أوامر الخليفة ونشر لواء العصيان ضد الخليفة وبعد ذلك قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتعيين ولاءه على الأمصار المختلفة وعزل الولاة الذين عينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه م فولى عبد الله بن عباس على اليمن وعثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وسهل بن حنيف على الشام وقيس بن سعد بن عباد على مصر ولم يستمع إلى أوامر الخليفة إلا في مصر حيث بايع أهل مصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولكن بقية الولاة لم يتمكنوا من الأمصار التي عينوا بها فلم يستطع سهل بن حنيف دخول الشام بدلا من معاوية بن أبي سفيان فقد رده وعاد للمدينة ولم يستطع عمارة بن شهاب دخول الكوفة فردّه واليهما القديم طلحة بن خويلد وعاد الاثنان لتبدأ أول فتنة من هذا النوع في الدولة الإسلامية بعدم تنفيذ أوامر الخليفة .

المشكلة الثانية: المطالبة بأخذ الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه فكان النعمان بن بشير قد خرج من المدينة ومعه قميص عثمان به دماؤه ومعه أصابع نائلة زوجة عثمان التي قطعت وهى تدافع عنه وتوجه بهما إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام فوضعه معاوية على المنبر في المسجد ليراه الناس وعلق الأصابع في كم قميص عثمان والأخذ بدم عثمان فاعتذر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلل ذلك للصحابة بإقامة الحدود مدد وأعوان وإن الوقت لم يحن بعد وذلك سوف يؤدي إلى حرب أهلية بين القبائل وفي ذلك الوقت العصيب قام الزبير وطالب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بإمارة الكوفة وطالبه طلحة بإمارة البصرة ليأتوا الجنود فيقوي بهم لمحاربة معاوية بن أبي سفيان ولكن علياً رفض توليتهما على الكوفة والبصرة لذلك توجهوا إلى مكة وانضموا إلى السيدة عائشة أم المؤمنين التي كانت تطالب بدم عثمان كما يفعل معاوية بن أبي سفيان في الشام وبذلك انقسم المسلمون إلى حزبين :

أولاً: الحزب الهاشمي ويدعم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعتمد علي بنى هاشم ومن يناصرهم وهم العلويون.

ثانيا : الحزب العثماني ويضم بنى أمية والناقمين على خلافة علي بن أبي طالب ﷺ فقد سماوا العثمانية لانها تطالب بدم عثمان أي الثأر من قتلته.

الفصل الثاني الحروب بين المسلمين والمسلمين والنهاية

كان الكثير من المسلمين يطالبون بدم عثمان والثأر من قتل عثمان وقد عرضوا ذلك على الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ولكنه رفض بحجة أن الوقت لم يحن بعد والمناخ غير مهيب لذلك وأن ذلك سوف يشعل نار الفتنة وبعد ذلك ظهر تصاعد أعداد المطالبين بدم عثمان وكان على رأس هذا الاتجاه أم المؤمنين عائشة والتف حولها الكثير من الصحابة والقادة والأمراء وإزاء تردد الخليفة في الأخذ بدم عثمان خرجت عائشة أم المؤمنين في جماد الثاني ٣٦هـ ومعها طلحة والزبير ومعهم الكثير من المطالبين بدم عثمان خرجوا من مكة والمدينة وكانوا عددهم حوالي ثلاثة آلاف شخص للتوجه إلى البصرة حيث قتل عثمان للانتقام منهم واخذ الثأر لدم عثمان وكانت عائشة أم المؤمنين تركب في هودج على جمل اسمه عسكر والهودج هو خيمة على جمل وهزم هذا التجمع عثمان بن حنيف والى البصرة وأخذوه أسيرا وسيطرت عائشة أم المؤمنين ومن معها من الصحابة على البصرة وتولى عبد الرحمن بن أبي بكر بيت المال وسيطر طلحة والزبير على البصرة وقتلوا قتل عثمان في موقعة تعرف باسم موقعة الجمل وهو الجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة وبذلك ظهرت سلطة هؤلاء المطالبين بدم عثمان في مخالفة أوامر الخليفة لذلك كان علي الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ أن يتحرك بسرعة للقضاء على الفتنة قبل أن تسود الدولة الإسلامية فجهز حملة عسكرية لاختماد الفتن واستخلف قنم بن العباس على المدينة ثم توجه بقوات المسلمون معه محمد بن أبي بكر وكانت حملته تتألف من حوالي عشرين ألف مقاتل في حين جمع طلحة والزبير من البصرة وغيرها حوالي ثلاثين ألف مقاتل وكادت الجيوش الإسلامية تواجه الجيوش الإسلامية في مواجهة دامية ولكن علي بن أبي طالب ﷺ دعا إلى الصلح حتى لايقاتل المسلمون إخوانهم المسلمين فأصغى الزبير وانسحب من المواجهة وانسحب ومضى نحو البصرة ولكنه قتل غداً بمنطقة وادي السباع

وأمر الخليفة محمداً بن أبي بكر بن يوصل أخته عائشة أم المؤمنين إلى المدينة المنورة ولكن المعركة الدامية دارت بين الفريقين المسلمين يقتلون بعضهم برئاسة طلحة في مقابلة جيش علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن طلحة قتل بسهم في المعركة وانتهت هذه المعركة بانتصار قوات علي بن أبي طالب عليه السلام وقتل في المعركة حوالي عشرة آلاف من الفريقين وبعد ذلك توجه الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الشام للقضاء على معاوية بن أبي سفيان الذي انفصل عن الدولة الإسلامية بالشام ورفض مبايعة الخليفة الجديد بهدف حكم الشام مستقلاً ثم الحصول على الخلافة لنفسه وقد وصل الخليفة بجيش قوامه حوالي ثمانين ألف مقاتل إلى منطقة يقال لها سور الروم في ٣٧ هجرية في ٦٥٨م لتبدأ معركة بين قوات الخليفة وقوات معاوية بن أبي سفيان لتستمر عشرة أيام وكادت قوات الخليفة تهزم قوات معاوية ولكنه إنقاذاً للموقف وخوفاً من الهزيمة لجأوا إلى حيلة أوصى بها عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان بأن ترفع قوات معاوية المصاحف على أسنة الرماح والدعوة إلى كتاب الله حكماً بينهم لوضع علي بن أبي طالب عليه السلام في موقف محرج وبهذه الحيلة والخداع قبل الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام التحكيم بعد أن كاد ينتصر في المعركة على قوات معاوية ويقبول الخليفة مبدأ التحكيم ضعف مركز الخليفة في مواجهة معاوية وتسمى هذه الموقعة بموقعة صفين وقد اختار الخليفة أبي موسى الأشعري ممثلاً له واختار معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص ممثلاً له وكتبت صحيفة التحكيم يوم الأربعاء ١٧ صفر من السنة السابعة والثلاثين من الهجرة واتفق الطرفان على موعد اجتماع الحكّمين في رمضان في دومة الجندل ومع كل من الحكّمين أربعمائة في أصحابه من هذا العام أو العام القادم الذي بعده وعاد علي بن أبي طالب إلى الكوفة وعاد معاوية إلى دمشق وفي رمضان ٣٧ هجرية اجتمع الحكّمان ومع كل منهم أربعمائة فارس واجتمعوا في دومة الجندل وهو مكان بين الكوفة والشام وفي الاجتماع الذي سبق صدور الحكم .

قام عمرو بن العاص بحيلة خادعة حيث اتفق مع أبي موسى الأشعري على أن يقوموا معا بخلع علي ومعاوية وترك الخلافة شوري بين المسلمين ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم وفي يوم التحكيم تقدم أبو موسى الأشعري أمام المسلمين جميعاً وأصدر حكمه بخلع علي ومعاوية ثم تبعه عمرو بن العاص وأعلن حكمة بخلع علي وتثبيت معاوية خليفة للمسلمين ونجحت الخطة المبرمه وحدث الانقسام في الدولة الإسلامية وعاد علي بن أبي طالب عليه السلام إلى العراق وظهرت فنة بالعراق

أنكرت قبوله التحكيم وطالبت على بن أبي طالب ﷺ بالقتال من جديد للقضاء على معاوية وسميت هذه الفئة بالخوارج وكثر خصوم على بن أبي طالب ﷺ في العراق وهم الخوارج وتوجه علي بن أبي طالب ﷺ لمواجهة الخوارج في النهوند وفي الأنبار سندان وجرجريا ومهرزور في عام ٣٨ هجرية وانتصر على بن أبي طالب ﷺ على الخوارج ولكن لم يقض عليهم نهائياً بينما كان معاوية بن أبي سفيان اعتبر نفسه الخليفة بعد صدور قرار التحكيم واخذ يثبت مركزه في الخلافة فأرسل عمرو بن العاص في جيش ومعه ستة آلاف مقاتل ليقابل محمد بن أبي بكر والى مصر وينتصر عليه ويقتله وأصبحت مصر خاضعة لمعاوية بن أبي سفيان ثم توجه بعد ذلك عمر و بن العاص إلى أطراف العراق فخضعت له شمال الجزيرة العربية في ٣٩ هجرية ودخل المدينة المنورة ومكة في عام ٤٠ هجرية وأكره الناس على مبايعة معاوية بن أبي سفيان ثم اتجه إلى اليمن بينما كان علي بن أبي طالب ﷺ يقف في مكانه يحارب الخوارج بينما استقرت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان في الشام ومصر والحجاز واليمن وشمال الجزيرة وفي ١٧ رمضان في السنة الأربعين من الهجرة استطاع أحد الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم قتل علي بن أبي طالب ﷺ في الكوفة أثناء صلاة الصبح في المسجد بينما توجه اثنان من الخوارج لقتل معاوية بن أبي سفيان وهم البرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي لقتل معاوية في دمشق واستطاعا جرحه ولكنه شفى من جراحة وقبض على الخوارج وتم قتلهم بعد التتكيل بهم وبمقتل علي بن أبي طالب ﷺ انتهت الدولة الإسلامية الأولى وكان علي بن أبي طالب ﷺ تولى الخلافة لمدة أربع سنوات وتسعة اشهر وقتل وعمره حوالي ثلاثة وستين عاما.

الفصل الثالث

رأي المؤلف في انتشار الإسلام في

عهد علي بن أبي طالب ﷺ

أولاً: لم ينتشر الإسلام في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ لظهور الفتنة الكبرى في الدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وانقسمت الدولة الإسلامية بعضها يطالب بالثأر لدم عثمان ولكن الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ

يري تأجيل الأخذ بالثأر في مقتل عثمان بن عفان ﷺ وبذلك ظهرت الحرب الأهلية في القتال بين المسلمين بعضهم ببعض وتفرغ الخليفة على بن أبي طالب ﷺ لإطفاء نار الفتنة في الدولة الإسلامية ولم يتفرغ لنشر الدعوة الإسلامية كما حدث مع بقية الخلفاء الراشدين الذين كانوا قبله .

ثانياً: ظهر اتجاه في الدولة الإسلامية لمحاربة الخليفة على بن أبي طالب ﷺ ونقل الخلافة إلى البيت الأموي ويتزعم هذا الاتجاه معاوية بن أبي سفيان وفي النهاية ينتصر معاوية ويقتل الخليفة على بن أبي طالب وينتهي عهد الخلفاء الراشدين وتظهر دولة جديدة هي الدولة الأموية وقد كان انتقال الحكم في الدولة الإسلامية الأولى بناء على ما ورد في القرآن الكريم من الشورى والمبايعة ولكن في ظل الدولة الأموية كان انتقال الحكم بالوراثة بدلاً من الشورى والمبايعة.

ثالثاً: بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ كان على بن أبي طالب ﷺ لا يرغب في الخلافة لأن الرؤية كانت واضحة أمامه من احتمال نشوب حرب أهلية بين المسلمين ولكنه في النهاية قبل حفاظاً على الدولة الإسلامية حتى لا يختلف الناس في أمرهم ومحاولة إطفاء بوادر نار الفتنة في الدولة الإسلامية.

رابعاً: امتنع عدد من الصحابة عن مبايعة على بن أبي طالب ﷺ بالخلافة وبعض الأنصار لم يبايعوه ولذلك بدأت خلافة على بن أبي طالب ﷺ بالانقسام بين المسلمين ضده وزادت نار الانقسام بين المسلمين مما مهد للانقسام ضده وزادت نار الانقسام حينما ألهب النعمان بن بشير نار الانتقام من قتلة عثمان حينما أخذ قميص عثمان الملطخ بالدماء وأصاب زوجة عثمان نائلة التي قطعت وهي تدافع عن زوجها ووضعها معاوية بن أبي سفيان والى الشام على المنبر في المسجد ليراها الناس لتظهر دعوة الانقسام بالمطالبة بالأخذ بالثأر .

خامساً: على بن أبي طالب ﷺ كان يريد إدارة الدولة الإسلامية بالحزم كما فعل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقام في أول عهده بتغيير الولاية في الأقطار الإسلامية الذين تسببوا بأفعالهم في مقتل عثمان وعزل جميع الولاية في عهد عثمان وتعيين ولاية جدد ولكن بعض الأقطار لم تنفذ أمر الخليفة على بن أبي طالب ﷺ فلم يستطع سهل بن حنيف الذي عينه الخليفة دخول الشام بدلاً من معاوية بن أبي سفيان ولم يستطع والي الجديد عمارة بن شهاب الذي عينه الخليفة على

ولاية الكوفة بل طرده والى الكوفة طلحة بن خويلد ورجع الاثنان إلى الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام وانتشرت الفتنة في سابقة لم تحدث في تاريخ الدولة الإسلامية وكان على الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام إعادة كرامة الخلافة والدخول في حروب داخلية مع المسلمين لفرض هيبة الخليفة.

سادسا : الحزب الذي كان يطالب بالأخذ بالثأر كانت ترأسه أم المؤمنين عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم معها بعض كبار الصحابة مثل الزبير وطلحة وانضم إليهما الكثيرون من المسلمين وقد قرروا أخذ الثأر بأنفسهم من قتلة عثمان بالبصرة بعيدا عن السلطة الرسمية للدولة الإسلامية وبعيدا عن الخليفة وقد استطاعوا أن يقتلوا قتلة عثمان ويفرضوا سيطرتهم على البصرة وكان لزاما على بن أبي طالب عليه السلام بمقاتلة هؤلاء المسلمين لفرض هيبة الخلافة وفرض سيطرة الدولة الإسلامية في موقعة الجمل وقد سقط في هذه الموقعة عشرة آلاف قتيل من الطرفين وجميعهم من المسلمين

سابعا : وكان لزاما على الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام أن يتحرك لاختتام نار الفتنة التي أثارها معاوية بن أبي سفيان بالانفراد بحكم الشام بعيدا عن الدولة الإسلامية بعد أن رفض معاوية بن أبي سفيان مبايعة على بن أبي طالب عليه السلام بعودة والى الجديد على الشام بدلا من معاوية بن أبي سفيان ولذلك كانت المواجهة المتوقعة بين جيش الدولة الإسلامية وجيش معاوية بن أبي سفيان وخاصة بعد أن أعلن نفسه خليفة المسلمين وبايعه على ذلك أهل الشام جميعا وقوى مركزه معاوية بزواجه من ميسون بنت بجدك الكلبى المسيحية ليقوى مركزه في الشام.

ثامنا : في موقعة صفين في العام السابع والثلاثين للهجرة كادت قوات الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام أن تنتصر على قوات معاوية لولا هذه الحيلة الذكية التي أشار بها عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف على أسنة الرماح والدعوة إلى التحكيم ولكن الحرب بينهم استمرت عشرة أيام وكان لزاما على الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام أن يستمر في سحق القوات المنفصلة بقيادة معاوية حتى ينهي الفتنة ويقضى على تمرد معاوية وجنوده حتى يستقر الأمر للخليفة على بن أبي طالب عليه السلام وكان أكبر أخطاء الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام بقبوله التحكيم بعد أن كان النصر قريبا منه.

تاسعا: في التحكيم كان على بن أبي طالب عليه السلام يريد توكيل عبد الله بن عباس لمهمة التحكيم ولكن أهل العراق فرضوا عليه اختيار أبي موسى الأشعري ولو كان أصغر على بن أبي طالب عليه السلام على اختيار عبدالله بن عباس لتغير وجه التاريخ في الدولة الإسلامية وما استطاع عمرو بن العاص المندوب من طرف معاوية في التحكيم أن يلعب معه لعبة الخداع والحيلة التي أجادها عمرو بن العاص بأن يطلب الحكيم خلع معاوية وخلع علي .

عاشرا: أعطى على بن أبي طالب عليه السلام التنازلات تلو التنازلات حتى قوى مركز معاوية أول هذه التنازل قبول التحكم وثاني هذه التنازلات أن يقبل صحيفة التحكيم التي أبرمت يوم الأربعاء ١٧ صفر في عام ٣٧ هجرية ٦٥٨م حيث أصغر معاوية على كتابة اسم على بن أبي طالب عليه السلام بدون لقب أمير المؤمنين ووافق على ذلك على بن أبي طالب عليه السلام معلنا اعترافه بنزوله كخليفة إلى مرتبة معاوية الذي يطالب بالخلافة.

الحادي عشر: بعد انتهاء التحكيم لصالح معاوية وعودة على بن أبي طالب عليه السلام للعراق تفرغ لقتال الخوارج الذين خرجوا عن طاعته مما وضعه في موقف ضعيف جدا داخل العراق وأصبح وضعه مهزوزا حتى داخل العراق حتى قتل في المسجد بمعرفة أحد الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم ولكن الوضع كان مختلفا مع معاوية الذي اعتبر نفسه الخليفة الرسمي للدولة الإسلامية بعد صدور قرار التحكيم وبدأ في فرض سيطرته على الدولة الإسلامية بدأها بمصر حيث أرسل عمرو بن العاص لينتصر على الوالي المعين من قبل على بن أبي طالب عليه السلام وهو محمد بن أبي بكر ويضم مصر إليه ثم أخضع الجزيرة كلها ودخل المدينة ومكة ثم اليمن وفرض سيطرته على كل هذه المناطق وبعد وفاة على بن أبي طالب فرض سيطرته على الدولة الإسلامية كلها معلنا انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وبدء دولة جديدة هي الدولة الأموية التي لم تراع القرآن في الحكم بالأخذ بنظام الشوري ولكنها أخذت بنظام الوراثة.

الثاني عشر: ولكن ما تبقى من الدولة الإسلامية الأولى هو أنه بعد مقتل على قام أهل العراق بمبايعة الحسن أكبر أبناء على وبإيعوه في الكوفة وكان الحسن لا يريد القتال مع معاوية الذي بدأ يزحف نحو العراق واستولى على الأنبار ثم المدائن

ورغبة من الحسن في حقن دماء المسلمين كتب إلى معاوية يسأله ويطلب الصلح مع معاوية على أن يتولى الخلافة معاوية ما دام حياً و إذا مات يتولى الخلافة بعده الحسن وبذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول في عام الواحد والأربعين الهجرى ٦٦٢م ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها ثم عاد معاوية إلى دمشق بعد أن ولى على الكوفة المغيرة بن شعبة ورحل الحسن إلى المدينة لينزوى بها وسمى هذا العام وهو الحادى والأربعين منذ الهجرة بعام الجماعة لاجماع المسلمين على خليفة واحد بعد طول فرقة منذ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الثالث عشر : الاتفاق بين معاوية والحسن لم يجد سبيله إلى الواقع حيث بدأ معاوية بن أبى سفيان فى التحرك على أرض الواقع لحصر الخلافة فى البيت الأموى فقط وجعلها وراثية عن طريق البيعة لابنه يزيد ولما للعهد وقد استطاع فرض ذلك بعد وفاة الحسن بعد مرضه الذى أصابه وقيل أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس دسّت له السم بتحريض من معاوية فى ٤٩ هجرية فى ٦٧٠م وتابع معاوية لفرض خطته بأن تكون الخلافة وراثية حيث قدم إلى الحجاز ومعه ألف فارس لأداء فريضة الحج فى العام الخمسين هجرى ٦٧١م وبعد ذلك دخل المدينة المنورة وأمر القوم بمبايعة يزيد ابنه تحت ضغط فتمت مبايعة الناس ليزيد خوفاً وتحقق له ما أراد بأن تكون الخلافة وراثية فى البيت الأموى عن طريق الوراثة كما كان يحدث فى الدولة الفارسية والبيزنطية على غرار كسرى وقيصر.

الرابع عشر : انتهى عهد الخلفاء الراشدين فى المدينة لتحل محلها الدولة الأموية فى دمشق وكانت الدولة الإسلامية الأولى فى الفترة ما بين ٦٢٨م حتى ٦٦١م المدينة المنورة ثم يبدأ عصر الدولة الأموية من ٦٦١م إلى ٧٤٥م فى دمشق. ثم بدأ عصر الدولة العباسية فى بغداد ثم الدولة العثمانية التى قامت كلها على مبدأ الوراثة فى الحكم عدا الدولة الإسلامية الأولى.

الخامس عشر : وهكذا انتهت الدولة الإسلامية الأولى التى أسسها الرسول ﷺ فوجد شبه الجزيرة ثم امتدت بعده فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لتمتد من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى لتشمل شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر والسودان وليبيا والمغرب العربى الكبير وتونس والجزائر والمغرب.

أولاً : المراجع العربية

اسم المؤلف	المراجع
١-	القرآن
٢-	الإنجيل
٣-	التوراة
٤-	أحمد حسين موسوعة تاريخ مصر ، ٥ ج .
٥-	أحمد عمران القرآن والمسيحية في الميزان .
٦-	أسامة سلامة مصير الأقباط في مصر .
٧-	أرنولد الدعوة إلى الإسلام ، (ترجمة حسن إبراهيم حسن)
٨-	د/ إبراهيم العدوي التاريخ الإسلامي
٩-	ابن الاثير : على بن احمد بن أبي الكرم الكامل في التاريخ
١٠-	ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
١١-	ابن حزم : أبو محمد علي بن احمد سعيد الأندلسي
١٢-	ابن سعد: محمد أبو عبد الله الطبقات الكبرى ، ٨ ج
١٣-	ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله القرشي
١٤-	ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم أبو محمد
١٥-	ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة .
١٦-	ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر
١٧-	ابن هشام : عبد الملك هشام بن أيوب الحميري أبو احمد

صحيح البخاري ، ٤ ج	١٨- البخاري : الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله
١- فتوح البلدان ، ٣ ج . ٢- انساب الأشراف	١٩- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية .	٢٠- الماواردي : أبو الحسن علي بن محمد أبو حبيب
مروج الذهب ومعادل الجوهر ، ٤ ج .	٢١- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين
تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ ج.	٢٢- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
أخبار دار المصطفى	٢٣- السمهودي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد
تاريخ اليعقوبي ، ٢ ج	٢٤- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
الأخبار الطوال	٢٥- الدينوري : أبو حنيفة احمد بن داود
تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ ج.	٢٦- جواد علي
تاريخ عمرو بن العاص .	٢٧- د/ حسن إبراهيم حسن
تاريخ الإسلام .	٢٨- د/ حسن إبراهيم خضر
مصر الإسلامية	٢٩- د/ حسن احمد محمود ، د/ منى حسن احمد محمود
المسيحية والإسلام في مصر .	٣٠- د/ حسين كفاي
الغرب والإسلام.	٣١- رجب البنا
إسلام نجاشي الحبشة ودورة في الدعوة الإسلامية .	٣٢- د/ سامية عبد العزيز منسى
عالمية الإسلام .	٣٣- د/ شوقي ضيف

المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية .	٣٤- طارق البشري
التوراة والإنجيل والقرآن .	٣٥- المستشار/ طه الشريف
من وصايا الإسلام	٣٦- طه عبد الله العفيفي
عبقرية محمد .	٣٧- عباس العقاد
الأحوال الشخصية للمصريين وغير المسلمين .	٣٨- المستشار/ عبد الحميد المنشاوي
أركان الإسلام .	٣٩- عبد الله محمود شحاته
المغازي	٤٠- عروة ابن الزبير
الدولة العربية الإسلامية الأولى.	٤١- د/ عصام محمد شبارو
التاريخ الإسلامي العام .	٤٢- د/ علي إبراهيم حسن
تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية.	٤٣- د/ فاطمة مصطفى عامر
الخلافة الإسلامية .	٤٤- د/ فاروق احمد الدسوقي
محمد (ترجمة د/ فاطمة نصر ، د/ محمد العناني) .	٤٥- كارين ارمسترونج
حياة محمد .	٤٦- د/ محمد حسين هيكل
جوهر الإسلام	٤٧- المستشار/ محمد سعيد العشماوي
هذا هو الإسلام .	٤٨- محمد متولى الشعراوي
تأملات في الشريعة الإسلامية	٤٩- د/ محمود الشرييني
الأقباط النشأة والصراع .	٥٠- ملاك لوقا
تاريخ الكنيسة القبطية .	٥١- القس/منسى يوحنا
مشاكل الأقباط في مصر وحلولها .	٥٢- د/ نبيل لوقا بباوي
معالم تاريخ الإنسانية ، ٤ ج (ترجمة عبد العزيز جاويد) .	٥٣- هـ . ج ولز
قصة الحضارة ، ٢١ ج .	٥٤- ول ديورانت
غير المسلمين في المجتمع الإسلام.	٥٥- د/ يوسف القرضاوي

ثانيا : الأبحاث

- ١- المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان : الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري .
- ٢- المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان : الإسلام والغرب الماضي والحاضر والمستقبل .

ثالثا: المراجع الأجنبية

WASHING TON , AIRING	Life of Mohammed
WELIAM MOOR	Muir the caliphate
SIR WILLIAM MIUR	Life of Mohammed
MYOOR .	The life of Mohammed
MONTOG OMERT WALT	Islamic , revelation in the modern world
MILNE	History of Egypt under Roman
MAXIME , RODINSON	Mohammed
MARGLOOT	Mohammad and the rise of Islam
GOITEIN	History of Jews
FINLAY	Greece under the roman

الفهرس

الموضوع

رقم
الصفحة

إهداء
تقرير الأزهر الشريف
تقديم
مقدمة

٢٤

الباب الأول

٣٣

انتشار الإسلام فى عهد الرسول ﷺ

٣٣

الفصل الأول : مولد الرسول ﷺ من حيث المكان والزمان.

٣٤

المبحث الأول : مولد الرسول ﷺ من حيث المكان.

٣٧

المبحث الثانى : مولد الرسول ﷺ من حيث الزمان.

٤٠

الفصل الثانى : الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود.

المبحث الأول : عقد التآخى بين الأنصار والمهاجرين

٤٠

وعقد الأمان لليهود.

٤٠

الفرع الأول : عقد التآخى بين المسلمين وعقد الأمان لليهود

الفرع الثانى : رأى المؤلف فى عقد التآخى بين المسلمين

٤٣

وعقد الأمان لليهود.

٤٥

المبحث الثانى : الدفاع عن الدعوة اثر الهجرة.

٤٧

الفرع الأول : موقعة بدر الكبرى.

٤٧

النقطة الأولى : موقعة بدر الكبرى.

٤٨

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقعة بدر الكبرى

٤٩

الفرع الثانى : موقعة أحد

٥٠

النقطة الأولى : موقعة أحد.

٥١

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقعة أحد.

٥٢

الفرع الثالث : موقعة الخندق.

٥٢

النقطة الأولى : غزوة الخندق.

٥٣

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقعة الخندق.

٥٦

الفرع الرابع : الهدنة مع قريش

٥٦

النقطة الأولى : الهدنة مع قريش.

٥٨

النقطة الثانية : رأى المؤلف فى هدنة الحديبية.

- ٨٨ النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقعة تبوك.
- ٩١ الفرع الثالث : دخول القبائل الإسلام فى عام الوفود.
- ٩١ النقطة الأولى : دخول القبائل فى الإسلام فى عام الوفود.
- النقطة الثانية : رأى المؤلف فى دخول القبائل الإسلام
- ٩٢ فى عام الوفود.
- ٩٣ الفصل الرابع : حجة الوداع ووفاة الرسول.
- ٩٣ المبحث الأول : حجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ .
- المبحث الثانى : رأى المؤلف فى حجة الوداع ووفاة
- ٩٤ الرسول ﷺ وما بعد الرسول ﷺ .
- الباب الثانى**
- ١٠٧ انتشار الإسلام فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه
- ١٠٧ الفصل الأول : اختيار الخليفة وحروب الردة.
- ١٠٧ المبحث الأول : اختيار الخليفة والشورى.
- ١٠٩ المبحث الثانى : بداية الردة والعودة للنظام القبلى.
- ١٠٩ الفرع الأول : بداية الردة والعودة للنظام القبلى.
- ١١٠ الفرع الثانى : رأى المؤلف فى أسباب حروب الردة.
- ١١٣ المبحث الثالث : المواجهات العسكرية لإخماد الردة.
- ١١٣ الفرع الأول : موقعة المدينة المنورة.
- ١١٤ الفرع الثانى : إرسال الجيوش لإخماد الردة.
- ١١٧ الفرع الثالث : رأى المؤلف فى حروب الردة.
- ١١٩ الفصل الثانى : انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية.
- ١١٩ المبحث الأول : انتشار الإسلام فى العراق.
- ١٢١ المبحث الثانى : انتشار الإسلام فى الشام.
- المبحث الثالث : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى العراق
- ١٢٢ والشام ووفاة أبى بكر الصديق رضي الله عنه.
- الباب الثالث**
- ١٣١ انتشار الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٣٢ الفصل الأول : انتشار الإسلام فى فارس والعراق.
- ١٣٢ المبحث الأول : انتصار القادسية.
- ١٣٤ المبحث الثانى : فتح المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية.
- ١٣٥ المبحث الثالث : فتح الجزيرة وموقعة نهاوند.

- ٦٠ المبحث الثالث : موقف المسلمين من اليهود .
- ٦١ الفرع الأول : موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع .
- ٦٢ النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قينقاع
النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين
- ٦٣ من يهود بنى قينقاع
- ٦٥ الفرع الثانى : موقف المسلمين من يهود بنى النضير .
- ٦٥ النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى النضير
النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين
- ٦٦ من يهود بنى النضير
- ٦٨ الفرع الثالث : موقف المسلمين من يهود بنى قريظة .
- ٦٨ النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود بنى قريظة .
النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين
- ٦٩ من يهود بنى قريظة .
- ٧١ الفرع الرابع : موقف المسلمين من يهود خيبر .
- ٧١ النقطة الأولى : موقف المسلمين من يهود خيبر .
النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقف المسلمين
- ٧٢ من يهود خيبر .
- ٧٤ الفصل الثالث : الدعوة الإسلامية بالحسنى والانتصار على قريش .
- ٧٤ المبحث الأول : الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الإسلام .
- ٧٥ الفرع الأول : الرسائل للملوك والأمراء للدخول فى الإسلام .
الفرع الثانى : رأى المؤلف فى الرسائل للملوك والأمراء
- ٧٧ للدخول فى الإسلام .
- ٧٨ المبحث الثانى : الانتصار على كفار قريش فى مكة .
- ٧٩ الفرع الأول : الانتصار فى موقعة مكة .
- ٨٠ الفرع الثانى : رأى المؤلف فى موقعة مكة ودخولها .
- ٨٢ المبحث الثالث : المواجهات العسكرية بعد انتصار المسلمين .
- ٨٢ الفرع الأول : موقعة حنين وحصار الطائف .
- ٨٣ النقطة الأولى : موقعة حنين وحصار الطائف .
- ٨٤ النقطة الثانية : رأى المؤلف فى موقعة حنين وحصار الطائف .
- ٨٧ الفرع الثانى : موقعة تبوك .
- ٨٧ النقطة الأولى : موقعة تبوك .

- المبحث الرابع : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام
 ١٣٦ فى فارس والعراق
 الفصل الثانى : انتشار الإسلام فى دمشق وبيت المقدس وفلسطين.
 ١٤٠ المبحث الأول : فتح دمشق.
 ١٤٠ المبحث الثانى : فتح بيت المقدس وفلسطين
 ١٤١ المبحث الثالث : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام
 ١٤٢ فى دمشق وبيت المقدس.
 الفصل الثالث : انتشار الإسلام فى مصر وبرقة وطرابلس.
 ١٤٦ المبحث الأول : انتشار الإسلام فى مصر.
 ١٤٧ المبحث الثانى : انتشار الإسلام فى برقة وطرابلس.
 ١٤٨ المبحث الثالث : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام
 ١٤٩ فى مصر وبرقة وطرابلس.

الباب الرابع

- انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه
 ١٦٤
 الفصل الأول : انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.
 ١٦٥ المبحث الأول : فتح سببيله عاصمة تونس.
 ١٦٥ المبحث الثانى : فتح قبرص.
 ١٦٦ المبحث الثالث : فتح طبرستان وارمينية.
 ١٦٧ الفصل الثانى : الفتنة داخل الدولة الإسلامية وأسبابها والنهاية.
 ١٦٧ الفصل الثالث : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.
 ١٧٠

الباب الخامس

- انتشار الإسلام فى عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه.
 ١٧٥
 الفصل الأول : المشاكل التى قابلت على بن أبى طالب رضي الله عنه
 ١٧٦
 الفصل الثانى : الحروب بين المسلمين والمسلمين والنهاية.
 ١٧٨
 الفصل الثالث : رأى المؤلف فى انتشار الإسلام فى عهد
 ١٨٠ على بن أبى طالب رضي الله عنه
 ١٨٥
 المراجع
 ١٨٩ الفهرس